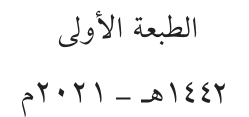

بسم الله الرحمن الرحیم

طُبِعَ برعاية
العتبة الحسينية المقدسة




الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com
E-mail: info@imamhussain-lib.com

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول - الجزء الخامس.

الناشر: شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية - قسم الشؤون الفكرية والثقافية - العتبة الحسينية المقدسة.

المطبعة: نسخة للنشر الإلكتروني.

سنة النشر: ١٤٤٢ هـ - ٢٠٢١ م.

التصميم والإخراج الفني: عبد الصاحب رضا صادق.





قراءات معرفية في رحاب الغدير

وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول

الذي أقامته

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

في ٢٠ ـ ٢١/١١/٢٠٢٠ م

الجزء الخامس



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠٢١ - ٢٣٣٨

مؤتمر الغدير العلمي العالمي (ال ١ : ٢٠٢٠ : كربلاء، العراق).

موسوعة وقائع مؤتمر الغدير العلمي العالمي الأول. – الطبعة الأولى. -- كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، شعبة الدراسات والبحوث، ٢٠٢١ = ١٤٤٢ للهجرة.

١٠ مجلد ؛ ٢٤ سم. --.

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.

١. علي بن أبي طالب (عليه السلام) الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة – مؤتمرات. ٢. القرآن. سورة المائدة، آية ٣ (آية الغدير) – تفسير. ٣. حديث الغدير – مؤتمرات. ٤. الإمامة – مؤتمرات. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية. ب. العنوان.

ISBN: **978-9922-655-08-6**

BP193.1 . M83 2021

تمت الفهرسة في قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

٤- محور الدراسات التاريخية

- الغدير في سيرة المعصومين عليهم السلام وأصحابهم.

- الصلة بين الغدير وعاشوراء.

- الغدير عند المؤرخين.

- الغدير في المخطوطات والوثائق والمصادر.

- قراءات في موسوعة الغدير للشيخ الأميني رحمه اللّٰه.

بيعة الغدير في الخطبة الفدكية

الشيخ صباح هادي حمادي الركابي

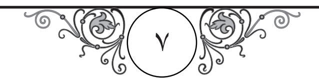
الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

تعدُّ الخطبة الفدكية واحدة من الملاحم والمآثر الفكرية والعقدية العظيمة؛ لما حوته من كنوز إلهية وعلوم ربانية، تطرقت إليها الزهراء عليها السلام، وأوضحت كلَّ ما أراده الله تعالى وما قام به نبيّه من تبليغ تام للأُمَّة الإسلامية، ومنها مسألة الإمامة وحقّ أهل البيت عليهم السلام بها، ولا سيما أحقية الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، سأقوم بتقطيع النص بحسب المبحث والمطلب، أي لن أمرَّ على النص بالتتابع.

جعلت البحث أربعة مباحث، المبحث الأَوَّل للتوحيد، والمبحث الثاني للنبوّة، والمبحث الثالث للإمامة، وفيه مطلبان الأَوّل للإمامة، والثاني للإمام عليٍّ عليه السلام، والمبحث الرابع لمنزلة الزهراء عليها السلام والمبحث الخامس لوضع المسلمين.

المبحث الأول: التوحيد

النص: «الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولاها،



جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر لاتّصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنى بالندب إلى أمثالها، وأشهد أنّ لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها، وضمّن القلوب موصولها، وأنار في التفكر معقولها، الممتنع من الأبصار رؤيته، ومن الألسن صفته، ومن الأوهام كيفيته، ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها»، أخذت هذا النص الطويل نوعاً ما، لبيان ثلاثة أغراض:

الغرض الأول: بيان عظمة الزهراء عليها السلام العلمية، ومعرفتها وعلمها بالذات الإلهية وصفات الذات وأفعالها، فعلمها عليها السلام علم عالم رباني يُنبئُ عن عصمتها ومعرفتها بالله تعالى، هذا من جانب، وهذا الجانب خاص بنا نحن أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام لأنَّهم يزقون العلم زقاً، ونحن لا نستغرب أو نتعجب من ذلك، ومن جانب آخر، باعتبار كونها امرأة، بل ربّة بيت في نظر غير أتباع أهل البيت عليهم السلام، فهي لم تتعلم في المدارس والمعاهد، ولم تخالط الرجال والعلماء، وحتى لو خالطت فمن أين لها هذا العلم على صغر سنها؟ لأنَّ ولادتها في العشرين من جمادى الآخرة بعد البعثة بخمس سنوات على رواية، وعلى أُخرى بسنتين وشهادتها في الثالث عشر من جمادى الأُولى سنة إحدى عشرة فيكون عمرها الشريف بين ثماني عشرة سنة إلى إحدى وعشرين سنة. لقد ذكرت النص لنرى عظيم علمها بالله تعالى، والذي ظهر في بيان خطبتها، وعظيم الوصف الذي يعجز عن فهمه أغلب

العـوام إنْ لم يكـن كلّهـم، فضـلاً عـن الإتيـان بمثلـه ولـو كان مـن عظـماء العلـماء وأهـل البلاغـة والبيـان والخطـاب.

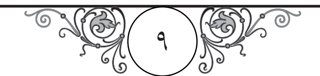
لقـد بيّنـت سـلام الله عليهـا، التوحيـد بأنواعـه الثلاثـة، التوحيـد الـذاتي والتوحيـد الصفـاتي والتوحيـد الأفعـالي، وبأقصر الطـرق والعبـارات والكلمات وأبينهـا وأوضحهـا، ثـمَّ بينـت أنَّ الإنسـان جبـل عـلى فطـرة التوحيـد كـما قـال تعـالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وذلـك بقولهـا: «وضمـن القلـوب موصولهـا وأنـار بالتفكـر معقولهـا»، وذلـك لتربطهـا ببقيـة أُصـول الديـن ومنهـا الإمامـة موضـوع البحـث.

وأمَّـا الغـرض الثـاني: أردتُ أنْ أبـيّنَ فيـه أنَّ الزهـراء عليهـا السـلام تريـد أن تعلمنـا، أنَّ أُصـول الديـن ترتبـط بعضهـا ببعـض، ولا يمكننـا أنْ نفصـل أصـلاً عـن بقيـة أُصـول الديـن المتمثلـة بالتوحيـد والعـدل والنبـوة والإمامـة والمعـاد، وأنَّ الإمامـة منصـب ربـانيٌّ وأمـر إلهـيٌّ لا يمكـن أنْ يُسـند للعبـاد، وإلَّا لـو أُسـند لهـم لـكان إسـناد النبـوّة لهـم أيضـاً، والأمـر كلُّـه لله، كـما قـال تعـالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾[2].

وأمَّـا الغـرض الثالـث: فهـو إقامـة الحجّـة عـلى جميـع المسـلمين في أمريـن: الأمـر الأَوّل أنَّهـا صاحبـة الحـقّ، وأنَّ الحاكـم قـد غصبهـا حقهـا، وبذلـك يكـون الحاكـم غـير شرعـي وغـير مقبـول؛ لأنَّـه غصـب حـقّ أقـرب النـاس

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.



لرسول الله صلَّى الله عليه وآله فكيف بحقوق الآخرين؟ وبذلك سحبت البساط من تحت قدميه في الأيام الأُولى، وقد أعذرت في البلاغ، وما على الأُمَّة إلَّا أنْ تطالب الحاكم الذي نصبته السقيفة أنْ يرجع إلى عهد رسول الله وميثاقه الذي أخذه على المسلمين في بيعة الغدير، وبذلك فقد أسست للثورة ضدَّ الظلم، وهذا ما أعطى الشرعية للإمام الحسين للوقوف بوجه الظلم، وأمَّا الأمر الثاني فإنَّهم لو صدقوها على دعوى ملكيتها لأرض فدك من غير دليل، إنَّما فقط لصدقها؛ كان لزاماً عليهم أنْ يصدقوها على أيِّ مدعى آخر لكونها صدّيقة، فلو طالبت بالإمامة للإمام عليٍّ عليه السلام وشهدت على تنصيبه من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله في غدير خم، كان عليهم أن يذعنوا لهذا الطلب، إلَّا أنَّ محور السقيفة علموا ما تريده الزهراء عليها السلام فقطعوا الطريق عليها.

المبحث الثاني: النبوة

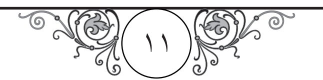
النص: «**وأشهد أنّ أبي محمداً (النبيّ الأُمِّي) صلَّى الله عليه وآله عبده ورسوله، اختاره وانتجبه قبل أنْ أرسله، وسمّاه قبل أنْ اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدم مقرونة، علماً من الله تعالى بمآيل الأُمور، وإحاطة بحوادث الدهور، ومعرفة بمواقع الأُمور ابتعثه الله إتماماً لأمره، وعزيمة على إمضاء حكمه، وإنفاذاً لمقادير حتمه، فرأى الأُمم فرقاً في أديانها، عُكّفاً على نيرانها، عابدة لأوثانها، منكرة لله مع عرفانها، فأنار الله بأبي محمّد صلَّى الله عليه وآله ظُلَمَها... وزعيم حقّ له فيكم، وعهد قدّمه إليكم، وبقيّة استخلفها**

عليكم... ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾...، فبلّغ الرسالة صادعاً بالنذارة، مائلاً عن مدرجة المشركين، ضارباً ثَبَجهم، آخذاً بأكظامهم، داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، يكسر الأصنام، وينكث الهام، حتى انهزم الجمع وولّوا الدبر، حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق، وفُهْتُم بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص...، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمدٍ صلَّى الله عليه وآله بعد اللّتيا والتي، وبعد أنْ مني ببُهم الرجال وذئبان العرب ومردة أهل الكتاب».

هذا النص من الغرض الثاني الذي ذكرته في المبحث الأَوّل، وهو بيان أنَّ أُصول الدين لا تنفك عن بعضها، بينت الزهراء عليها السلام فيه عظمة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وأنَّه لا ينطق عن الهوى، وأنَّ قوله هو قول الله تعالى، حيث ذكرت ما سيؤول إليه أمر أُمَّة محمّد صلَّى الله عليه وآله من بعده، كما ذكره الله تعالى فقال: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي الله الشَّاكِرِينَ**﴾[1]، وفعلاً فقد انقلبوا على أعقابهم.

إنَّ ذكر الشهادة بالنبوّة للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله في خطابها لتلزم المسلمين بما عهده إليهم، فلا يجوز لهم أنْ يخلفوا ويتخلفوا عن قوله

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.



صلَّى الله عليه وآله؛ لأنَّ مخالفة الرسول صلَّى الله عليه وآله هي مخالفة لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[1]، فقوله تعالى: إذا قضى الله أمراً، بصيغة النكرة للدلالة على الجنس، وهو يعني العموم، والأمر عندي هنا يعني المعنيين:

المعنى الأَوَّل: معنى أمر، أي الشيء وجمعه أُمور.

وأمَّا الثاني: يعني الحكم، وجمعه أوامر.

وهذا يعني أيّ أمر ما من الأُمور ومن الأوامر، وإنْ كان الأمر شخصياً شيئاً أو حكماً فلا بُدَّ من امتثاله، فكيف إذا كان الأمر يخصّ المسلمين من يوم رحيله صلَّى الله عليه وآله إلى يوم القيامة؛ لأنَّ الإسلام خاتم الشرائع حيث ختم الله تعالى بالنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله الأنبياء والرسل والكتب والرسالات، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾[2]، ثمَّ أنتم تنقضون عهد رسول الله صلَّى الله عليه وآله الذي عهده إليكم! ثم قالت: «**وعهد عهده رسول الله إليهم**»، وما أمرهم به النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله من اتباع مَن ولاه الله تعالى عليهم في بيعة الغدير في حجة البلاغ أو الوداع كما هو شائع، فقالت: «**زعيم حقٍّ له فيكم**»، ومقابل كلِّ حق واجب، فالحق للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله

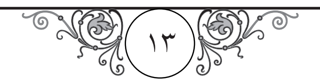
(١) سورة الأحزاب، الآية:

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

والواجب على المسلمين، وسواء شاؤوا أم أبوا، وعهد قدمه إليكم وهو بيعة الغدير لأمير المؤمنين عليه السلام، وهو حقٌّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وواجب على المسلمين، ولا ينبغي لأحد أنْ يحيد عنه، لأنَّ من يحيد عنه مشمول بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

وأمَّا قولها: «**حتى تفرّى الليل عن صبحه، وأسفر الحقّ عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين، وطاح وشيظ النفاق، وانحلّت عقد الكفر والشقاق**»، فكان لبيان أنَّهم جعلوا النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وراء ظهورهم، فبعد أنْ نطق زعيم الدين وهو النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وسيطر على الموقف ممَّا مكنه أنْ يبلّغ الناس بولاية عليٍّ عليه السلام، ففي بعض الروايات أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله عندما نزل حكم الله تعالى في تبليغ الناس بولاية عليٍّ عليه السلام والإعلان الرسمي عنها، كان يخشى أنْ يرتد كثيرٌ منهم عن الإسلام، أو أنْ يوصف بأنَّه اختار الولاية لابن عمِّه وصهره لأسباب قبلية ونسبية، وهذا فعلاً كان في تفكيرهم؛ لأنَّهم حتى بعد دخولهم الإسلام كانوا يعيشون بقيم وأخلاق الجاهلية التي شبّوا وشابوا عليها إلَّا القليل منهم ممّن وعى الدين وعياً حقيقياً، حتى بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.



مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[1]، وبعد أن خرست الشياطين، حيث ألجمها النبيُّ صلَّى الله عليه وآله بالحقِّ من عند الله، وبعد أنْ طاح وشيظ النفاق، وهم أبو لهب وأبو سفيان وأبو جهل، ولكنَّهم بعد رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله ظهروا على حقيقتهم التي كانوا يخفونها، فالآن رفعوا رؤوسهم، وتركوا زعيم الحق وراء ظهورهم، كأنَّهم لم يسمعوا به، وجعلوه تراثاً على الرفوف، ثمَّ نطقت الشياطين بعد أنْ أخرسها بطل الحقِّ النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وأسكتها ببيانه وسنانه وبالأخص عليٌّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، فتفوّه زعيم الباطل والنفاق أبو سفيان، وأظهر حقيقة أحلامه، وأنْ لا جنة ولا نار، وأنَّه يحلف بما يحلف به أبو سفيان، وهو هبل وغيره من الأصنام، فلم يقل بالله، فقال: (في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان، ودخل داره ومعه بنو أُمية، فقال أبو سفيان: أفيكم أحد من غيركم؟ - وقد كان عمي - قالوا: لا. قال: يا بني أُميّة! تلقفوها تلقف الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان، ما زلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة، فانتهره عثمان وساءه ما قال، وأنهى هذا القول إلى المهاجرين والأنصار، فقام عمار في المسجد فقال: يا معشر قريش: أمّا إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيّكم مرّة هاهنا ومرّة هاهنا؛ فما أنا بآمن أنْ ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهل هذا

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

البيـت بعـد نبيّكـم)[1].

المبحث الثالث: الإمامة والإمام عليٌّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام

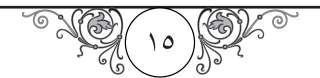
النـص: «**وبقيّـة اسـتخلفها عليكـم: كتـاب الله الناطـق والقـرآن الصـادق، والنـور السـاطع، والضيـاء اللامـع،... وجعـل طاعتنـا نظامـاً للملّـة، وإمامتنـا أمانـاً مـن الفرقـة...**».

المطلب الأول: الإمامة

«**وبقيـة اسـتخلفها عليكـم وهمـا كتـاب الله الناطـق والقـرآن الصـادق**»، هـذا النـص يشـمل جميـع الأئمـة بـدءاً بالإمـام عـليٍّ عليـه السـلام وانتهـاءً بالمهـديّ عجـل الله تعـالى فرجـه الشريـف، صحيـح أنَّ مصـداق القـرآن الناطـق جـاء بالنـص عـلى الإمـام عـليٍّ عليـه السـلام مـن لسـان عـليٍّ عليـه السـلام، إلَّا أنَّ المـورد لا يخصـص الـوارد، فالحديـث شـامل لجميـع عـدل القـرآن، وهـم أهـل البيـت عليهـم السـلام، بـل إنّ هـذا النـصّ يشـمل سـيدة نسـاء العالمـين، سـوى الإمامـة؛ لأنّ الإمامـة خاصـة بالرجـال كالنبـوّة، ولا يمنـع مـن ولايـة المـرأة التكوينيـة كـما كانـت الزهـراء عليهـا السـلام.

إنّ قولهـا هـذا لتذكـر المسـلمين بحديـث النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه: «**إنّي مخلـف فيكـم الثقلـين كتـاب الله وعـترتي أهـل بيتـي، لـن يفترقـا حتـى يـردا عـليَّ الحـوض انظـروا كيـف تخلفـوني فيهـما، يـا أيهـا النـاس لا تعلموهـم فإنّهـم**

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٣١/ باب٢٥، الطعن السادس.



أعلم منكم»[١]، فالقرآن الناطق والقرآن الصادق هما الثقلان الكتاب والعترة، وهنا نرى منطق الزهراء عليها السلام القرآني فقولها: «**بقية استخلفها**» للتدليل على أنَّ خلافة الأئمة عليهم السلام خلافة ربانية، وليست من شؤون المسلمين، كما قال تعالى: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[٢]، والآية تذكر خلافة أول إنسان خلقه الله تعالى على الأرض وهو النبيّ آدم عليه السلام، فلم يجعل الله تعالى الأرض بغير حجة وهو خليفته في الأرض، فقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنَّه قال: «**لو لم يبقَ في الأرض إلَّا اثنان لكان أحدهما الحجة**»[٣]، وقال تعالى: ﴿**يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ**﴾[٤]، فالاستخلاف جعل إلهيٌّ وليس من شؤون الناس، وهذا الجعل والتنصيب يجعل الخليفة يحكم بما أنزل الله، وأمَّا غيره فيحكم بآرائه وأهوائه، وقد أشار القرآن الكريم في ثلاث آيات إلى الذين يحكمون بغير ما أنزل الله تعالى: الآية الأُولى قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾[٥]، وقال

---

(١) تحف العقول عن آل الرسول، ابن شعبة الحراني.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٣) أصول الكافي، الشيخ الكليني: ١/ باب: أنَّه لو لم يبق في الأرض إلَّا رجلان لكان أحدهما الحجة، ح١.

(٤) سورة ص، الآية: ٢٦.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٤.

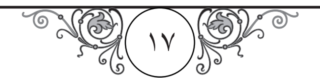
تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[2]؛ لذلك نجد في ذيل الآية ٢٦ من سورة (ص) المفهوم المخالف لمنطوقها: وهو أنَّ من يحكم من غير أنْ يكون مستخلَفاً يتبع الهوى فيضل نفسه ويضل الآخرين، وهذا ما جرى للأُمَّة بعد رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله، ولا بما تملي عليه البطانة؛ لأنَّها رغبات وأهواء دنيوية ومكر وخداع في أغلبه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]، نعم هذا فعل البطانة، وما فعله مروان الوزغ ابن الوزغ بوزارته لعثمان أدّى إلى مقتل عثمان وانحراف الأُمَّة وسرقة أموال المسلمين، حتى أنَّ عثمان اقتطع له خمس إفريقيا.

إنَّ حديث الثقلين يصف الخلافة في قوله صلَّى الله عليه وآله: إنِّي مخلف، أي أنِّي تارك ومستخلف فيكم وعليكم، أي بقية، وهما لن يفترقا أبداً مهما طالت الحياة الدنيا، والقرآن والعترة شيئان موضوعهما واحد، فالقرآن هو القانون والدستور الأعلى للأُمَّة وللدولة الإسلامية، المعبر عنه الآن بقوانين السلطة التشريعية، وأمَّا أهل البيت عليهم السلام والإمام خاصة

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٥.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.



فهو الحاكم الشرعي المطبق للدستور وهو السلطة التنفيذية.

إنَّ الجميل في مفهوم الاستخلاف، أنْ سبقته كلمة يا لها من كلمة معبرة بتعبير قرآني بأُسلوب فاطميٍّ، وهو كلمة «بقية»، وهي مصداق قوله تعالى: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾[1]، أي أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله لم يستخلف عليكم أحداً إلَّا وكان بقية من بقايا الأنبياء والأوصياء، وهم بقية الله لا بقيتكم، وهل هناك بقية أفضل من رسول الله صلَّى الله عليه وآله، حتى يكون لغيره بقية للمؤمنين من غير البقية التي أبقاها الله تعالى على الأُمَّة بعد رحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله على لسان نبيِّه صلى الله عليه وآله؟ فهم ذريّة بعضها من بعض، والمعنى الآخر من كلمة بقية، أنَّهم ليس هناك من المسلمين غيرهم من هو أهلٌ لأنْ يكون خليفة على الأُمَّة، فهم البقية الربانية، أي أنَّهم ما تبقى من النبوّة فيهم هم الأئمة إلى يوم الدين، وهذا هو الذي ذكرته آنفاً في حديث الثقلين.

ثمَّ تقول: إنَّ هذا الكتاب أو القرآن سواء كان الساكت أو الناطق كلاهما النور الساطع والضوء اللامع لتفرق بين النور والضوء، فالنور هو الضوء المأخوذ من غيره والمنتشر في الأجواء لغيره، والأئمة عليهم السلام هم نور الله في الأرض والسموات، وهم مصداق قوله تعالى: ﴿الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[2]، أي أنَّ الله تعالى يتجلى في خلقه وليس أفضل

(١) سورة هود، الآية: ٨٦.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٥.

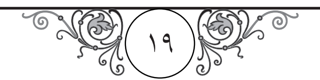
من أهل البيت عليهم السلام من يكون أهلاً لهذا التجلي، وهم معدن العلم، فهم النور الذي يهتدي به الناس، لذلك نقرأ في زيارة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف «**السلام عليك يا نور الله الذي يهتدي به المهتدون**»، وهذا النور هو المعبّر عنه بالولاية التشريعية من جهة، وهو التبليغ والبيان؛ لأنَّ القرآن لا يمكن فهمه لعوام الناس، فقال تعالى مخاطباً نبيَّه صلَّى الله عليه وآله: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)]، فالأُمَّة لا تستطيع أنْ تهدي لبيان القرآن إلَّا عن طريق النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أو من ينوب عنه، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[(٢)]، فالنبيُّ صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته، هم الأمان من الفُرقة والاختلاف كما قالت الزهراء عليها السلام «طاعتنا نظاماً للملة وأماناً من الفرقة»، وكانت سلام الله عليها تعلم علم اليقين أنَّ الأُمَّة ستخلف قول الله وقول النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، ولكنْ من باب إقامة الحجة عليهم.

وأمَّا الجهة الثانية فهي الولاية التكوينية بشقيها، فأمَّا الشق الأول: فهو إراءة الطريق وكشفه وبيانه ووصفه للأُمَّة حتى تهتدي به، فأهل البيت عليهم السلام هم الضوء الساطع، أي أنَّهم بأنفسهم هم الدين وهم الضوء المنتج من نفسه لنفسه ولغيره، المعبَّر عنه بالولاية التكوينية

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.



في شقها الثاني، وهو الأخذ بيد الأُمَّة نحو الطريق المنجي، وليس فقط إراءة الطريق وكشفه، فقد ورد عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله مخاطباً عمار بن ياسر قائلاً: « **يا عمار فإن سلك الناس كلُّهم وادياً وسلك عليٌّ وادياً، فاسلك وادي عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام وخل الناس** »(1)، فوادي عليٍّ عليه السلام هو وادي الحق، وهنا يأمر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله عماراً بأنْ يسلك وادي عليٍّ عليه السلام، أي أنَّ علياً عليه السلام يأخذ بيد عمار ومن سار مع عمار إلى طريق الحق، والنجاة، والفوز في الدنيا والآخرة لا يكون إلَّا باتباع من استخلفه النبيُّ صلَّى الله عليه وآله عليكم، حيث بينت مفهوم الاستخلاف في المنظور الإسلامي، أي طبيعة نظام الحكم على وفق بيعة الغدير الربانية، وسنرى الذين اعترضوا على النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله في هذه البيعة حتى خاطبه أحدهم بعبارة نابية بالقياس إلى منزلة النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، فقال: يا محمد، ولم يقل يا رسول الله.

ثمَّ قالت: « **بيّنة بصائره، منكشفة سرائره، منجلية ظواهره، مغتبطة به أشياعه، قائداً إلى الرضوان اتباعه، مؤدٍّ إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنوّرة، وعزائمه المفسّرة، ومحارمه المحذّرة، وبيّناته الجالية، وبراهينه الكافية، وفضائله المندوبة، ورخصه الموهوبة، وشرائعه المكتوبة** »، بعد أنْ قرنت الكتاب الساكت بالكتاب الناطق وصفت الوصف في كلامها (بينة بصائره...) إلى آخر العبارة، فالذي أحتمله، أنَّها عليها السلام تقصد الاثنين، ولما كان موضوعنا الإمامة وليس القرآن فأقول: إنَّ كلَّ شيء ظاهر ولا يحتاج إلى

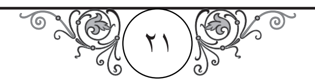
(1) فرائد السمطين، العلامة الجويني الشافعي: ١/ ١٧٨

مزيد بيان أو تجديد بيان، فبعد بيان بصائره وانكشاف سرائره وانجلاء ظواهره وغيرها، صار القرآن الناطق قائداً لرضوان الله اتباعه، وخلافه قائداً للشيطان؛ لأنَّ ليس بعد الحقِّ إلَّا الضلال، قال تعالى: ﴿فَذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[1]، ثمَّ صار استماعه -أي الاستماع إلى أوامره- وتقصد الزهراء عليها السلام بالاستماع هو التطبيق والامتثال له ولأوامره مهما كانت، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]، حيث قرن طاعة وليِّ الأمر بطاعة رسول الله صلَّى الله عليه وآله، وبسبب هذه الطاعة والامتثال تتحقق جميع حجج الله لعباده المؤمنين على خلقه أجمعين، ثمَّ تذكر أنَّ جميع ما أراد الله من عبادة في الواجبات والمحرمات وتتبعها المستحبات والمكروهات، تتحقق بفضل اتباع الولي الذي فرض الله طاعته على عباده أجمعين، ولا يجوز العدول عنه إلى صفِّ الباطل، ثمَّ قالت: (وشرائعه المكتوبة)، حتى لا يستغل كلامها المستغلون والذين في قلوبهم زيغ، فيقولوا: إنَّ هذا الوصف للقرآن وليس للعترة كما تدعون أيّها الشيعة، فقولها (شرائعه المكتوبة) هي القرآن لأنَّنا لسنا مطالبين بأنْ نطبق آيات الله في التوراة والإنجيل والزبور وغيرها من شرائع الله، بل هذا القرآن قد نسخ جميع كتب الله، فهو المهيمن على جميع الكتب، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.



الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[١].

ثمَّ قالت: «**فجعل الله طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة**».

إنَّ قولها (جعل) يحتمل معنيين لهذا الجعل:

فأمَّا المعنى الأول: أنَّه جعل تكوينيّ، تشير به الزهراء عليها السلام إلى عصمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ النصَّ لم يحدد طبيعة الجعل وكيفيته، ولم يشخص أحداً منهم، فيكون مجموع أهل البيت عليهم السلام هم المشمولون بهذا الجعل، وقد بيّن القرآن الكريم الجعل التكويني في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[٢]، والإرادة في إذهاب الرجس والتطهير المطلق إنَّما يكون بالخَلْق لا بالخُلُق، لأنَّ إبعاد النجاسة والتطهر والتطهير أمر تشريعي، ينطبق على جميع المسلمين والكلُّ مطالب بالتطهير بحسب المقام والوضع، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾[٣]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾[٤]، فمنهم من يتطهر ومنهم من لا يتطهر، فهي إذاً إرادة تكوينية، وإرادة الله ليس قبلها ولا بعدها إرادة، فهي نافذة ولو كره المشركون؛ لأنَّ الخلق بيده تعالى، وهذا الجعل لا خلاف عليه في أنَّه يعني

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٦.

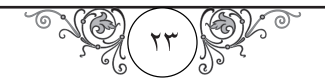
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٠٨.

الجعل الخَلْقِي لا الخُلُقِي؛ لأنَّ الخُلُقَ يتبع الخَلْقَ، وهذا الجعل لجميع الأنبياء والمرسلين والأوصياء بنسب متفاوتة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1]، وكذلك تمييز أنبياء أُولي العزم الخمسة عن غيرهم من الأنبياء والمرسلين، وهذا التفضيل ورفع الدرجات ينطبق على الأئمة، فقد ورد عن النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله أنَّه قال: «**ما أرسلت رسولاً فانقضت أيامه إلّا أقام بالأمر بعده وصيّه، فأنا جعلت عليَّ بن أبي طالب خليفتك وإمام أُمَّتك، ثمَّ الحسن، ثمَّ الحسين، ثمَّ عليٍّ بن الحسين، ثمَّ محمَّد بن عليٍّ، ثمَّ جعفر بن محمّد، ثمَّ موسى بن جعفر، ثمَّ عليِّ بن موسى الرضا، ثمّ محمّد بن عليّ، ثمّ عليّ بن محمّد، ثمّ الحسن بن عليّ، ثمّ الحجّة بن الحسن، يا محمّد ارفع رأسك! فرفعت رأسي، فإذا بأنوار عليٍّ والحسن والحسين وتسعة أولاد الحسين والحجّة في وسطهم يتلألأ كأنّه كوكب درّي، فقال الله تعالى: يا محمد! هؤلاء خلفائي، وحججي في الأرض، وخلفاؤك وأوصياؤك من بعدك، فطوبى لمن أحبّهم، والويل لمن أبغضهم**»[2].

وأمَّا الجعل الثاني: فهو الجعل التشريعي، وهو الأمر الإلهي بوجوب طاعتهم عليهم السلام، إلَّا أنَّ هذا الوجوب بالأصل وجوب عقلي، نبهت وأشارت إليه الآية لغرض تذكير المؤمنين الذين ليس في قلوب مرض فتزيغ عن الحق، فصار وجوباً شرعياً حتى لو لم يقبل به الناس

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

(٢) النجم الثاقب، حسين الطبرسي: ١/ ٥٠٠.



عقلياً، وهو إلزام من الله على ذوي القلوب الزائغة التي تتبع المتشابه من الآيات، كما ذكره الله تعالى في المحكم الكريم في الآية السابعة من سورة آل عمران، فقال تعالى عن الطاعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[1]، فجمع الله تعالى طاعة الرسول وطاعة أُولي الأمر في طاعة واحدة، ولم يقل تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أُولي الأمر، للدلالة على أنَّ طاعة وليِّ الأمر هي عين طاعة الرسول، وهنا يجب على الأُمَّة أنْ تخضع لقوله وحكمه تعالى وما أمر به الرسول الأعظم صلَّى الله عليه وآله، وهذا لا خلاف عليه في وجوب طاعة أُولي الأمر من حيث المفهوم، ولكنَّ الاختلاف في المصداق، فمن هم أُولو الأمر الذين أوجب الله طاعتهم وجمعها مع طاعة الرسول وقرنها بطاعته تعالى؟ هذا ما بيّنه حديث الثقلين تفصيلاً وتحديداً وتشخيصاً في العترة من أهل البيت عليهم السلام، وأمَّا حديث الغدير ووقعته فقد حدد النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله المصداق الأَوّل لحديث الثقلين وهو الإمام عليٌّ عليه السلام، فقد قال النبيُّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله في جمع غفير من المسلمين يقدر بـ(٨٠-١٢٠ ألف حاج) بعد حجة البلاغ (الوداع) حيث قال: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وانصر من**

---

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

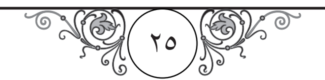
نصره واخذل من خذله»[1]، وما ذكره القرآن الكريم بنوعه لا بشخصه في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[2]، وكما نعلم أنَّ الذكر بالنوع أبلغ في الوصف والتحديد من الذكر بالاسم؛ لأنَّ الاسم يتكرر والوصف المنفرد لا يتكرر، وقد كان الإمام عليٌّ عليه السلام في التصدق بالخاتم في الركوع منفرداً ولم يشاركه أحد مع اقتران هذا الفعل بالذكر الإلهي كما ذكرت الآية السابقة.

بينت الزهراء عليها السلام في عبارة «**جعل الله طاعتنا نظاماً للملة**»، أي نظام الحكم وطبيعته واتساقه ونسقه لا يكون إلَّا بطاعة أهل البيت عليهم السلام، وبأنَّ هذا واضحٌ للمسلمين عندما تركوا وصية رسول الله صلَّى الله عليه وآله ولم ينتظموا ولم يلتزموا بأمره صلَّى الله عليه وآله في موقعة أُحد، عندما ترك المسلمون مواقعهم الخلفية وغار عليهم خالد بن الوليد مع نفر من قريش، وكادت أنْ تكون أكبر هزيمة للمسلين، فقالت إنَّ نظام الملّة الإسلامية لا تكون إلَّا بطاعتهم طاعة عمياء؛ لأنَّهم حبل الله الذي يتصل بين السماء والأرض، ثمَّ قالت: «**وإمامتنا أماناً من الفرقة**»، وفعلاً، لمَّا يُلحدْ رسول الله صلَّى الله عليه وآله، عقدوا سقيفتهم، وبقي نظام الإسلام غير منتظم، فلا هو بالجمهوري ولا بالملكي ولا بالشورى، ولكلِّ دولة نظام بحسب رغبات الحكام وبما يمليه عليهم الأجنبي، وإذا

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق: ح١٨٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٥.



كان اليهود قد اشتركوا في حكم المسلمين كما كان كعب الأحبار ووهب ابن منبه، فاليوم أغلب المسلمين يحكمهم وبشكل مباشر العدو اليهودي الصهيوني والاستعمار الغربي والشرقي، وسيبقى نظام الأُمَّة الإسلامية غير مستقر إلى ظهور صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

بين وقفة الزهراء عليها السلام مطالبة بحقها في فدك وبيعة الغدير أقل من أربعة أشهر، حيث البيعة لأمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم في الثامن عشر من ذي الحجة الحرام من عام ١٠ للهجرة، ورحيل رسول الله صلَّى الله عليه وآله في الثامن والعشرين من شهر صفر من عام ١١ للهجرة، وجلوس أبي بكر في اليوم نفسه حيث تركوه صلَّى الله عليه وآله مسجى، ودخول الزهراء عليها السلام على أبي بكر بعد غصبه منصب الخلافة بأيام بعد أنْ أخرج عمال فاطمة عليها السلام من أرض فدك، وابن عمّها عليّ عليه السلام لَمَّا يبايع أبا بكر، هذه الأيام القلائل أثبتت أنَّ عدم اتباع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام يعني اختلال النظام وحدوث الفرقة التي ذكرتها الزهراء عليها السلام في الأيام الأُولى لِتسنم أبي بكر الحكم.

أعود لقولها: «**وطاعتنا نظاماً للملة**»، هل كان أبو بكر يعتقد بصدق كلام الزهراء عليها السلام أو لا يصدق؟ لنرى ما قاله أبو بكر لفاطمة الزهراء عليها السلام بعد أنْ فنّدت مزاعمه في الإرث بآيات القرآن الكريم، وبعد أنْ شهد الإمام عليٌّ عليه السلام وشهدت أُمُّ أيمن رضي الله عنها، بل في بعض الروايات أنَّ عمر شهد بذلك، فماذا قال أبو

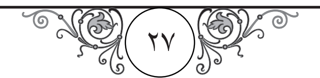
بكر لفاطمة عليها السلام: (صدقتِ يا بنت رسول الله، وصدق عليٌّ، وصدقت أُمُّ أيمن)[1]، لا أُريد أنْ أدخل في تفاصيل التصديق، وهل أنَّ الزهراء صادقة صدّيقة أَم أنَّها صادقة فيما ادّعت به، ولكنْ أنقل ما قاله المحبّ الطبري، قال: (روى أبو سعيد في شرف النبوّة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم قال لعليٍّ -عليه السلام-: «**أوتيت ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا، أوتيت صهراً مثلي ولم أؤت أنا مثلك، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي، ولم أؤت مثلها زوجة وأوتيت الحسن والحسين من صلبك، ولم أؤت من صلبي مثلهما، ولكنَّكم مني وأنا منكم**»)[2]، فأقول إذا كانت الزهراء عليها السلام صادقة فكيف يكذبها؟ فهنا إمَّا أنْ يكون هو الكذّاب أو تكون الزهراء عليها السلام [حاشاها] هي الكاذبة، يأتي الجواب من قول أبي بكر لها: صدقتِ يا بنت رسول الله، ثمَّ إنَّ الزهراء عليها السلام ردَّت عليه بتفنيد قوله في الحديث المزعوم على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في أنَّ معاشر الأنبياء لا يورثون، والذي لم يردَ إلَّا عن طريق المدّعي لهذا الحديث فقط وهو أبو بكر، فهذا يعني أنَّه كذب على الله ورسوله صلَّى الله عليه وآله، وقد قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ**»[3]، هنا تكمن عظمة الزهراء عليها السلام، فقد بينت للأُمَّة حقيقة الحكام الذين سيحكمون باسم الدين

---

(١) السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، محمد بيومي: ١٦٨.

(٢) الرياض النضرة، المحب الطبري: ١/ ٢٧٠.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٥٧.



وخلافـة الرسـول صـلَّى الله عليـه وآلـه، لأنَّـه كـذب صراح عـلى رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه ولـو كان الحديـث صحيحـاً لمـا طالبـت الزهـراء عليهـا السـلام بفـدك مـن البدايـة، ثـمَّ قـال: وصـدق عـليٌّ، وعـليٌّ عليـه السـلام كـما في الحديـث المـروي عـن الفريقـين، إنَّـه مـع الحق، قـال رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه: (عـن أبي ثابـت مـولى أبي ذر قـال: دخلـت عـلى أُمِّ سـلمة فرأيتهـا تبكـي وتذكـر عليـاً وقالـت: سـمعت رسـول الله (صـلَّى الله عليـه [وآلـه] وسـلَّم) يقـول: «**عـليٌّ مـع الحـق والحـق مـع عـليٍّ ولـن يتفرقـا حتـى يـردا عـليَّ الحـوض يـوم القيامـة**»)[1]، فقولـه صـدق؛ لأنَّ الحـق لا يكـذب مطلقـاً، والحـق هـو الله تعـالى، فعـليٌّ عليـه السـلام مـع الله، والله مـع عـليٍّ عليـه السـلام، فهـل يقسـم عـليٌّ عليـه السـلام عـلى الباطـل مـن أجـل حطـام الدنيـا؟ فضـلاً عـن كـون أرض فـدك كانـت بيـد فاطمـة الزهـراء عليهـا السـلام، وقاعـدة اليـد الفقهيـة تحكـم لهـا، ولكـنَّ ابـن أبي قحافـة علـم أنَّ الزهـراء عليهـا السـلام لم تقصـد فـدكاً مـن أول مطلـب لهـا، ومـن خـلال دعوتهـا المسـلمين للعـودة إلى بيعـة الغديـر واتصالهـا بنسـاء المسـلمين في المدينـة وجولاتهـا فيهـا، فخططـوا أنْ لا تصـل دعوتهـا للمسـلمين جميعـاً، وفعـلاً نجحـوا في الدنيـا، ولكـن سـيعلم الذيـن ظلمـوا أيَّ منقلـب ينقلبـون.

وأمَّـا قولهـا: «**وإمامتنـا أمانـاً مـن الفرقـة**»، النـص لا يحتـاج إلى تأويـل وتفسـير، فقـد ذكـرت بصريـح العبـارة: إمامتنـا، ولم تقـل ولايتنـا حتـى يتـم تأويـل الـولي إلى اثنـين وعشريـن معنـى، السـيد والعبـد والنـار والمعتِـق والمُعتَـق

---

(١) تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٤٣/ ٤٤٩.

وبعد ويلي وغيرها من التأويلات، فالإمام هو الذي يتقدم الأُمَّة في كلِّ شيء، كإمامة الصلاة لا يجوز أنْ يتقدم عليه المأموم، وقد كانت الزهراء عليها السلام قد رأت مستقبل الأُمَّة إمّا من خلال أبيها وإخباره لها، وإمَّا من علمها اللّدني، باعتبار أنَّها محدثة، وقد شهدت لنا الأيام والسنون ما قالته الزهراء عليها السلام عن تفرق الأُمَّة حتى أدّى بها إلى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وسمِّ ابن بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله الحسن عليه السلام استشهاد ابن بنت رسول الله صلَّى الله عليه وآله الحسين عليه السلام.

المطلب الثاني: الإمام عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام

«وبقيّة استخلفها عليكم: كتاب الله الناطق والقرآن الصادق،... كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن الشيطان أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفئ حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً، لا تأخذه في الله لومة لائم».

قولها: «**وبقية استخلفها عليكم وهما كتاب الله الناطق والقرآن الصادق**»، والمقصود هنا كمصداق أوّل، هو الإمام عليٌّ عليه السلام، حيث قال الإمام عليه السلام عن نفسه: « **ذلك القرآن (الكتاب) الصامت وأنا**

القرآن (الكتاب) الناطق»[1]، وورد عنه أيضاً عليه السلام أنَّه قال: «**هذا كتاب الله الصامت، وأنا المعبّر عنه، فخذوا بكتاب الله الناطق، وذَرُوا الحُكم بكتاب الله الصامت؛ إذ لا معبّر عنه غيري**»[2]، فهل هناك أوضح من هذا النص؟ وهو كما قالت الزهراء عليها السلام، ولكن يبدو أنَّ القوم قد بيتوا ودبروا أمرهم لما بعد رحيل النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وهذا واضح من خلال الحوار الذي دار بين ابن عباس وعمر بن الخطاب بعد أنْ تسلم منصبه كحاكم على المسلمين بعد موت أبي بكر: (يا بن عباس أتدري ما منع قومكم منهم بعد محمد؟ فكرهت أن أُجيبه فقلت: إنْ لم أكن أدري فأمير المؤمنين يدريني، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة والخلافة فتبجحوا على قومكم بجحاً بجحاً فاختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فقلت: يا أمير المؤمنين إنْ تأذن لي في الكلام وتمط عني الغضب تكلمت، فقال: تكلم يا بن عباس، فقلت: أمَّا قولك يا أمير المؤمنين اختارت قريش لأنفسها فأصابت ووفقت، فلو أنَّ قريشاً اختارت لأنفسها حيث اختار الله عزَّ وجلَّ لها لكان الصواب بيدها غير مردود ولا محسود، وأمَّا قولك: إنَّهم كرهوا أن تكون لنا النبوة والخلافة، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ وصف قوماً بالكراهية فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾[3]، فقال: عمر هيهات، والله يا بن عباس قد

(١) اثنا عشر رسالة، الداماد: ١/ ١٣.

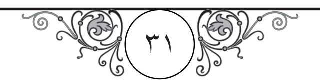
(٢) موسوعة الإمام علي عليه السلام: ٩/ ١٨٥، ح٣٩٥٧.

(٣) سورة محمد، الآية: ٩.

كانت تبلغني عنك أشياء كنت أكره أن أفرك عنها فتزيل منزلتك مني، فقلت: وما هي يا أمير المؤمنين؟ فإن كانت حقاً فما ينبغي أن تزيل منزلتي منك، وإن كانت باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، فقال: عمر بلغني أنك تقول: إنَّما صرفوها عنا حسداً وظلماً، فقلت: أمَّا قولك يا أمير المؤمنين ظلماً فقد تبين للجاهل والحليم، وأمَّا قولك حسداً فإنَّ إبليس حسد آدم، فنحن ولده المحسودون، فقال: عمر هيهات أبت والله قلوبكم يا بني هاشم إلَّا حسداً ما يحول وضغناً وغشاً ما يزول، فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بالحسد والغش، فإنَّ قلب رسول الله صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم من قلوب بني هاشم، فقال عمر: إليك عني يا بن عباس، فقلت: أفعل فلمَّا ذهبت لأقوم، استحيا مني فقال: يا بن عباس مكانك فوالله، إنِّي لراعٍ لحقك محبٌّ لما سرّك، فقلت: يا أمير المؤمنين إنَّ لي عليك حقاً وعلى كلِّ مسلم، فمن حفظه فحظه أصاب، ومن أضاعه فحظه أخطأ، ثمَّ قام فمضى)[1]، فهيئوا للسقيفة قبل زمن طويل، ولكنَّ الرسول صلَّى الله عليه وآله فوَّت عليهم الفرصة فبايع لعليٍّ عليه السلام في غدير خم، وأمر جميع المسلمين بمبايعة عليٍّ عليه السلام، فبايعه عمر، عن أبي هريرة قال: من صام يوم ثماني عشرة ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم، لَمَّا أخذ النبيُّ صلَّى الله عليه [وآله] وسلَّم بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: «**ألست وليَّ المؤمنين**»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال:

---

(١) تاريخ الطبري: ٢/ ٥٧٨.



«من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»، فقال: عمر بن الخطاب بخ بخ لك يا بن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلم، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[1]، ومع كلِّ ذلك فلم يرقَ لهم، وتصوروا أنَّ التنصيب من قبل النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وليس من الله تعالى، وقالوا لو كان هذا من عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله لا نلتزم به بعد وفاته، بل حتى لو كان الأمر من عند الله، نقول هو من عند النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، أو نقول إنَّ الأُمَّة اجتمعت على فلان وكفى، لأنَّ الأُمَّة لا بُدَّ لها من إمام برٍّ أو فاجر، لذلك حين تمَّ للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله تنصيب عليٍّ عليه السلام، اعترض النعمان بن الحرث [الحارث] الفهري على رسول الله صلَّى الله عليه وآله في تنصيبه عليه السلام، وقال للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله: يا محمَّد أمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلَّا الله، وأنَّك رسول الله، وأمرتنا بالجهاد، والحج، والصوم، والصلاة، والزكاة، فقبلناها، ثمَّ لم ترضَ حتى نصبت هذا الغلام، فقلت: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه[2]، والقصة معروفة، وأنا أعتقد أنَّ الحرث كان مدفوعاً من غيره حتى يكون هو الضحية، بحيث لا يستطيع أحد أنْ يقول إنَّ الأوّل والثاني هما اللذان اعترضا على رسول الله صلَّى الله عليه وآله، والذي يتابع أحوال عمر بن الخطاب، يجدّه كثيراً ما كان يعترض على أفعال النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، كما في صلح الحديبية وغيره من الاعتراضات.

---

(١) البداية والنّهاية، ابن كثير: ٧/ ٢٥٠.

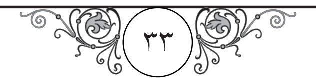
(٢) انظر: تفسير مجمع البيان، الطبرسي: ١٠، تفسير سورة المعارج.

إنَّ السيدة الزهراء عليها السلام بخطابها هذا أرادت أن تقول: إنَّ الحكم لا يكون لعامة الناس، إنَّما هو شأن من شؤون الله تعالى، ولا يحقّ حتى للنبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله أنْ يستخلف حاكماً على المسلمين من غير أنْ يكون حكماً ربانياً أو لإمضاءٍ من الله لحكم من أحكام النبيِّ صلَّى الله عليه وآله، وهي بنت القرآن بل هي القرآن الناطق أيضاً، وتعي قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ﴾(١)، فما قاله لهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله، هو ما أمره به الله تعالى، ثمَّ طلبوا أخف من هذا المطلب فقالوا: بدله، فنزل قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٢).

لقد أغلقت الزهراء عليها السلام الأبواب كلَّها بوجه الردّة والانحراف، ولكنَّهم لم يصغوا إليها؛ لأنَّ المؤامرة كبيرة وقديمة قدم الإسلام نفسه، ولكنَّها ظهرت مباشرة يوم رحيل النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله، وهي فعلاً - المؤامرة - لا تقبل التأجيل والتأخير؛ لأنَّ الأُمَّة بايعت علياً عليه السلام، ولو انتظروا ريثما ينتهي الإمام عليٌّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام من تجهيز النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله إلى مرقده الطاهر، لما عَدَت الخلافة عن الإمام عليٍّ عليه

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٥.



السلام ولا آلت لغيره، ولكنَّ الأدوار كانت معدّة من الطرفين، فعليٌّ عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام يعلمون بالمؤامرة، ويعرفون أبطالها، وكان الجواب منهم أنْ يحافظوا على الإسلام، وكلٌّ يقوم بدوره، فالإمام عليٌّ عليه السلام لا يبايع، وعندما تطلب البيعة منه لأبي بكر يحتج ببيعة الغدير، وفعلاً احتج، ولكنَّ القوم قد هيئوا لها، فيسكت عليٌّ عليه السلام، فقد روى العلامة المجلسي: (روى البلاذري قال: لما قتل الحسين عليه السلام، كتب عبد الله ابن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمَّا بعد، فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين، فكتب إليه يزيد: أمَّا بعد يا أحمق، فإنَّنا جئنا إلى بيوت منجدة، وفرش ممهدة، ووسائد منضدة، فقاتلنا عنها فلئن يكن الحق لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحق لغيرنا فأبوك أوّل من سنَّ هذا وابتز واستأثر بالحقَّ على أهله)[1].

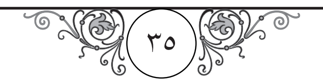
كان دور الزهراء عليها السلام أنْ تعلن رفضها للبيعة ما دامت على قيد الحياة، وأنْ تطالب الحكم السقيفي بحقها الذي غصبه أبو بكر ومن معه من قريش وبني أُمَّة عامة، وأنْ تخبر نساء المسلمين بذلك، فعقدت الجلسات والخطابات للحق المغصوب، سواء حقها في فدك أو حق الإمامة لابن عمها وهو الأصل، ونجحت في إعلام الأُمَّة بعد خطابها الذي كاد أن يقلب الأُمور على رأسها ويسقط المؤامرة الكبيرة التي قلبت موازين الحكم الإسلامي ونقلت الحكم من أولاد الأنبياء وأولاد الأوصياء ومن

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي: ٤٥، باب ٤٧.

الشرفاء أولاد الشرفاء إلى الطلقاء أولاد الطلقاء، ولكنَّ دهاء قريش ومن ورائهم التخطيط اليهودي وتدبير قريش من أوّل يوم للدعوة الإسلامية، حال بين أهل البيت عليهم السلام والزهراء عليها السلام خاصة من نجاح خطتهم على تنصيب من نصبه الله تعالى على لسان نبيّه صلَّى الله عليه وآله، ولم يصلوا إلى مطلب على مستوى الحياة الدنيا في حكم المسلمين، ولكنَّهم مع ذلك، أقاموا الحجة على أعدائهم وأغلقوا أبواب من يأتي من بعد مؤامرة السقيفة ليقول: إنَّ علياً عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام قد سكتوا، ولو كان لهم حقٌّ لطالبوا به، وبالنتيجة فإنَّ فاطمة عليها السلام وعليّاً عليه السلام من قبلها وأهل البيت عليهم السلام قد ربحوا الدنيا والآخرة.

في هذا النص: «**فإن تُعزوه وتعرفوه، تجدوه أبي دون نسائكم، وأخا ابن عمّي دون رجالكم، ولنعم المعزى إليه صلَّى الله عليه وآله**»، نجد الزهراء عليها السلام تميز علياً عليه السلام عن غيره، فتقول عن أبيها إنَّه أخو ابن عمِّها دون رجالكم، وتقصد الزهراء عليها السلام الأُخوَّة الإيمانية أولاً وبالأخص؛ لأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله آخى بينه وبين عليٍّ عليه السلام، كما آخى بين أبي بكر وعمر، وكأنَّه يريد أنْ يقول، بل يريد، أنْ يقول إنَّ الأُخوَّة على التشابه، ففي قول للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله: «**عليٌّ مني وأنا منه وهو وليُّ كلِّ مؤمن ومؤمنة بعدي**»[1]، ثمَّ تقول: «**ولنعم المعزّى إليه**»، وهنا تؤكد أنَّ المعزّى وهو النسب بين أبي رسول الله صلَّى الله

(١) دعائم الإسلام: ١/ ٢٠.



عليه وآله وابن عمّي عليٍّ عليه السلام هو خير النسب، وليس النسب القبلي مع ما له من منزلة، ولكنَّه النسب الرباني الإلهي كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

ثمَّ قالت: «**فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لمّا يُقبر**» تصفهم بأنهم علّموا إبل غيرهم، وهي إشارة لطيفة لتمييز الهدي الخاص بكلِّ حاج، حيث يعلم بعلامة خاصة بكلِّ حاج حتى يتعرف على أنعامه التي ساقها للهدي، أمَّا أنتم فقد أخذتم أنعام غيركم وعلمتموها بعلامة حتى تأخذوها من صاحبها، وفعلاً فقد أخذتموها، وجلستم في غير مجلسكم، لأنَّكم وردتم غير موردكم، والغريب في فعلتكم الشنيعة، أنَّ العهد قريب، فلم يكن بين غياب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وبيعتكم وغصبكم للخلافة إلَّا سويعات، حتى قالت عليها السلام: «**وكفن رسول الله صلَّى الله عليه وآله مازال رطباً مبتلاً من أثر غسله صلَّى الله عليه وآله**»، **أي كنت قبل سويعات في بيعة أمير المؤمنين عليه السلام بأمر من الله تعالى لنبيه، نعم والعهد قريب لم يتجاوز الثلاثة أشهر، وكان جثمان رسول الله الطاهر صلَّى الله عليه وآله ما زال بينكم، فتركتموه مسجى ونازعتم المهاجرين والأنصار على تراثه وتراث أهل بيته.**

المبحث الرابع: منزلة فاطمة الزهراء عليها السلام

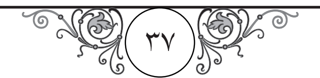
(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

قالـت عليهـا السـلام: «**وأشـهد أنّ أبي محمـداً (النبـيَّ الأُمِّـي) صـلَّى الله عليـه وآلـه... فأنـار الله بـأبي محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه ظُلَمَهـا... اعلمـوا أنّي فاطمـة وأبي محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه، أقـول عـوداً وبـدواً، ولا أقـول مـا أقـول غلطـاً، ولا أفعـل مـا أفعـل شـططاً،... فـإن تُعـزوه وتعرفـوه، تجـدوه أبي دون نسـائكم، وأخـا ابـن عمّـي دون رجالكـم، ولنعـم المعـزى إليـه صـلَّى الله عليـه وآلـه**».

وفي النـص التفاتـة لمنزلتهـا عنـد النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه حيـث قالـت: «**وأشـهد أنَّ أبي محمّـداً صـلَّى الله عليـه وآلـه**»، للتذكـير بـأنَّ صاحـب الرسـالة أبوهـا وليـس واحـداً منكـم، لا مـن المهاجريـن ولا مـن الأنصـار، ثـمَّ أعادتهـا مـرّة أُخـرى فقالـت: «**فأنـار الله بـأبي محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه**»، ثـمَّ قالـت ثالثـة: «**اعلمـوا أنّي فاطمـة وأبي محمّـد صـلَّى الله عليـه وآلـه**»، ثـمَّ قالـت رابعـة: «**فـإن.. تعرفـوه، تجـدوه أبي دون نسـائكم**».

إنَّ كثـرة ذكـر كلمـة أبي وانتسـابها لرسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه، أعتقـده تذكـيراً بـالإسراء والمعـراج وعلاقتـه بتكـون الزهـراء في بطـن أُمِّهـا مـن ثـمار الجنـة التـي تغـذى منهـا رسـول الله صـلَّى الله عليـه وآلـه في معراجـه؛ لذلـك صـار الاختـلاف عـلى ولادة الزهـراء عليهـا السـلام وأصرَّ بعضهـم عـلى تاريـخ مـا حتـى لا يتوافـق مـع تاريـخ الإسراء والمعـراج، عـلى الرغـم مـن أنَّ الإسراء والمعـراج لم يكـن مـرّة واحـدة.

إنَّ الحـوار الـذي دار بـين الزهـراء عليهـا السـلام وأبي بكـر ومـا ذكـره أبـو بكـر مـن حقّهـا وعلمهـا ومنزلتهـا يـدلّ عـلى أنَّ الزهـراء عليهـا السـلام كان تطلـب شـيئاً عرفـه القـوم، فحالـوا بينهـا وبـين مطلبهـا.



إنَّ قولها «**اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد صلَّى الله عليه وآله، أقول عوداً وبدواً، ولا أقول ما أقول غلطاً، ولا أفعل ما أفعل شططاً**» غاية في الدقة والتعبير، فبعد أنْ ذكرت أكثر من مرّة علاقتها وصلتها بالرسول صلَّى الله عليه وآله وسمّته بمحمّد، قالت: «أقول عوداً وبدواً»، للدلالة على ترابط قولها، وما قالته عن الوصيّ أمير المؤمنين أو عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله أو عن الله تعالى، فهو مترابط، ولا تستطيعون أنْ تفصلوا بين أُصول الدين الثلاثة، فضلاً عن ارتباطها بالمعاد الذي ذكرته أيضاً في الخطبة، ثمَّ بينت عظمتها وعصمتها من خلال قولها: «ما أقول غلطاً»، كما أنتم تغلطون في عباراتكم وأقوالكم، وأمَّا أنا فكلُّ كلامي صحيح، لا تشوبه شائبة ما، ثم تقول: «ولا أفعل ما أفعل شططاً»، فقولي وفعلي صراط مستقيم، كما قال تعالى عنا: ﴿ **صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾[1].

إنَّ قولها «لا أقول غلطاً ولا أفعل ما أفعل شططاً» يتناسق، بل يتطابق مع الحديث الشريف، الوارد عن النبيِّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام «**إنَّ الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك**»[2]، وأخرجه الحاكم وابن عساكر والمتقي الهندي وغيرهم، والحديث كما تقرؤون مطلق ولم يقيد بأيِّ قيد قط، وأنَّ النبيَّ الأكرم لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحي يوحى، فهل أنَّ الله تعالى يغضب لغضب امرئ يُخطئ ويُصيب؟ أم أنَّ

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٢) المعجم الكبير، الطبراني: ١/ ١٠٨، ح١٨٢.

الله هـو الحـقّ وليـس بعـد الحـق إلَّا الضـلال، ونقـول: لـو أنَّ فاطمـة عليهـا السـلام غضبـت لأمـر دنيـويٍّ، وكانـت في غضبهـا عـلى باطـل، فهـل يغضـب الله لغضبهـا أو لا يغضـب؟ فـإنْ غضـب الله تعـالى لغضبهـا - وهـو محـال - فيكـون الله تعـالى - وحاشـا الله عـن ذلـك - عـلى الباطـل، نعـوذ بـالله تعـالى مـن هـذا القـول.

هنـا، عندمـا نربـط بـين أقـوال فاطمـة عليهـا السـلام عـن عـليٍّ عليـه السـلام وصفاتـه واختيـاره مـن قبـل النبـيِّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه، تكـون الزهـراء عليهـا السـلام صادقـة، وهـذا مـا صرّح بـه ابـن أبي قحافـة، فقـال: صدقـت وصـدق عـليٌّ، ونـرى أنَّ فاطمـة عليهـا السـلام لم تطلـب فـدكاً ولم تطالـب بحـق عـليٍّ عليـه السـلام لأمـر دنيـويٍّ، لأنَّ مَـن شـأنه الصـدق مطلقـاً لا يكـون مـن طـلاب الدنيـا، ولا يتعلـق بهـا، إلَّا بقـدر مـا يمليـه عليـه الواجـب الإسـلامي، وهـذا هـو الـذي قامـت بـه الزهـراء فاطمـة عليهـا السـلام.

ثمَّ عطفت على قبر النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وقالت:

قـد كـان بـعـدك أنـبـاء وهنبثة ... لـو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

إنّـا فقدناك فقد الأرض وابلها ... واختلَّ قومك فاشهدهم ولا تغب

وكـلّ أهـل لـه قربى ومنزلة ... عند الإلـه على الأدنين مقترب

أبدت رجال لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت وحالت دونك الترب

تجهّمتنا رجال واستخفّ بنا ... لما فقدت وكلُّ الإرث مغتصب

وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك ينزل من ذي العزة الكتب

وكـان جبريل بـالآيـات يؤنسنا   فقد فُقـدت وكـلُّ الخير محتجب

فليت قبلك كـان المـوت صادفنا   لما مضيت وحالـت دونـك الكثب

إنـاّ رزينـا بـها يُـرزى ذوو شجن   مـن البريــة لا عجـم ولا عـرب

أقـف فقـط عـلى كلمـة واحـدة في هـذه الأبيـات العظيمـة، والتـي اختـصرت بهـا الزهـراء عليهـا السـلام مصيبتهـا خصوصـاً ومصيبـة أهـل البيـت عليهـم السـلام خاصـة ومصيبـة المسـلمين عامـة، وهـي قولهـا: لمـا فقـدت وكلُّ الإرث مغتصـب، وهنـا جمعـت بـين الإرث المـادي المتمثـل بفـدك، والإرث الإلهـي الربـاني المتمثـل بالولايـة لأمـير المؤمنـين عـليٍّ عليـه السـلام.

المبحث الخامس: وضع المسلمين

ثمَّ التفتت عليها السلام إلى أهل المجلس وقالت:

النـص: «**أنتـم عبـاد الله نصُـبُ أمـره ونهيـه، وحملـة دينـه ووحيـه، وأُمنـاء الله عـلى أنفسـكم، وبلغـاؤه إلى الأُمـم،...، فاتقـوا الله حـق تقاتـه، ولا تموتـن إلّا وأنتـم مسـلمون، وأطيعـوا الله في مـا أمركـم بـه ومـا نهاكـم عنـه، فإنَّـه إنَّـما يخشـى الله مـن عبـاده العلـماءُ... وأنتـم في رفاهيـة مـن العيـش، وادعـون فاكهـون آمنـون، تتربصـون بنـا الدوائـر، وتتوكّفـون الأخبـار، وتنكصـون عند النـزال، وتفـرّون من القتـال... فلـمّا اختـار الله لنبيّـه دار أنبيائـه، ومـأوى أصفيائـه، ظهـر فيكـم حسـكة (حسيكة) النفـاق، وسـمل جلبـاب الديـن، ونطـق كاظـم الغاويـن، ونبـغ خامـل الأقلّـين، وهـدر فنيـق المبطلـين، فخطـر في عرصاتكـم، وأطلـع الشـيطان رأسـه مـن مغـرزه هاتفـاً بكـم، فألفاكـم لدعوتـه مسـتجيبين، وللغـرّة فيـه ملاحظـين،**

ثـمَّ استـنهضكم فوجدكـم خفافـاً، وأحمشـكم فألفاكـم غضابـاً، فوسـمتم غـير إبلكـم، ووردتـم غـير مشربكـم هـذا والعهـد قريـب والكلـم رحيـب، والجـرح لّمـا يندمـل، والرسـول لّمـا يُقـبر، ابتـداراً زعمتـم خـوف الفتنـة، ألا في الفتنـة سـقطوا وإنَّ جهنـم لمحيطـة بالكافريـن، فهيهـات منكـم، وكيـف بكـم، وأنّـى تؤفكـون وكتـاب الله بـين أظهركـم، أُمـوره ظاهـرة، وأحكامـه زاهـرة، وأعلامـه باهـرة، وزواجـره لايحـة، وأوامـره واضحـة، (و) قـد خلّفتمـوه وراء ظهوركـم، أرغبـة عنـه تريـدون؟ أم بغيره تحكمـون؟ بئس للظالمين بـدلاً، ومـن يبتـغِ غـير الإسـلام دينـاً فلـن يقبـل منـه وهـو في الآخـرة مـن الخاسريـن...، حتـى إذا دارت بنـا رحـى الإسـلام، ودرّ حلـب الأيـام، وخضعـت ثغـرة الـشرك، وسـكنت فـورة الإفـك، وخمـدت نـيران الكفـر، وهـدأت دعـوة الهـرج والمـرج، واستوسـق نظـام الديـن، فأنّـى حزتـم بعـد البيـان؟ وأسررتـم بعـد الإعـلان؟ ونكصتـم بعـد الإقـدام؟ وأشركتـم بعـد الإيـمان؟ بؤسـاً لقـوم نكثـوا أيمانهـم مـن بعـد عهدهـم، وهمّـوا بإخـراج الرسـول، وهـم بدؤوكـم أول مـرَّة، أتخشـونهم فـالله أحـقّ أنْ تخشـوه إنْ كنتـم مؤمنين، ألا وقـد أرى أنْ قـد أخلدتـم إلى الخفـض، وأبعدتـم مـن هـو أحـقّ بالبسـط والقبـض، وخلوتـم بالدعـة ونجوتـم بالضيـق مـن السـعة، فمججتـم مـا وعيتـم، ودسـعتم الـذي تسـوغتم، فـإنْ تكفـروا أنتـم ومـن في الأرض جميعـاً فـإنّ الله لغنـي حميـد. ألا وقـد قلـت مـا قلـت هـذا عـلى معرفـة منّـي بالخذلـة (بالجذلـة) التـي خامرتكـم، والغـدرة التـي استشـعرتها قلوبكـم، ولكنّهـا فيضـة النفـس ونفثة الغيـظ، وخـور القنـاة، وبثّـة الصـدر، وتقدمـة الحجـة، فدونكموهـا فاحتقبوهـا دبـرة الظهـر، نقبـة الخـف باقيـة العـار، موسـومة بغضـب الجبـار وشـنار الأبـد،

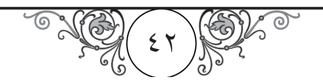


موصولة بنار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة، فبعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون»، فالتفتت فاطمة عليها السلام إلى الناس وقالت: «معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل، المغضية على الفعل القبيح الخاسر، أفلا تتدبّرون القرآن أم على قلوبهم أقفالها؟ كلاّ، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبئس ما تأوّلتم، وساء ما به أشرتم، وشرّ ما منه اغتصبتم! لتجدنّ والله محمله ثقيلاً، وغبّه وبيلاً، إذا كُشف لكم الغطاء، وبان ما وراءه (من البأساء) والضراء، وبدا لكم من ربّكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون».

في هذا النص أوضحت الزهراء عليها السلام للمسلمين المخاطبين بهذا الخطاب، أنَّ مطالبتها بفدك مطلب فرعي، حيث لم تذكره في أَوّل الخطبة، وكان خطابها عن حقيقة الدين وأُصوله، وواجب المسلمين كلٌّ بحسب موقعه ومنصبه، فجعلت من مطلبها بفدك، والذي أُشيع عند أهل المدينة، طريقاً للوصول إلى ما جرى في بيعة الغدير، ونهجاً عقائدياً للوصول إلى أُصول الدين وحقيقته المتمثلة بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[1]، التي ذكر فيها أغلب المفسرين والمؤرخين أنَّها نزلت بعد بيعة الغدير، حيث حمد الرسول صلَّى الله عليه وآله الله تعالى وأثنى عليه أنْ أكمل الدين وأتمَّ النعمة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

خاطبت المسلمين بعدِّهم موضع تطبيق أحكام الله تعالى، فقالت: أنتم

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.



محلّ أمر الله ونهيه، وأنتم من يحمل الرسالة ليبلغها إلى الناس كافة، وأنتم أُمناء على أنفسكم فكيف تخونون أنفسكم؟

ثمَّ بينت الزهراء عليها السلام حقيقة القوم فقالت: «... **فلمّا اختار الله لنبيّه دار أنبيائه، ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة (حسيكة) النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ خامل الأقلّين، وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرّة فيه ملاحظين، ثمَّ استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً**»، هذه هي حقيقتكم، مبطلون، غاوون، خاملون، أقلون، مغرزة الشيطان، وغيرها من الأوصاف، فلا عجب أن حاربتم وأبعدتكم صاحب الحقِّ عن حقِّه، وعدتم كما كنتم، عبدة الأصنام بلباس الدين.

دعاكم الشيطان فوجدكم لدعوته مستجيبين أيما إجابة، ولكن في الوقت نفسه عندما دعاكم رسول الله صلَّى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام قائلاً: كيف تخلفوني فيهما وهما سيردان عليَّ الحوض؟ ظننتم أنَّكم غير ملاقي الله، ففعلتم ما فعلتم بأهل بيته عليهم السلام وذريته من بعده، قتلتم أمير المؤمنين عليه السَّلام وسممت الحسن المجتبى عليه السَّلام وقتلتم الحسين الشهيد عليه السلام وأهل بيته وأصحابه وفعلتم ما فعلتم بواقعة الحرة، كلُّ ذلك لأنَّكم كنتم مستجيبين للشيطان.

إنَّ الذي نستخلصه من خطاب الزهراء عليها السلام أنَّها من بقية الله التي أبقاها للمسلمين مع الأئمة الهداة المهديين، وهي خامس أصحاب

الكسـاء، الذيـن أذهـب الله عنهـم الرجـس وطهرهـم تطهـيراً، بنـص كتابـه الخالـد القـرآن الكريـم وسـنة نبيّـه صـلَّى الله عليـه وآلـه.

لقـد شـخَّصت الزهـراء عليهـا السـلام حقيقـة المسـلمين في وقتهـم ومـا سـيؤول إليـه أمرهـم، وهـذا الـذي نمـرُّ بـه كان بسـبب تلـك السـقيفة التـي هدمـت أكثـر مـا بنـاه النبـيُّ الأكـرم صـلَّى الله عليـه وآلـه.

إنَّنـا بحاجـة إلى الرجعـة والعـود إلى خطـاب أهـل البيـت عليهـم السـلام وخطـاب الخطبـة الفدكيـة وبيعـة الغديـر نجسـدها في أقوالنـا وأفعالنـا، وأنْ تكـون الخطبـة لنـا دسـتوراً نتوارثـه ولـد عـن أب وعـن جـد حتـى يـرث الله الأرض ومـن عليهـا، وآخـر دعوانـا أن الحمـد لله ربِّ العالمـين وصـلَّى الله عـلى محمّـد وآلـه الطيبـين الطاهريـن.

المصادر:

١- القرآن الكريم

٢-اثنتا عشرة رسالة / الداماد - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

٣- البداية والنهاية/ لابن الأثير - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

٤- بحـار الأنـوار / العلامـة المجلسـي - منشـورات الأعلمـي الطبعـة الأولى ٢٠٠٨م.

٥- دعائـم الإسـلام/ القـاضي النعـمان المغـربي - المكتبـة الشـاملة قـرص حاسـوب.

٦- الكافي/ الشيخ ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني - دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٧٥هـ ش الطبع السادسة.

٧- مجمع البيان/ الفضل بن الحسن الطبرسي - مؤسسة التأريخ العربي الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

٨- مسند أحمد/ أحمد بن حنبل - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

٩- المعجم الكبير/ سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني- المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٠- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب/ محمد الريشهري - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١١- النجم الثاقب/ الشيخ حسين الطبرسي النوري - انتشارات لسان الصدق قم المقدسة الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

١٢- السيدة فاطمة عليها السلام/ محمد بيومي - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٣- عيون أخبار الرضا/ الشيخ أبو جعفر الصدوق - منشورات الأعلمي الطبعة الثانية ٢٠١٣م.

١٤- فرائد السمطين/ العلامة الجويني الشافعي - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٥- الرياض النضرة في مناقب العشرة/ أحمد بن عبد الله بن محمد



محب الدين الطبري - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٦- تاريخ دمشق/ علي بن الحسن المعروف بابن عساكر - المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٧- تاريخ الطبري/ محمد بن جرير الطبري- المكتبة الشاملة قرص حاسوب.

١٨- تحف العقول عن آل الرسول/ لابن شعبة الحراني.

حادثة الغدير في قراءة رواياته من خلال كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

الباحثة زينب علي أمحيل

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الذي به نستعين في السراء والضراء، بسم الله الذي نتوكل عليه في كل أمورنا، ونصلي ونسلم على نبيه الأمي الذي علم العالم فكان أنصحهم لسانا وأكثرهم بيانا، وآلة الطيبين المنتجبين الأبرار.

ما بعد،

حظيت حادثة الغدير برؤيا معرفية وفكرية نقلها ووثق لها الأوائل ممن اهتم لنقل الاخبار والروايات والحديث النبوي فأصبح هناك تراث إسلامي ضخم يهتم لوقائع الإسلام وضمن هذا العنوان اندرج رواة واخباريين صنفوا والفوا في تاريخ الإسلام والمسلمين ومن ضمن هذه المؤلفات جاء كتاب ابن عساكر كموسوعة تاريخية محلية لمدينة دمشق نقل فيه إحداث كثيرة وما يميز هذا الكتاب انه يقدم الأحداث التاريخية وفق مصادرها الأولية مما يؤكد على حقيقة ما نقل او سمع ودون في كتابه عن رواته ومصادره ومن مواضيعه المهمة والملفتة للنظر موضوع حادثة

الغديـر، فبينـما الكتـاب يتحـدث عـن مدينـة دمشق ورجالها وكل مـن دخلهـا وخـرج منهـا او درس فيهـا، كان يـؤرخ لهـم او ينقـل جـزء مـن أخبارهـم التـي حدثـوا بهـا او كانـوا يقصونهـا للأجيـال بطريقتهـم الخاصـة، ومـن هنـا تـأتي الأهميـة لدراسـة كل وقائـع الإسـلام والمسـلمين ومقارنتهـا وفـق مـا نقلـت عنـد الموسـوعات التاريخيـة المحليـة وكتـب التاريـخ العامـة والكتـب الرجاليـة وغيرهـا، ومـن هـذا السـياق يكـون هنـاك اسـتقراء واقعـي للتاريـخ بصـورة مركـزة واقعيـة وطموحـة تجـاه الحقيقـة.

ومـن هـذه الموسـوعة آخرتنـا دراسـة موضـوع بحثنـا (حديـث الغديـر ورواياتـه عنـد ابـن عسـاكر في كتابـه تاريـخ مدينـه دمشـق). ووفـق طبيعـة المـادة التاريخيـة في كتـاب مدينـه دمشـق قسـم البحـث الى اربـع محـاور.

فالمحـور الأول سـنتحدث فيـه عـن ابـن عسـاكر وحياتـه ومنهجـه في تأليـف الكتـاب، أمـا المحـور الثـاني حمـل عنـوان: الغديـر مـن خـلال مرويـات ابـن عسـاكر، والمحـور الثالـث فسـيكون عـن أحاديـث الغديـر عنـد ابـن عسـاكر، في حـين المحـور الرابـع سيسـتعرض رواة حادثـه الغديـر عنـد ابـن عسـاكر.

أمـا بشـأن المصـادر التـي اعتمـد عليهـا البحـث فجـاءت متنوعـه، بـين كتـب التاريـخ العـام، وكتـب التفسـير، وكتـب الحديـث، وكتـب السـيرة النبويـة، وبعـض المراجـع التـي تعـزز مـن افـكار هـذه الحادثـة، ومـن الله التوفيـق

المحور الأول: - أبن عساكر وحياته ومنهجه في تأليف الكتاب

أن ابـن عسـاكر تفسـح لـه التراجـم والمصـادر مـا يشـير الى عظيـم منزلتـه

ومكانــة فنكتفــي في ذلــك بالتعــرف عــلى حياتــه، وشــخصية العلميــة.

اسمه ومولده وحياته:-

هــو عــلي بــن الحســن بــن هبــة الله بــن عبــد الله بــن الحســين، ابــو القاســم ولــد في المحــرم، في أول الشــهر ســنه تســع وتســعين واربعمئــة في دمشــق (١).

أخــذ العلــم والفقــه منــذ الحداثــة بدمشــق حــين عــاش في بيــت جليــل، وقــد كان أبــوه الحســن بــن هبــه الله شــيخا صالحــا وعــدلا، محبــا للعلــم، مقــدرا للعلــماء، مهتــما بأمــور الديــن والفقــه، كان للبيئــة التــي نشــأ فيهــا الحافــظ ابــن عســاكر أثــر كبــير في اتجاهــه نحــو العلــم ونبوغــه فيــه، فقــد نبــت في بيــت قضــاء وحديــث وفقــه، وكان الأف هــذا البيــت مــن كبــار علــماء دمشــق وقضاتهــا، فــما راى ابــن عســاكر منــذ نشــأته غــير العلــماء، ومــا وعــى غــير العلــم (٢).

تفقــه في حداثتــه بدمشــق عــلى يــد اعمــدة أهــل الشــام ومفتيهــم، وكان قــد لازم الغــزالي مــده مقامــه بدمشــق، وقــد نقــل ابــن عســاكر عــن الغــزالي قولــه في أبي الحســن الســلمي: خلفــت بالشــام شــابا إن عــاش كان لــه شــان، فــكان كــما نغــرس فيــه، ودرس بحلقــه الغــزالي مــده، ثــم ولي التدريــس في المدرســة الأمينيــة في ســنه أربــع عــشر وخمســمئة، وهــي اول مدرســه شــافعيه بنيــت في دمشــق، وكان ســلمي ثقــه ثبتــا عالمــا بالمذاهــب والفرائــض، وكان ابــن عســاكر يــتردد عليــه ويحــضر دروســه في المدرســة الأمينيــة ويســتمع إليــه (٣).

ولــه العديــد مــن المؤلفــات لا يســع المجــال لذكرهــا، وبــذل جهــده في طيلــة حياتــه، حيــث أشــتهر أســمه في الأرض، ولم يكــن لــه نظــير في زمانــه، مــن حيــث



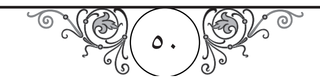
سعة علمه ودأبه على العمل، ولم يزل طول عمره مواظبا على صلاة الجماعة ملازما لقراءة القران مكثرا من النوافل والأذكار، والتسبيح أناء الليل وأطراف النهار، وكان يختم كل جمعه ولم ير إلا في اشتغال بيحاسب نفسه على ساعه تذهب في غير طاعه (٤)

ويبقى منكبا على التأليف والتصنيف والتدريس، وكان الملك محمود بن زنكي نور الدين قد بني له دار الحديث النوريه، فدرس بها الى حين وفاته، وغير ملتفت الى غيرها، ولا متطلع الى زخرف الدنيا ولا ناظر الى محاسن دمشق ونزهها، بل لم يزل مواظبا على خدمة السنه والتعبد باختلاف أنواعه، صلاة وصياما واعتكافا وصدقه، ونشر علم وتشييع الجنائز، وصلات رحم الى حين قبض (٥).

توفي في رجب سنه إحدى وسبعين وخمسمئة ليلة الأثنين حادي عشر الشهر وصلى عليه القطب النيسابوري، وحفره صلاح الدين، ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير(٦).

وقال العماد:(وكان الغيث قد احتبس في هذا السنه، فدر وسح عند ارتفاع نعشه، فكأن السماء بكت عليه بدمع وبله وطشه) (٧).

كانت مكانته كبيره بين العلماء والمؤرخين والمحدثين أذا يقول عنه ابن خلكان:(كان محدث الشام في وقته، ومن اعيان الفقهاء الشافعيه، غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه الى ان جمع منه مالم ينتفق لغيره) (٨).



وقال السبكي:(هو الشيخ الامام، ناصر السنه وخادمها، وقامع جند الشيطان بعساكر اجتهاده وهادمها، إمام أهل الحديث في زمانه، وختام الجهابذة الحفاظ، ولا ينكر أحد منه مكانه محط رحال الطيبين، وموئل ذري الهمم من الراغبين، والواحد الذي اجتمعت عليه الامه، والبحر الذي لا ساحل له)(٩).

وقال سعد الخير:(ما رأيت في سن ابن عساكر مثله)(١٠).

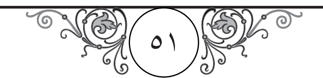
وقال القاسم بن عساكر:(سمعت التاج المسعودي يقول:سمعت أبا العلاء الهمذاني يقول لرجل أساذنه في الرحله قال:إن عرفت أحدا افضل مني حينئذ أذن لك أن تسافر إليه إلا أن نسافر الى ابن عساكر فأنه حافظ كما يجب)(١١).

وقال شيخه الخطيب ابو الفضل الطوسي:(ما نعرف من يستحق هذا اللقب سواه -يعني لفظة الحافظ).

تاريخ مدينه دمشق:-

قد خلد ابن عساكر تاريخه الكبير المسمى بـ(تاريخ مدينه دمشق) وجعلة في مرتبه قلما وصل إليها غيره، وإنه أتى في تاريخه هذا بالعجب العجاب وبما يدهش الناظر فيه من سعه إحاطته بشؤون الحديث، ولم يسبقه في ذلك غيره لا قبله ولا بعده،

وهذا التاريخ أعظم تاريخ كتب لمدينه من المدن وجعله على نسق (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي، وقد تراجم فيه امه كثيره لها علاقه



ما بمدينة دمشق، فقف عند أي معجم من تراجم الرجال التي يعرض ترجمة ابن عساكر نجده مليا بالثناء على تاريخ الكبير هذا واطرائه بالعظيمة والشموخ.

فيقول في حقه ابن كثير:(صنف تاريخ الشام ثمانين مجلده فهي باقيه بعده مخلده، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين، فحاز فيه قصب السبق، ومن نظر فيه وتأمله راى ما وصفه فيه وأصله، وحكم بأنه فريد دهره في التواريخ وانه الذروة العليا في الشماريخ)(١٢). والسبكي:(له تاريخ الشام في ثمانين مجلدة او أكثر، أبان فيه عما لم يكتمه غيرة وإنما عجز عنه، ومن طالع هذا الكتاب عرف الى اي مرتبه وصل هذا الأمام واستقل الثريا ومارخئ بدر التمام) (١٣).

والنعيمي:(وصنف التصانيف الجليلة منها «تاريخ دمشق» في ثمانين مجلدا، ومن تصفحه علم منزلته في الحفظ)(١٤)

أبن الجوزي:(صنف تاريخا لدمشق عظيما جدا يدخل في ثمانين مجلدة كبارا)(١٥).

ويقول ابن خلكان:(صنف التصانيف المفيدة وخرج التخاريج وكان حسن الكلام على الأحاديث محفوظا في الجمع والتأليف، صنف التاريخ الكبير لدمشق في ثمانين مجلد اتئ فيه بالعجائب، وهو على نسق تاريخ بغداد قال لي شيخنا الحافظ العلامة زكي الدين ابو محمد عبد العيظم

المنذري حافظ مصر وقد جرئ ذكر هذا التاريخ واخرج لي الاعزم على وضع هذا التاريخ من يوم عقل على نفسه وشرع في الجمع من ذلك الوقت الا فالعمر يقصر عن ان يجمع فيه عليه عرف حقيقة هذا القول ومتى يتسع الإنسان الوقت حتى يضع مثله، وهذا الذي ضهر هو الذي اختاره، وما صح له هذا إلا بعد مسودات ما يكاد ينضبط حصرها، وله غيره من تواليف حسنه وجزاء فمتعه)(١٦).

ويتحدث الحافظ في مقدمة عن الكتاب وعمله ونهجه فيه فقال: «اما بعد، فاني كنت بدأت قديما بالاعتزام، لسؤال من قابلت سؤاله بالامتثال والالتزام على جمع تاريخ لمدينه دمشق، ام الشام، فيه ذكر من حلها من الاماثل والأعلام، فبدات به عازما على الإنجاز له والإتمام، فعاقت أنجازه وإتمامه وعوائق الايام من شدة الخاطر وكلال الناظر وتعاقب الالام، فصدفت عن العمل به برهه من الأعوام، حتى كثر علي في إهمال وتركته لوم اللوام، وتحشيم من تحشمه سبب لوجود الاحتشام، وظهر ذكر شروعي فيه حتى خرج عن حد الاكتتام، وامتشر الحديث فيه بين الخواص والعوام، وتطلع الى مطالعته اولو النهى ودوو الأحكام، ورقي خبر جمعي له الى حضرة الملك وانتهى من تصنيفه مرحلة الأولى سنه ٥٤٩ هجريا، وبلغ خمسمئة وسبعين جزءا ثم اخذ يزيد فيه، ويضم إليه ما يستجد عنده حتى تمت نسخته الجديدة والمؤلفة من ثمانين مجلدا سنه ٥٥٩ هجريا، وقدر د. المنتجد ان الحافظ سلخ في تأليف تاريخه ثلاثين سنه واقل قليلا (١٧).



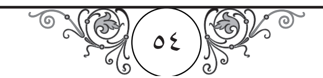
ويقول ياقوت الحموي:(وجمع وصنف، ضمن ذلك، كتاب تاريخ دمشق وأخبارها واخبار من حلها اوردها في خمسمئة وسبعين جزءا من تجزئه الأصل، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزء)(١٨).

ويقول الذهبي:(وصنف وجمع فاحسن فمن ذلك تاريخه في ثمان مئة جزء قلت: الجزء عشرون ورقه، فيكون سته عشر الف ورقه)(١٩).

وفي تقديمة د. شكري فيصل، تاريخ مدينه دمشق مظهرا مكانته بين كتب التراث بعامة ومكانته، من كتب التاريخ بخاصه، ومكانته من التاريخ لبلاد الشام بوجه أخص يقول: (إنه يؤرخ لجوانب من الجاهلية من حيث ترجم الرجال من الجاهليين والمخضرمين، عرفوا دمشق وأعمالها او حلو بها واجتازوا بنواحيها من وارديها وأهلها، كما يقول في عنوان كتابه، ثم هو يؤرخ سيرة النبوية بجوانبها والذين اتصل بها ونتج عنها وما كان فيها من احداث)(٢٠).

المحور الثاني:- الغدير من خلال مرويات أبن عساكر.

في شوق غامر يملا القلوب تطلع المسلمون الى اللقاء العبادي السياسي الذي لم يشهد التاريخ له نضيرا له من قبل عندما تحرك موكب الرسول صلى الله عليه وآله في أواخر شهر ذي القعدة من سنه العاشرة للهجرة باتجاه مكة ليؤدي مناسك الحج وحيث اللقاء العبادي وتحت رايه واحده يرددون شعاراً واحدا.

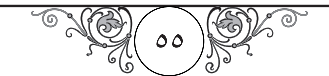


وكان الإمـام عـلي «عليـه السـلام» في اليمـن وقـد كتـب الرسـول (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، للأمـام عـلي «عليـه السـلام» يأمـره بالقـدوم والالتحـاق بـه في مكـة ليحـج معـه وأسرع الإمـام عـلي «عليـه السـلام» بالخـروج مـن اليمـن.

وقـد روي عـن زيـد أبـن الأرقـم قـال: نـزل رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، بـين مكـة والمدينـة عنـد سـمرات خمـس دوحـات عظـام فكنـس النـاس مـا تحـت السـمرات، ثـم راح رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) فصـلى، ثـم قـام خطيبـا، فحمـد الله واثنـى عليـه، وذكـر ووعـظ وقـال مـا شـاء الله ان يقـول، ثـم قال:«يـا ايهـا النـاس إني تـارك فيكـم أمريـن لـن تضلـوا اذا أتبعتموهمـا كتـاب الله، وأهـل بيتـي عـترتي» ثـم قال:«أتعلمـون أني أولى بالمؤمنـين مـن انفسـهم؟» ثـلاث مـرات فقـال النـاس نعـم، فقـال رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم):«من كنـت مـولاه فـإن عليـا مـولاه»(٢١).

وكان سـبب نزولـه (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، في هـذا المـكان نزولـه القـران عليـه الـسراء الإلهـي لتنصيـب أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) خليفـه في الأمـه مـن بعـده وقـد كان تقـدم الوحـي إليـه في ذلـك مـن غـير توقيـت لـه فأمـره لحضـور وقـت بأمـن مـن خـلاف القـوم مـن بعـده

وعلـم الله عـز وجـل انـه أن تجـاوز غديـر خـم أنفصـل عنـه النـاس الى بلادهـم وأماكنهـم وبواديهـم في ذلـك الوقـت، فـاراد الله سـبحانه وتعـالى أن يجمعهـم لسـماع النـص عـلى أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) تأكيـد للحجـه عليـه فيـه والوحـي الرسـول الله بعـده.



وان هـذه البيعـة تخـص كل مسـلم بغـض النظـر عـن الانتـماء المذهبـي، لكونهـا الإلهـي، وأمـر ربـاني ولامـه كانـت حديثـه العهـد بالإسـلام جـاء الأمر الإلهـي بواقعـة الغديـر لتـلافي الأخطـار وتهديـد المجتمـع الإسـلامي، وبنفـس الوقـت لكـي لا تـترك الأمـه بـدون قائـدا دنيـا، وسياسـيا، معلـن ومنصـوص عليـه.

وان وصيـة الرسـول (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) في غديـر خـم الأمـام عـلي (عليـه السـلام) سـبقتها وصايـا في التاريـخ. والكتـب السـماوية.

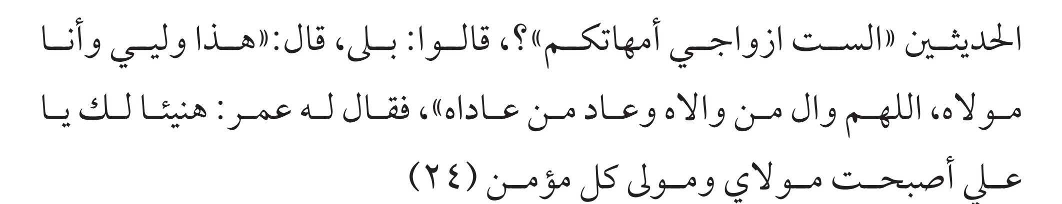
والإمـام عـلي (عليـه السـلام) جمـع فضائـل ومزايـا وكـمالات وسـجايا، لم يجمعهـا إلا. رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، لذلـك كانـت هـذه الواقعـة أعلانـاً حصيلـة مـا جمـع أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام).

روي عـن ابـن حذيفـه بـن أسـيد قـال: لمـا قفـل رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) عـن حجـة الـوداع نهـى أصحابـه عـن شـجرات بالبطحـاء متقاربـات أن نيزلـوا حولهـن، ثـم بعـث إليهـم فصلى تحتهـن، ثـم قـام فقال: «أيهـا النـاس قـد نبـأني اللطيـف الخبـير أنـه ادعـي فأجيـب، وإني مسـؤول وانتـم مسـؤولون فـماذا انتـم تقولـون؟»، قالوا: نشـهد أنـك قـد بالغت ونصحـت وجهـدت فجـزاك الله خـيرا، قال: «الستـم تشـهدون أن لا الـه الا الله وأن محمـد عبـده ورسـوله، وأن جنتـه حـق، ونـاره حـق، وان المـوت حـق، وأن البعـث بعـد المـوت حـق، وأن السـاعة اتيـه لآيـب فيهـا، وان الله يبعـث مـن في القبـور؟» قالـوا بـلى نشـهد يذلـك، قاب: «اللهـم نشـهد»، ثـم قال: «أيهـا النـاس إن الله مـولاي، وأنـا مولـئ المؤمنـين، وإني اولـئ بهـم مـن أنفسـهم، مـن كنـت

مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، ثم قال: «أيها الناس إلي فرط لكم وأنكم واردون على الحوض، حوضي أعرض مما بين بصرى وصنعاء، فيه عدد النجوم قدحان فضه، وأني سائلكم حين تردون علي عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما للثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرفه بأيديكم فأتمسكوا بخ ولا تضلوا ولا تبدلوا، وعترتي آهل بيتي، فأنه قد انباني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يرد علي الحوضي»(٢٢)

روي عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، حتى نزلنا غدير خم مناديا ينادي، فلما اجتمعنا قال: «الست اولئ بكم من انفسكم؟»، قالنا بلى يا رسول الله، قال «الست أولى بكم من أمهاتكم» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الست أولى بكم من أباءكم؟»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «الست أولى بكم، الست الست؟» قلنا: بلى بلى يا رسول الله ثقال: «فمن كنت مولاه فإن عليا بعدي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»، فقال عمر ابن الخطاب: هنيئا لك يا أبن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن (٢٣)

وكذلك عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، في حجة الوداع فكسح لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) تحت شجرتين ث نودي في الناس للصلاة جامعه، فدعا عليا واخذ بيده، فأقامه عن يمينه فقال: «الست أولى بالمؤمنين من أنفسكم؟» قالوا: بلى، قال: «الست أولى بكل مؤمن من نفسه؟»، قالوا: بلى، وفي أحد



الحديثين «الست ازواجي أمهاتكم»؟، قالوا: بلى، قال:«هذا وليي وأنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»، فقال له عمر: هنيئا لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن (٢٤)

ففي رواية عن جابر بن عبد الله قال:«خرج رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حتى نزل بخم فتنخى الناس عنه ونزل معه علي بن أبي طالب، فشق على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وتأخر الناس عنه، فأمر عليا بجمعهم، فلما اجتمعوا قام فيهم وهو متوسد على علي بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس اني قد كرهت تخلفكم وتنحيكم عني حتى خيل إلي أنه ليس شجرة ابغض أليكم من شجرة تليني»، ثم قال:«لكن علي ابن أبي طالب أنزله الله مني بمنزلتي منه، رضي الله عنه كما أنا عنه راضٍ، فأنه لا يختار على قربي وصحبتي شيئا»، ثم رفع يديه ثم قال:«من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه وعاد من عاداه»، وابتدر الناس الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يبكون ويتضرعون إليه ويقولون:يا رسول الله، أنما تنخينا كراهية ان نثقل عليك، فنعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، فرضي عنهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند ذلك، فقال ابو بكر: يا رسول الله، استغفر لنا جميعا، فقال لهم:«ابشروا فو الذي نفسي بيده ليدخلن الجنة من أصحابي سبعون ألفا بغير حساب ومع كل الفِ سبعون الفِا ومن بعدهم مثلهم أضعافاً

»، قال ابو بكر: يا رسول الله زدنا، وكان رسول الله (صلى الله عليه

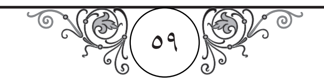
واله وسلم) في موضع رمل، فحفن بيديه من ذلك الرمل ملآ كفيه، ثم قال:«هكذا»، قال ابو بكر:زدنا يا رسول الله، فقال مثل ذلك ثلاث مرات، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، فقال عمر: ومن يدخل النار بعد الذي سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد ثلاث حثيات من الرمل من فضحك رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فقال:«والذي نفسي بيده ما يفي بهذا أمتي حتى يوفي عدتهم من الأعراب»(٢٥).

المحور الثالث:- أحاديث الغدير عند أبن عساكر.

أن حادثه تفصح بوضوح عن أن الولاية مذهب إلهي ويوم الغدير هي تنصيب للولي بأمر من الله لرسوله:«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالة.... »(٢٦)

وهذا يشير الى أن الحكم في الإسلام يعبر عن الحالة التكاملية للامه والخلافة الإلهية للإنسان، وعصمة الأنبياء والأولياء من جملة ما أختص به الشيعة، بأن الأنبياء والأئمة المعصومين من الذنوب صغيرها وكبيرها، وما فوق ذلك، لأن الحاكم الإلهي يتحمل مسؤوليه أقامه الحق، والقسط والعدل بين الناس، وذلك من خلال الالتزام بتطبيق الأحكام الشرعية التي وضعها الله تعالى من أجل أقامه الحق والعدل بين الناس.

وقد صدر من فم رسول الله محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، المبارك الشريف عدة أحاديث وأحكام شرعيه مهمه أدلى بها النبي (صلى الله



عليه واله وسلم) كانت غير متوقعه لبعض الصحابة، وهو تعيين خليفه وإمام مفترض الطاعة، لذلك وقع هناك الكثير من الخلافات والمداهمات، بسبب حب الآنه وترك السنه والكتاب كل واحداً منهم يميل حسب هواه وميوله السياسي، والعقائدي، والفكري، ضناً منهم أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عملة برئيه خلاف السنه والقران، ولهذا السبب أصبحنا نعاني من الفرقة والاختلاف من يوم الغدير حتى عصرنا الحالي تاركين الآيات التي نزلة بحق الإمام علي «عليه السلام» والتي بينت لنا مكانة ومنزلته من الله.

روي عن الإمام علي أبن موسى الرضا (عليه السلام) عن بيه، عن جده جعفر عن ابيه، عن جده علي أبن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهن السلام)، عن امة فاطمه (عليها السلام):قالت:قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):«من كنت وليه فعلي وليه»(٢٧).

روي الخطيب البغدادي عن أبن عباس قال:أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، قال:«من كنت مولاه فعلي مولاه»(٢٨).

في رواية عن بريده قال: بعث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعثتين الى اليمن على أحداهما علي بن أبي طالب، وعلى الآخر خالد بن الوليد فقال: وإذا التقيتم فعلي على الناس، وأن افترقتما فكل واحدٍ منكما على جنده»، قال:فلقينا بني زيد من أهل اليمن، فاقتتلنا على أمرأه من السبي قال بريدة فكتب معي خالد ابن الوليد الى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يخبره بذلك فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله فقلت:

يـا رسـول الله هـذت مـكان العائـذ، بعثتنـي مـع رجـل وامرتنـي أن أطيعـه، فبلغـت مـا أرسـلت بـه، فقـال الرسـول (صـلى الله عليـه والـه وسـلم):«لا تقـع في عـلي فانـه منـي وأنـا منـه، وهـو وليكـم بعـدي»(٢٩).

وجـاء لـدى أبـن حنبـل يـروي عـن أبـن بريـده عـن أبيـه قـال: وفي حديـث وكيـع قال:قـال رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم):«من كنـت وليـه فـإن علي وليــه»(٣٠).

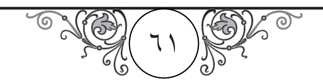
وعـن أبـا هريـره، عـن عمـر ابـن الخطـاب قال:قـال رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم):«من كنـت مـولاه فعـلي مـولاه»(٣١)

عـن أبـن بريـده، عـن رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) قال:«مـن كنـت وليـه فعـلي وليـه»(٣٢)

وعـن جابـر قـال: سـمعت رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، يـوم غديـر خـم يقـول: «مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه»(٣٣)

عـن عبـد الله بـن محمـد بـن عقيـل قـال: كنـا عنـد جابـر بـن عبـد الله، وعنده محمـد بـن الحنفيـة، فجـاء رجـل مـن أهـل العـراق فقـال: انشـدك بـالله يـا جابر إلا أخبرتنـي مـا سـمعت مـن رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، قـال جابر:كنـا مـع رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) فخـرج مـن خبـاء او فسـطاط، فقـال: «مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه»(٣٤)

وجـاء لـدى الخطيـب البغـدادي عـن أنـس قـال: سـمعت رسـول الله(صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، يقول:«مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه، اللهـم وال مـن



والاه وعـاد مـن عـاده»(٣٥).

في روايـة تقول:(اقبـل عـلي وعمـر جالـس في مجلسـه، فلـما راه عمـر تضعضع وتواضـع، وتوسـع لـه في المجلـس فلـما قـام عـلي قـال بعـض القـوم: يـا أمـير المؤمنـين انـك تصنـع بعـلي صنيعـاً مـا تصنعـه بأحـدٍ مـن أصحابـه محمـد، قـال عمـر: ومـا رأيتنـي اصنـع بـا؟، قـال: رأيتـك كلـما رأيتـه تضعضعـت وتواضعـت واوسـعت حتـى يجلـس، قـال: ومـا يمنعنـي والله أنـه لمـولاي ومـولى كل مؤمـن)(٣٦)

شـهدت علياَ في الرحبـة يشـهد الناس:أنشـد الله مـن سـمع رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) يقـول يـوم غديـر خم:«مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه»، لمـا قـام، نشـهد، قـال عبـد الرحمن:فقـام أثنـا عـشر بدريـاً، كأني أنظـر الى أحدهـم، فقالـوا:

نشـهد أنـا سـمعنا رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) يقـول يـوم غديـر خم:«السـت أولى بالمؤمنـين مـن أنفسـهم، وأزواجـي أمهاتهـم؟»، فقلنـا: بـلى يـا رسـول الله، قال:«مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه، اللهـم وال مـن والاه وعـاد مـن عـاداه»(٣٧).

روي عـن عـمار أبـن يـاسر عـن رسـول الله (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) قـال:«اوصي مـن أمـن بي وصدقنـي بولايـة عـلي أبـن ابي طالـب، مـن تـولاه، فقـد تـولاني ومـن تـولاني فقـد تـولى الله، ومـن احبـه فقـد أحبنـي ومـن أحبنـي فقـد أحـب الله»(٣٨).

وعـن ابـن عبـاس قال:قـال رسـول الله (صـلى الله عليـه واله):مـن أسره أن يحيـا حيـاتي ويمـوت ممـاتي، ويسـكن جنـه عـدن غرسـها ربي، فاليـوم عليـاً مـن بعـدي، واليـوال وليـه، وليقتـد بالأئمـة مـن بعـدي، فإنهـم عـترتي خلقـوا مـن طينتـي، رزقـوا فهـماً وعلمنـاً، ويـل للمكذبـين بمفصلهـم مـن أمتـي، القاطعين فيهـم صلتـي لا أنالهـم الله شـفاعتي»(٣٩).

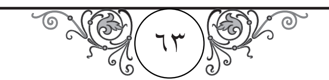
روي عـن الشـافعي يقـول في معنـى قـول النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، لعـلي بـن ابي طالـب: «مـن كنـت مـولاه فعـلي مـولاه» يعنـي بذلـك ولاء الإسـلام وذلـك قـول الله عـز وجل:«ذلـك بـأن الله مـولى الذيـن أمنـو وإن الكافريـن لا مـولى لهـم»(٤٠).

وأمـا قـول عمـر بـن الخطـاب لعـلي: أصبحـت مـولى كل مؤمـن، ويقـول ولي كل مسـلم.

فـروي عـن أبي الاعـرابي قـال: المـولى المالـك، وهـو الله، والمـولى الشريـك، والمـولى الحليـف، والمـولى المحـب، والمـولى اللـوي، المـولى الـولي، ومنـه قـول النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم):«من كنـت مـولاه فعـلي مـولاه» معنـاه مـن تـولاني فاليتـول عليـاً» (٤١)

قـال ثعلـب: وليـس هـو كـما تقـول الرافضـة:إن عليـاً مـولى الخلـق، ومالكهـم وكفـرت الرافضـة في هـذا، لأنـه يفسـد مـن بـاب المعقـول، لانـا رأينـاه ولكنـه مـن بـاب المحبـة والطاعـة (٤٢).

قـول ابـن عسـاكر عـلى كلام ثعلـب قـال يـدل عـلى أن المـولى والولى:المحب،





ما (٤٣).

وعن أحمد أبن حنبل: أن البني (صلى الله عليه واله وسلم) قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، قال: فزاد الناس بعد: وال من والاه وعاد من عاداه (٤٤).

ولكن أن أهم ما ينبغي معرفته في الحديث هو المراد بكلمة (مولاه) فإنها أذا اتضح معناها صار معنى هذا الحديث واضحاً جلياً، لأن باقي ألفاظ الحديث وأضحه لا نزاع فيها.

والمولى كلمه لها معان كثيره كما في لغة العرب، منها: الرب الملك، والسيد، والعبد، المنعم، المنعم عليه، والمعتق والناصر، والحب، التابع، الجار، وأبن العم، والحليف، والعقيد، الصهر، والولي الذي يلي عليك أمرك (٤٥).

وقال أبن الاثير بعد تعداد المعاني المذكورة، وأكثرها قد جاء في الحديث، فيضاف كل واحدٍ الى ما يقتضيه الحديث الوارد فيه، وكل من ولي أمراً أو قام به فهو مولاه ووليه كما في قول عمر: لعلي (أصبحت مولى كل مؤمن، أي ولي كل مؤمن)(٤٦).

يروي ابن ماجه: المراد بالمولى في الحديث هو الولي، وهو القائم بالأمر، الأولى بالتصرف كقولهم: ولي الطفل، وولي الدم، فلا يراد بالولي إلا الأولى بالتصرف، لان هذا هو المعنى المتبادل عند إطلاق الولي، ولما ورد في كثير من طرق الحديث أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قال: «أيها الناس،

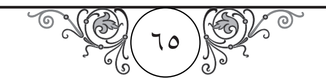
ألست أولى بكم من أنفسكم؟، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه»(٤٧).

ومع أن المولى له معان متعددة ويعرف المراد من اللفظ بالقرينة، ألا أن قوله: «الست أولى بكم من أنفسكم»، يدل بوضوح على أن المراد بالمولى في الحديث هو الأولى بالمؤمنين من انفسهم، ولا يمكن التشكيك في أن هذا هو المعنى المراد في الحديث بعده، ووجود هذه القرينة واضحه جداً.

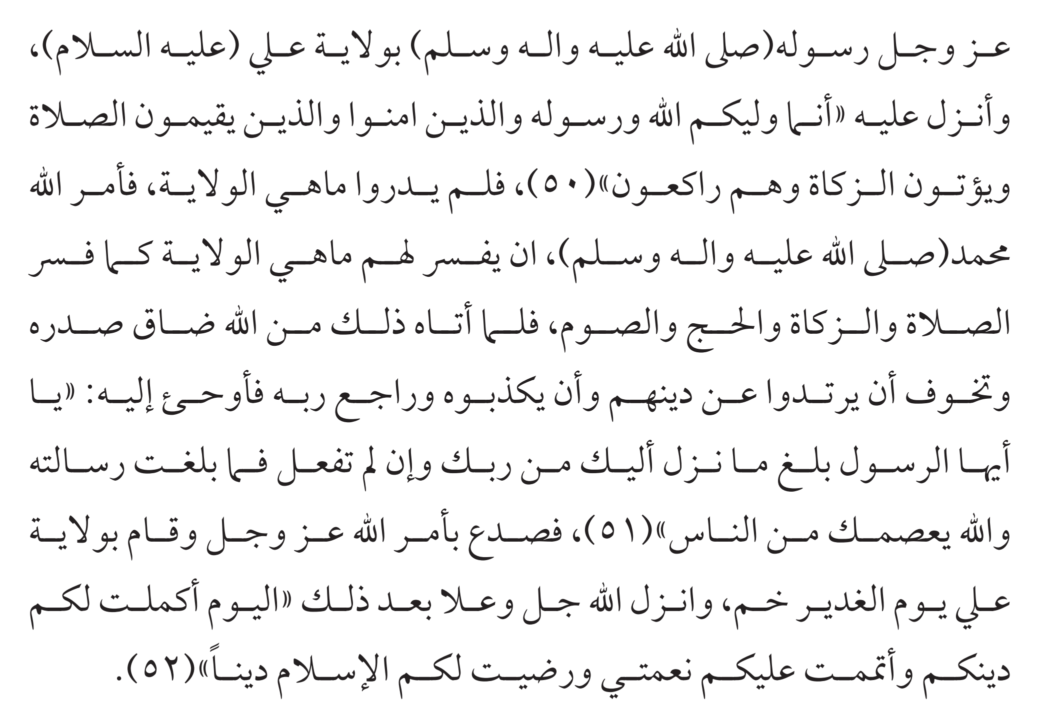
في رواية أخرئ عن أبن كثير في البداية والنهاية ايضاً عن أبي هريره: أنه لما اخذ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بيده علي (عليه السلام) قال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، أنزل الله على النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(٤٨).

وروي عن الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد، عن الإمام الصادق (عليه السلام): أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بعد أن انتهى من خطابه أمر بتنصيب لعلي خيمه، وأمر المسلمين بأن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً ويسلموا عليه بأمرة المؤمنين، ففعل الناس كلهم ذلك، وأمر أزواجه وسائر نساء المؤمنين، ممن معه أن يفعلن ذلك، قال له عمر أبن الخطاب يوم ذاك، بخ بخ لك يا علي أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنه (٤٩).

وجاء في كتاب الكافي، عن الأمام الباقر (عليه السلام) انه قال: «أمر الله



عز وجل رسوله(صلى الله عليه واله وسلم) بولاية علي (عليه السلام)، وأنزل عليه «أنما وليكم الله ورسوله والذين امنوا والذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون»(٥٠)، فلم يدروا ماهي الولاية، فأمر الله محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، ان يفسر لهم ماهي الولاية كما فسر الصلاة والزكاة والحج والصوم، فلما أتاه ذلك من الله ضاق صدره وتخوف أن يرتدوا عن دينهم وأن يكذبوه وراجع ربه فأوحئ إليه: «يا أيها الرسول بلغ ما نزل أليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس»(٥١)، فصدع بأمر الله عز وجل وقام بولاية علي يوم الغدير خم، وانزل الله جل وعلا بعد ذلك «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً»(٥٢).



وعلى أي حال، فقد روحي حديث الغدير بنصه الذي ذكرناه معظم المؤرخين والمفسرين والمحدثين من الفريقين السنه والشيعة، حتى أصبح من الأحاديث المتواترة التي لاشك ولا ريب في صدورها على لسان النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، بين جميع المسلمين.

وهنا لابد من تأكيد ان معنى الولاية في كلام النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في حديث الغدير هو الحكم، فقد اراد النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، أن يقول:«من كنت مولاه» بمعنى الحكم والقيادة فعلي وليه، والدليل على ذلك هو المقدمة التي سأل فيها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) سؤالاً تقريرياً ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم؟؟

أي أنا الذي أعطاني الله الولاية والحكم والسلطة على المؤمنين حيث

أني أولى بالمؤمن من نفسه، فمن كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه، هذا الولاية التي أعطاني الله أياها فاني أعطيها لعلي من بعدي بأمر من الله فالنبي (صلى الله عليه واله وسلم)، يتحدث عن الولاية بمعنى الحكم وعن الوالي بمعنى الحاكم الذي يحتاج الى النصرة، ويحتاج أن يكون معه الحق حيثما دار في جميع الحالات والضروف.

أننا نؤكد ذلك لأن البعض حاول أن يفسر الولاية بمعنى المحبة والنصرة أي أنه فسر كلام النبي (صلى الله عليه واله وسلم):«من كنت مولاه فهذا علي مولاه» أي من كنت محبه فهذا علي محبه ومن كنت ناصره فهذا علي ناصره، ولكننا نرى أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لو اراد أن يبلغ هذا المعنى فأن النبي لا يحتاج الى كل هذا الإنذار والتهديد الذي ذكرته الآية الكريمة، بحيث هذا بحيث هذا المعنى لا يحتاج الى كل هذا الاجتماع الكبير للمسلمين في قلب الصحراء، وفي يوم شديد الحر، وفي حر الظهيرة، ولا يحتاج الى كل هذا الجهد والمعاناة التي عاناها المسلمون عندما حطوا رحالهم في الصحراء تحت حر الشمس الشديد فلابد من أن يكون الأمر الذي يبلغه النبي (صلى الله عليه واله وسلم) للمسلمين في غايته الأهمية، وأسمى وأكبر من مجرد الحب والنصرة، والمودة وما الى ذلك، وليس ذلك الأمر إلا الولاية التي هي بمعنى الحكم والقيادة والخلافة والتي هي امتداد لولاية النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وحكمه، والتي بها يضمن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، مستقبل الإسلام ومستقبل الأمه من بعده.

رويه عن أبي هريره قال: من صام يوم ثماني عشره من ذي الحجه كُتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدير خم لما أخذ النبي (صلى الله عليه واله وسلم) بيد علي بن أبي طالب فقال: «الست ولي المؤمنين؟»، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من كنت مولاه فعلِي مولاه»، فقال عمر أبن الخطاب: بخٍ بخٍ لك يأبن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم، فأنزل الله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم» ومن صام يوم سبعه وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً، وهو أول نزول جبرئيل بالرسالة (٥٣).

المحور الرابع: -رواة حادثه الغدير عند أبن عساكر.

حديث الغدير هو حديث متواتر سطر في كثير من الكتب الإسلامية على مر التاريخ عند السنه والشيعة كما أن بعض فقرات الحديث من قبيل «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» متواتر حيث نقله الكثير من الصحابة والتابعين وتشتهر هذه الواقعة الإسلامية بكثره رواتها وتطابق المسلمين على أصل وقوعها.

فالذين ذكروا وحدثوا بحديث الغدير الذي هو وصيه النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، حسب ما يذكرهم التاريخ هم من الأصحاب (١١٥) صحابياً ومن التابعين (٨٩) وعلى رواية قيل أن عددهم أضعاف عدد الصحابة، واما رواة هذا الحديث من العلماء والمحدثين فيبلغ عددهم (٣٧٠)راوياً.

وهـل سـوف نسـتعرض بعـض مـن اشـهر الـرواة الذيـن رووا حادثـه غدير خـم مـن الصحابـة، والتابعين، والعلماء،، والمحدثـين ممـن ذكرهـم أبـن عسـاكر في كتابـه (تاريـخ مدينـه دمشـق).

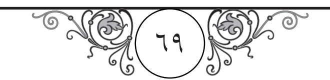
١- أبـا هريره:-عـلى الرغـم مـن شـهرة أبي هريـره الكبـيرة بـين الصحابـة، إلا أن المعـالم الأساسـية لشـخصيته وحياتـه تحيطهـا هالـه مـن الغمـوض، والنمـوذج البـارز لذلـك أن الاختـلاف في ضبط أسـمه ونسـبة بالغ بـين المصادر درجـه بحيـث قبـل: إن اختلافـاً لم يحـدث في ضبـط أسـم شـخص طيلـة التاريخ الإسـلامي كـما حـدث في ضبـط أسـمه، وبـين أسـمائه الأشـهر في الجاهليـة: عبـد شـمس وعبـد غنـم، وفي الإسـلام عبـد الله، وعبـد الرحمـن(٥٤).

كنـاه النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) او النـاس بـأبي هريـره، الأن أن هـذه الكنيـه مأخـوذة مـن مصغـر هـر.

ويـروي ابـن أسـحاق عـن ابي هريـره نفسـه أن اسـمه كان في الجاهليـة عبـد شـمس بـن صخـر، ثـم تغـير في الإسـلام الى عبـد الرحمـن، وقـد دعـاه الرسـول (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)بأبي هريـره (٥٥).

وتـوفي (٥٩، ٥٨، ٥٧) وهـو أبـن ثـمان وسـبعين عامـا، وعـلى مـا يبـدوا أن أبـا هريـره أعتنـق الإسـلام مـع الوفـد اليمنـي الـذي جـاء الى النبـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم) سـنه ٧للهجـره (٦٢٨ م)، وعـرف مـن جملـة مـن أعرضـوا عـن أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام) بعـد صفـين (٥٦).

ومـن جملـة مـن تحدثـوا بحديـث الغديـر، حيـث يوجـد حديثـه مسـند في





تاريخ الخطيب البغدادي، وكذلك عند تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ومناقب الخوارزمي وعدد من ذكروا ما رواه ابا هريره.

٢- البراء بن عازب:- أحد اصحاب الأمام علي (عليه السلام) المتوفى سنه ٧١ او ٧٢، البراء من الأنصار من بني حارث أحد أفخاذ قبيلة الأوس في المدينة (٥٧).

له عدة كنىء ولكن أشهرها أبو عماره (٥٨)، أسلم البراء بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله الى المدينة المنورة، وكان وقتها لا يزال شاباً صغيراً.

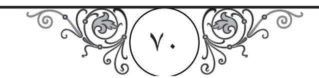
من المحتمل أن أباه اسلم أيضاً (٥٩).

كانت اول معركه شارك فيها البراء هي غزوة الخندق وكان عمره وقتذاك ١٥ سنه (٦٠)، وقد كان البراء من ضمن الحمله التي أرسلها الرسول(صلى الله عليه واله وسلم) الى اليمن في سنه ١٠ هجرياً بقيادة خالد أبن الوليد، وثم أنظم تحت لواء علي (عليه السلام)، الذي كان قد بعثه النبي هصلى الله عليه واله) الى اليمن أيضاً (٦١).

ذكر اليعقوبي أن البراء بن عازب من الذين امتنعوا عن بيعه أبي بكر بعد رحيل النبي (صلى الله عليه واله وسلم)، وهو الذي أخبر بني هاشم بما يجري في سقيفة بني ساعد وهم مشغولون بتجهيز النبي (صلى الله عليه واله وسلم)(٦٢)

ونقل أن البراء كان من الذين بايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) (٦٣)

وقد أشترك الى جانب الأمام علي (عليه السلام) في الجمل وصفين



والنهـروان، وقـد ارسـله الأمـام (عليـه السـلام) الى الخـوارج كـي يدعوهـم أن يعـودوا الى معسـكر الأمـام عـلي (عليـه السـلام) (٦٤).

نقـل الـبراء مجموعـه مـن الأحاديـث النبويـة تـدل بعـض الأحاديـث عـن اهتمامـه سـيرة النبويـة (٦٥)، ومـن الروايـات البـارزة عنـد الـبراء حديـث الغديـر (٦٦) وكان مـن أصحـاب الإمـام عـلي (عليـه السـلام).

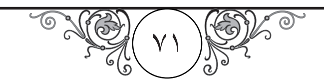
وتـوفي الـبراء أيـام سـيطرة مصعـب أبـن الزبـير عـلى العـراق وقـد تـوفي في الكوفـة او في المدينـة (٦٧)، وكان قـد ذهـب البـصرة في أخـر ايـام حياتـه (٦٨).

٣- بريـدة بـن الحصيـب: أبـو سـهل الأسـلمي (ت٦٢) هجريـاً، هـو الصحـابي بـن الحصيـب بـن عبـد الله بـن الحـارث بـن الأعـرج بـن سـعد بـن عـدي، بـن سـهم بـن مـازن بـن الحـارث بـن سـلامات بـن أسـلم بـن أقـصى، بـن حارثـه بـن عمـرو بـن عامـر الأسـلمي، يكنى:أبـا عبـد الله وقيل:أبـا سـهل وقيل:أبـا الحصيـب، وقيل:أبـا ساسـان، والمشـهور أبوعبـدالله (٦٩).

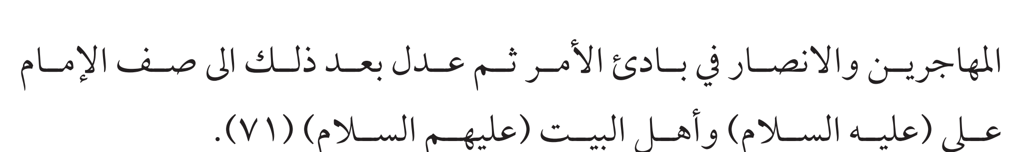
٤-جابـر بـن عبـد الله الأنصاري:مـن أصحـاب البنـي (صـلى الله عليـه والـه وسـلم)، والأمـام عـلي (عليـه السـلام) الذيـن بايعـوه في بيعـه العقبـة الثانيـة، مـن الحفـاظ ومكثـري الحديـث وهـو أول مـن زار قـبر الأمـام الحسـين (عليـه السـلام) وكان جابـر مـن المعمريـن حتـى ادرك الأمـام الباقـر (عليـه السـلام) فأبلغـه سـلام الله صـلى الله عليـه وآلـه.

عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الذي ينتهي نسبه الى الخزرج (٧٠).

لم تتحـدث المصـادر عـن موقـف معـين لجابـر مـن ابي بكـر ولعلـه سـاير







المهاجرين والانصار في بادئ الأمر ثم عدل بعد ذلك الى صف الإمام علي (عليه السلام) وأهل البيت (عليهم السلام) (٧١).

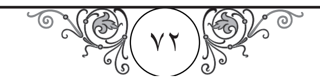
وكان جابر من المقاتلين تحت لوائه (عليه السلام) في فتره خلافه الإمام علي (عليه السلام) (٧٢).

وفي السنه الأخيرة من عمره قرر جابر المجاورة بمكة فلقيه هناك الكثير من كبار التابعين، كعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار وكان قد كف بصره (٧٣).

وذكر المزي مجموعه من الروايات في تحديد تاريخ وفاته حيث قال: مات سنه ٦٨ هجرياً (٧٤).

٥-جرير بن عبد الله البجلي: الأحمسي اليمني الصحابي مشهور (ت١٥١) وقد جرير على النبي (صلى الله عليه واله)، في المدينه وأسلم في رمضان سنه ١٠ هجرياً، وهو الذي حطم صنم بعض القبائل العربيه)، في عهد الأمام علي (عليه السلام) تلقئ جرير بعد حرب الجمل رساله من الأمام علي فبايعه بالخلافه، وذهب الى الكوفه (٧٥)

وأرسله الإمام علي (عليه السلام) سفيراً الى معاويه ليأخذ منه البيعه، لكنه فشل في مهمته وجرئ جدال بينه وبين مالك الأشتر، دفع جريراً لأبتعاد عن الإمام علي (عليه السلام) وغادر الكوف، وعلى الرغم من وقوف جرير على حياد في معوكة صفين إلا أن ميله لعلي (عليه السلام)، كان وراء تشيع البجلين، ويعد من أشهر رواة حديث الغدير (٧٦).



الخاتمة

من خلال البحث تضح أن ابن عساكر حاول أن يقدم حادثه الغدير بطريقه مماثله لمن سبقه في توثيقها ويمكن ملاحظة ذلك وفق النقاط التالية:-

١- الحافظ ابن عساكر عالم متجر، يعد من أعيان القرن السادس الهجري، عرفناه وبمؤلفه تعريفناً مختصراً.

٢- كان ابن عساكر على جانب كبير من الفهم والعلم والذكاء، والحنكة والتجربة ومطلعاً على المذاهب باسرها.

٣- أخرج ابن عساكر هذا الحديث الشريف (حديث الغدير) أزيد من ١٣٠ طريقاً، وهذه ثله مجتمعه في مؤلفه.

٤- ذكر أبن عساكر يوم غدير خم وما جرئ وأورد أحاديث كثيره نقلاً من الصحابة والتابعين عن لسان رسول الله.

٥-ذكر رواة حديث الغدير وما احتوى على مضمون متميز في تفضيل الإمام علي (عليه السلام)، واختصاصه بالولاية.

٦-روئ عن العلماء والمحدثين والمفسرين والمؤرخين، وقدمها بطريقه مماثله عن ممن سبقه، وكلها تشير الى أحقيه الإمام علي (عليه السلام) بالولاية بعد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

ولاشك أن من يعمل عملاً فيسعى فيه سعيه يرتجي أن يكون قد





احسنه وأتمه، ولعلنا نبالغ لو زعمنا أننا وفقناً في هذا البحث غير إننا نرجوا الله أن يُنفع بها ويغفر مازل به الفكر، او عثر به السان والقلم، والحمد لله في المنهتئ كما هو أهل للحمد في المبتدئ.

الهوامش

(١) الذهبي، سير الاعلام، ج٢٠، ص٥٦٢.؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٢١٧.

(٢) ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج١، ص٢٤.؛ ينظر السبكي، الطبقات الشافعية، ج٧، ص٢٢٣.

(٣) ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج١، ص٢٤.؛ ينظر ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٣، ١٣١١؛ الذهبي، سيرة الأعلام، ج٢٠، ص٥٧٠؛ السبكي، طبقات الشافعية، ج٧، ص٢١٧.

(٤)ياقوت الحمويث معجم الأدباء، ج١٣، ص٧٥.

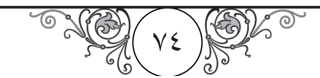
(٥) وفيات الاعيان، ج٣، ص٣٠٩.

(٦) طبقات الشافعي، ج٧، ص٢١٦.

(٧)تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٣١.

(٨)تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٣١.؛ السبكي، طبقات الشافعي، ج٧، ص٢١٧.

(٩) الذهبي، سير الاعلام، ج٢٠، ص٥٦٢.؛ السبكي، طبقات الشافعية،



ج٧، ص٢١٧.

(١٠) ابـن عسـاكر، تاريـخ مدينـه دمشـق، ج١، ص٢٤.؛ ينظـر السـبكي، الطبقـات الشـافعية، ج٧، ص٢٢٣.

(١١) ابـن عسـاكر، تاريـخ مدينـه دمشـق، ج١، ص٢٤.؛ ينظـر ابـن خلگان، وفيـات الأعيـان، ج٣، ١٣١١؛ الذهبـي، سـيرة الأعـلام، ج٢٠، ص٥٧٠؛ السـبكي، طبقـات الشـافعية، ج٧، ص٢١٧.

(١٢)ياقوت الحمويث معجم الأدباء، ج١٣، ص٧٥.

(١٣) وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٩.

(١٤) طبقات الشافعي، ج٧، ص٢١٦.

(١٥)تذكرة الحفاظ، ج٤، ص١٣٣١.

(١٦)تذكـرة الحفـاظ، ج٤، ص١٣٣١.؛ السـبكي، طبقـات الشـافعي، ج٧، ص٢١٧.

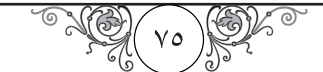
(١٧)البداية والنهاية، ج١٢، ص٣١٤.

(١٨)الطبقات الشافعية، ج٧، ص٧١٦

(١٩) الدراس في تاريخ المدارس، ج١، ص٧٥.

(٢٠) المنتظم، ج٨، ص٢٢٤.

(٢١)وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٠٩.





(٢٢)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، المجلد الأول المقدمة ص٣٣.

(٢٣) معجم الأدباء، ج١٣، ص٧٦.

(٢٤) سير الأعلام، ج٢٠، ص٥٥٨.

(٢٥) ابن عساكر تاريخ مدينه دمشق، المقدمة ص٨٠٧.

(٢٦) ابن عساكر تاريخ مدينه دمشق، ج٢٤، ص٢١٦.

(٢٧)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢٨)ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٢٠.؛ ينضر البلاذري، انساب الاشراف، ج٢، ص٣٥٦.؛ابن كثير، البدايه والنهايه، ج٧، ص٣٦٢.

(٢٩)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٢٥.؛ ينظر أحمد ابن حنبل، مسند احمد، ج٥، ص٣٥٥ كذلك ينظر احمد ابن حنبل، فظائل الصحابه، ج٢، ص٥٩٦؛ ابوبكر القطيعي، زيارات فضائل الصحابه، ج٢، ص٦١٠.؛ الكنجي الشافعي، كفاية الطالب، الباب الأول، ص٥٦.

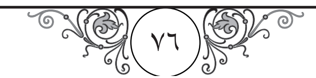
(٣٠) ابن عساكر تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٢٧.

(٣١)سوره المائدة، ايه:٦٧.

(٣٢)ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص١٨٧.

(٣٣)تاريخ بغداد، ج١٢، ص٣٤٣.

(٣٤)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢.؛ ينظر في مسند احمد ابن



حنبل، ج٩، ص٢٤.

(٣٥)احمد ابن حنبل، ج٩، ص٢٤..

(٣٦)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص١٩٠.

(٣٧)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص١٩١-١٩٢.؛ ينظر في ابن المغازلي، مناقب علي بن أبي طالب، ٢٤

(٣٨) ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٢٤.؛ ينظر أبن أبي عاصم، السنه، ص٥٩٠؛ أبن حجر، المطالب العاليه، ج٤ ص٦٠.

(٣٩)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤، ص٢٢٤.

(٤٠)تاريخ بغداد، ج٧، ص٣٧٧.

(٤١)أبن عساكر، تاربخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٥

(٤٢)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق ج٤٢، ص٢٠٧.؛ أحمد ابن حنبل، مسند احمد ابن حنبل، ج١، ص٢٥٢.

(٤٣)ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٩.

(٤٤)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٩.؛ ينظر أبو نعيم، حلية الأولياء، ج١، ص٨٦.

(٤٥)سورة محمد، الايه:١١٨.

(٤٦)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ٢٣٩



(٤٧)ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٨.

(٤٨)ابن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٨.

(٤٩)مسند أحمد أبن حنبل، ج١، ص٣٢.

(٥٠)لسان العرب، ج١، ٤٠٩.

(٥١)النهاية في غريب الحديث، ج٩، ص٢٢٨.

(٥٢)سنن أبن ماجه، ج١، ص٤٣.؛ صحيحه الألباني في صحيح سنن أبن ماجه، ج١، ص٢٦؛ أحمد أبن حنبل، مسند أحمد ج٤، ص٣٧٠.

(٥٣)سورة المائدة، أيه:٣.

(٥٤) الارشاد، ج١، ص١٧٦.

(٥٥)سورة المائدة، الآية:٥٥.

(٥٦)سوره المائدة، الآية:٦٧.

(٥٧)سوره المائدة، الآية: ٣.

(٥٨)أبن عساكر، تاريخ مدينه دمشق، ج٤٢، ص٢٣٣.؛ ينظر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٨، ص٢٩٠؛ أبن كثير، البداية والنهاية، ج٧، ص٣٨٦.

(٥٩) أبن عساكر تاريخ دمشق ج١٩، ص٢٠٦.؛ينظر أبن أسحاق، سير المغازي، ص٢٨٦؛ أبن حجر، الإصابة، ج٤، ص٢٠٤.

(٦٠) السير المغازي، ص٢٨٦.

(٦١)أبراهيم بن محمد، لغارات، ج٢، ص٦٠٧.

(٦٢) المزي، تهذيب الكمال، ج٤، ص٣٤-٣٥.

(٦٣)النيسابوري، الكنى والأسماء، ج١، ص٤٥٤.؛ أبو نعيم الأصبهاني، معرفه الصحابة، ج٣، ص٧١.

(٦٤)أبن سعد، الطبقات الكبرئ، ج٤، ص٣٦٥-٣٦٧.

(٦٥)البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٣٤٤.

(٦٦)الطبري، تاريخ الطبري، ج٣، ص١٣١-١٣٢.؛المفيد، الارشاد، ج١ ص٦٢.

(٦٧) تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص١٢٤.

(٦٨)المفيد، الجمل، ص١٠٢-١٠٣.

(٦٩)الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١، ص١٧٧.

(٧٠)الطبراني، المعجم الكبير، ج٢، ص٩-١٠.

(٧١)البلاذري، أنساب الأشراف، ج٨، ص٢٥٧.

(٧٢)الخوئي، معجم رجال الحديث، ج٣، ص٢٧٧-٢٧٩.

(٧٣)أبن سعد، الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٦٨.

(٧٤)النوري، تهذيب الأسماء وللغات، ج١، ص١٣٢.



(٧٥)أبـن عسـاكر، تاريـخ مدينـه دمشـق، ج١١، ص٢٠٨. ينظـر ابن سـعد، الطبقات الكـبرى، ج٣، ص١٠٤-١٠٥.

(٧٦)الطوسي، اخبار معرفة الرجال، ص٣٨.

(٧٧)الأمـين، أعيـان الشـيعة، ج٤، ص٤٦.؛ الصـدوق، لا يحـضره الفقيـه، ج١، ص٢٣٢

(٧٨)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٣، ص١٩١-١٩٢.

(٧٩)تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج٤، ص٤٥٣-٥٤٥.

(٨٠)ابـن الأثـير، الكامـل في التاريـخ، ج٢، ص٣٦٤؛الذهبـي، سـير الأعـلام الانبـاء، ج٢، ص٥٣.

(٨١)ابن مزاحم، وقعة صفين، ص٢٠-٢٧.

قائمة المصادر والمراجع

١-القران الكريم.

-أبن الأثير: عز الدين ابي الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠ ه)

٢-الكامـل في التاريـخ، ط١، مطبعـة دار الأحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت، ٢٠٠٤م.

٣-النهايـه في غريـب الحديـث والأثـر، ط١، المكتبـة العلميـة، بـيروت، د، ت.

-أبن أسحاق: محمد أبن أسحاق بن يسار المطلبي بالولاء المدني (١٥١ ه)

٤-سير المغازلي، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٦٨ ه/ ١٩٧٨م.

-الخطيب البغدادي: أحمد بن علي ابو بكر (٤٦٣ ه)

٥-تاريخ بغداد، (د، ط)، دار الكتب العلميه بيروت، (د، ت).

-براهيم الثقفي:أبراهيم بن محمد بن سعد بن هلال بن مسعود الثقفي، (٢٨٣ ه).

٦-الغارات، (د، ط) (د، مط) (د، ت).

-البلاذري: احمد بن جابر بن داود، ت (٢٧٩ ه).

٧-أنساب الأشراف، ط١، دار الفكر، بيروت، (د، ط).

-أبن التغري البردي: ابو المحاسن يوسف الأتابكي (ت٨٧٤ ه).

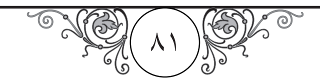
٨-النجوم الزاهره في ملوك القاهره، طبعه مصوره عن طبعه دار الكتب، مصر، (د، ط).

-أبن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١ ه).

٩-الوفيات الاعيان وأنباء الزمان، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

-أبن حجر العسقلاني: شهاب الدين أحمد بن علي (ت٨٥٢ ه).

١٠-المطالب العاليه، ط١، دار العاصمه دار الغيث، السعوديه، ت ١٤١٤





١١-الأصابه، ط١، دار الكتب العلميه، بيروت، ١٤١٥ ه.

-ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد أبن محمد (ت٢٤١ ه).

١٢-مسند أحمد، ط١، لبنان، ١٤٠٣.

١٣-فظائل الصحايه، ط١، لبنان، ١٤٠٣ه -١٩٨٣م.

- الحنبلي: عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي ث (ت١٠٨٩ ه)

١٤-شذرات الذهب، ط١، ابن كثير، دمشق، ت١٤٠٦ ه -١٩٨٦.

-أبن الجوزي:ابو فرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧ه).

١٥-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، (د، ط)، دائرة المعارف العثمانيه، حيدر اباد، ت١٩٣٩م.

١٦-مناقب الأمام أحمد، ط٢، دار الهجر، ت ١٤٠٩ ه.

-الذهبي: شمس الدين عبد الله بن احمد بن عثمان (ت٧٤٨ ه).

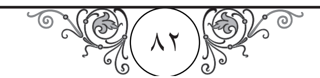
١٧-سير الأعلام الأنباء، ط١ مؤسسة الرساله، بيروت، ١٩٩٣ م.

١٨-تذكرة الحافظ، ط١، بيروت، ١٩٦٥ م.

السبكي: ابو نصير عبد الوهاب بن علي (ت٧٧١ ه)

١٩-طبقات الشافعيه الكبرئ، (د، ط)، مطبعة القاهره ١٩٦٤ ه

-ابن سعد: محمد بن سعد منيع الزهري، (٢٣٠ ه)



٢٠-الطبقات الكبرئ، ط١، لبنان، (١٤١١ ه- ١٩٩١م)

-الصدوق: أبي جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بتبويه (ت٣٨١).

٢١-من لايحظرة الفقيه، ط١، مؤسسته الأعلمي، بيروت، ١٤٠٦ ه -١٩٨٦ م.

-الصفدي: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي (ت٧٦٤ ه)

٢٢-ابوافي بالوفيات، ط٢، دار أحياء التراث العربي، ٢٠٠٠.

-الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير للذهبي الشافعي (ت٣٦٠ ه)

٢٣-المعجم الكبير، ط١، دار للصميعي، الرياض، ١٤١٥ ه -١٩٩٤ م.

-الطوسي: أبي جعفر بن الحسن ت (٤٦٠ ه).

٢٤-أختيار معرفة الرجال، (د، ط)، (د، مط)، (ت١٤٠٤ ه)

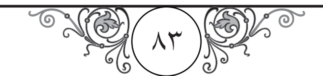
-أبي عاصم: أبو بكر بن ابي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، ت٢٨٧ ه.

٢٥ -السنه، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠

-أبن عساكر: ابي القاسم علي بن الحسن بن هبه الله (ت٥٧١).

٢٦-تاريخ مدينه دمشق، ط١، (د، مط)، (د، ت).

- ابن كثير: ابي النداء أسماعيل بن كثير ت (٧٧٤ ه).



٢٧-البدايه والنهايه، ط١، دار المعرفه لبنان، (١٣٩٦).

-الكنجي الشافعي: محمد بن يوسف بن محمد الكنجي، ت٦٥٨.

٢٨-كفايه الطالب في مناقب علي بن ابي طالب، ط٣، فارابي دار أحياء تراث أهل البيت (ع)، طهران، ١٤٠٤.

-أبن ماجه: ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ ه)

٢٩-سنن ابن ماجه، ط٢، دار الاحياء الكتب العربيه، (د، ت).

صفحه (٢٠)

المفيد: ابي عبد الله محمد بن محمد النعمان، ت ٤١٣ ه

٣٠-الأرشاد، ط٢، موسسة آل ألبيت (ع) لتحقيق التراث دار المفيد لطبع، ت١٤١٤ ه -١٩٩٣م.

-المغازلي: علي بن حمد بن الطيب، ت ٤٨٢ه.

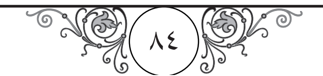
٣١-مناقب علي بن أبي طالب ث ط٣، دار الاضواء للطباعه، د، ت.

-المزي: جمال الدين الحجاج يوسف ت (٧٢٢ ه)

٣٢-تهذيب الكمال، ط٢، مؤسسة الرساله، بيروت، (١٤١٣ ه -١٩٩٢ م)

-ابن مزاحم: نصر بن مزاحم المنقري (٢١٢ ه).

٣٣-وقعة صفين، ط٢، (د، ط) (ت١٣٨٣ ه).



-ابن منضور الانصاري: محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل (ت٧١١)

٣٤-لسان العرب: ط٤، دار صادر، بيروت، ت١٤١٤ ه

-أبو نعيم الانصاري: احمد بن عبد الله بن احمد بن أسحاق بن موسئ بن طهران االصبهاني، ت٤٣٥ ه.

٣٥-معرفة الصحابه، ط١، دار الوطن للنشر، الرياض، (١٤١٩ ه-١٩٩٨م).

٣٦-حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، (د، ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩ ه.

-النعيمي: عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي، ت ٩٢٧ ه.

٣٧-الدراس في تاريخ المدارس، ط١، دار الكتب العلميه، ١٤١٠ ه -١٩٩٠م).

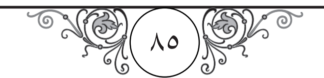
-النووي: ابو زكريا محيي الدين يحيئ بن شرف النووي ت٦٧٦ ه.

٣٨-تهذيب الاسماء واللغات، (د، ط)، دار الكتب العلميه، بيروت (ت، ط).

النيسابوري: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، ت٢٦١ ه

٣٩-الكنئ الأسماء: (د، ط)، ت١٤٠٤ ه -١٩٨٤ م.

-اليعقوبي: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب ت (٢٨٤ ه).





٤٠-تاريخ اليعقوبي، (د، ط)، (د، ت).

-ياقوت الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦ ه

٤١-معجم الادباء، (د، ط)، بيروت، ت ١٩٣٦ م.

المراجع

-الخوئي: ابو القاسم بن علي بن هاشم (ت١٤١١ ه)

٤٢-معجم رجال الحديث، ط٥، (د، م، ط) (ت١٤١٣ ه -١٩٩٣ م).

-الأمين: السيد محسن الامين العاملي (ت. ١٣٧١ه).

٤٣-أعيان الشيعه، (د، ط)، دار التعارف للمطبوعات، (د، ت).

-ابو زهره: محمد احمد مصطفئ احمد، المعروف بأبو زهره ت (١٣٩٤ ه)

٤٤-ابن حنبل، ط١، دار الفكر العربي، القاهره، (ت، ط)

-مصطفئ محمد الشكعه، مصطفئ محمد (ت ٢٠١١ ه).

٤٥-الأئمه الاربعه، ط٣، دار الكتاب المصري، مصر، ت ١٤١١.



٥- محور الدراسات الكلامية والعقدية

- الغدير عند الفرق الكلامية.
- المضامين العقائدية في خطبة الغدير.
- صلة الإمام بالنبوة.

احتجاجات السيدة الزهراء عليها السلام وأثره في مجتمع قريش الغدير أنموذجاً

أ. م. د. أيمان عبد الكريم الطائي

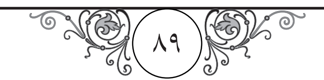
الملخص:

لا يخفى على أحد من المخالفين والمؤلفين أن شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام هي من أهم الشخصيات الإسلامية بعد شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (فاطمة مني فمن أغضبها أغضبني)[1]، وهي زوجة علي بن ابي طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين أول القوم إسلاماً وأعلاهم همة وأكثرهم معرفة وهي أم السبطين هي البتول الطاهرة أكثر شخصية عرفها التاريخ يدور حولها الجدل الكثير حظيت بالبحوث والدراسات والكتابات المختلفة.

وما هذا البحث إلا محاولة بسيطة لتسليط الضوء على شيء يسير لهذه

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، ج٢، ص٢- ٣، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني، مكتبة الخانجي، ودار الفكر، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ج٢، ص٤، تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، د. ت، ج٢، ص٤٦٩.



الشخصية العظيمة من خلال معرفة موقفها من بيعة الغدير.

إنَّ الهدف من الدراسة هو التعرف على موقفها عليها السلام من بيعة الغدير أقوالها وأفعالها التي أوضحت بها موقفها واثار ذلك على المجتمع القريشي حين ذاك.

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي والتاريخي التحليلي ولتحقيق هدف الدراسة حدد البحث بأربعة فصول تناول الفصل الأول موضوع وأهداف وأهمية ومنهجية الدراسة وتحديد المصطلحات الواردة في البحث.

وتناول الفصل الثاني مبحثين الأول حجة الوداع والثاني بيعة الغدير أما الفصل الثالث تناول مبحثين المبحث الأول المواقف التي مرت بالسيدة الزهراء عليها السلام وموقفها من بيعة الغدير بالأخص والمبحث الثاني تناول آثار تلك المواقف للسيدة الزهراء على المجتمع القريشي حين ذاك.

أما الفصل الرابع فتناول الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات ثم ذكر المصادر المعتمدة في مادة البحث.

الفصل الأول

أولاً: موضوع البحث:

إنَّ الثقافة الحديثة يعوزها التربية الدينية فالدراسة اليوم لم تبن على أسس دينية ولم تسر على ضوء التعاليم الإسلامية، وهذا ذنب رجال الحكم والرجال المسؤولين في مجال التربية والتعليم ومن هنا طغت المادة

وانعدمت المثل العليا وماتت الروحيات فأصبح الإيمان بها، بنظر التجدد اللاديني الأهوج، ضئيلاً جداً. فمن الضروري تركيز الدين وأحاديثه ومطالعة الكتب الدينية واخراجها ونشرها بثوب حديث وابعاد النشيئ عن مطالعة، الكتب التي انجرف بتيارها كتب الزندقة والالحاد وكتب الغرب وفجوره وخلاعته ودعارته فقد استعمرنا الغرب دينياً بعد أن استعمرنا سياسياً، واستناداً لما سبق تحاول الباحثة تسليط الضوء على السيدة الجليلة فاطمة الزهراء عليها السلام وعلى تضحياتها في سبيل الإسلام فقد حملت على أكتافها اعباء الرسالة المضنية وعملت بكل استقامة على ايصال صوتها الرنان إلى أقصى حد من أطراف المعمورة. وراية الإسلام إذ تراها اليوم تعلو خفاقة إنما سمت وعلت على أكتاف جهود سيدة نساء العالمين مع سائر التضحيات المبذولة من قبل الأئمة الأطهار، والذي يقلب صفحات التاريخ بامعان تتجلى له صور صمود الزهراء عليها السلام وصولاتها المعروفة في أروقة الجزيرة العربية.

ثانياً: أهمية البحث:

إنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، تمثل فرع العلم والروحانية والروح والجهاد، لأنها كانت أبنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقلاً وروحاً وفكراً.. كان عقلها من عقله، وقلبها من قلبه، وعلمها من علمه وحياتها في خط حياته، وهي ربيبة القرآن قمة البلاغة والحكمة، وهي أبنة محمد (صلى الله عليه وآله) سيد الحكماء والبلغاء وهي زوجة علي (عليه السلام) الذي سن للبلاغة نهجها.

ويمكن أن نوجز أهمية البحث في النقاط الآتية:

١- بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وفاطمة خرج القانون الإسلامي إلى مرحلة الفعلية والتطبيق فصار مثالية تروي أحاديث الصادقين لا أوهام الشعراء المتخيلين، فتجسد كمال الإمكان في عالم الرجال والنساء بهما في مرحلة التطبيق وإن كان لكل من الرجال والنساء ميادين للجهاد في سبيل العقيدة والدين.

٢- إنَّها بطلة الإسلام ترسم خطى السلام لطلاب الحقيقة في مدرسة الإيمان قائلة: إن كانت القيم في العلم فها هي في حق علي (عليه السلام) حتى بشهادة الشيخين وإن كانت القيم بالشجاعة والخشونة في ذات الله والصبر والثبات فلا يتردد المنصف أيضاً أنها في علي (عليه السلام) وإن كانت القيم تروى بالآيات والروايات كآية التصدق بالخاتم وحديث الحب كقوله (صلى الله عليه وآله): ((سأعطي الراية غداً رجلاً كرار غير فرار يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله)).

٣- تعريف الأجيال ببيعة الغدير وأثره في تاريخ الأمة الإسلامية.

٤- التعرف بأهمية الدور للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، والمواقف التي مرت بها وطرق تعاملها مع الأحداث.

وتأتي أهمية البحث هذا من أهمية يضعه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كانت فاطمة الزهراء عليها السلام، تعيش الود والحنان الذي يخفف ثقل الرسالة عن عاتق الرسول الأعظم (صلى الله عليه

وآلـه) الـذي قـضي حياتـه يحمـل اثقـال الوحـي واحيـاء الإنسـانية بـما يكلـف مـن صعـاب الأمـور وعظيـم الأخطـار.

ووقفت في مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تجدد نبرات الرسالة الخالدة لآذان السامعين وتنذر مغبة كابوس يسلب الأرواح ويبقي الأجساد هامدة قائلة: إنَّ قدماً سارعت لأغضاب من يناط غضبها بغضب الرحمن سيهون عليها اغضاب أي مؤمن أو مؤمنة أخرى وأن سكوت المظلوم أمام الظالم بالأخص إذا كان من أهل الشرف والكرامة سيفسح المجال أمام العدوان على الأمة ومشيرة إلى أن شخصاً يكون هو الخصم والحاكم معاً، سيغير موازين الأمة. وأن حكماً يقام بضرب الآخرين يتسلق إليه باسم القرب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم يزدي عن أقرب الناس لرسول الله (صلى الله عليه وآله) قد هدم أصلين من أصول الرسالة النص على الوصاية لعلي (عليه السلام)، ويغض النظر عنه فقد خالف الشورى وثالثاً قد ناقض نفسه أن كانت دعوى القرب هي الملاك.

كانت السيدة الزهراء عليها السلام، بخطبتها المشهورة والمواقف التي وقفت بها وتخوفها من أن يبقى الإسلام اسماً أن لم يستظل بظل أمام عادل، كان الخوف من أن تصبح الزناة سيوفاً لله لا يجوز غمدها لولاة المسلمين، كان الخوف من أن تصبح الإمامة تصدق صهرها خراج بلد وتلين بإزاء شربة الخمور على حساب الأمة والدين، كان الخوف من أن يطبق أمثال المؤلفة قلوبهم والمطرودين على لسان رسول الله قانونا يتسامى في كل جوانبه وعجز عن درك معانيه فطاحل العلم والحكمة الذي ما كان



ليسلم إلا لأمثال ابراهيم وداود عليهما السلام بعد الاختبار والابتلاء كان الخوف من أن تصبح الشورى بعد الفض عن الإمامة صورة تحمل في واقعها الاستبداد كان الخوف من ضياع القيم والكرامات.

ثالثاً: أهداف البحث:

١- التعرف على حادثة الغدير في ضوء خطة الرسول الكريم في غدير خم.

٢- التعرف على موقف السيدة الزهراء عليها السلام، من هذه الحادثة من خلال أقوالها (خطبة السيدة الزهراء عليها السلام) وما قامت به من أدوار لأجل حماية الرسالة الإسلامية والدفاع عن الإمامة.

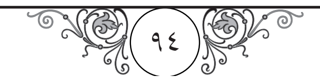
٣- ردود الأفعال حيال موقفها البطولي الشجاع بطلة الإسلام الأولى السيدة الزهراء عليها السلام من قبل المجتمع القريشي في ذلك الوقت.

رابعاً: منهجية البحث:

لا بد لأي دراسة علمية أن تعتمد على منهج يحدد آليات عملها ويسهم في توجيهها، فالمنهج هو الطريق الموصل إلى كشف أبعاد موضوع البحث كما أنه يساعد الباحث على كشف واقعية أو مشكلة أو ظاهرة اجتماعية ما المنهج أداة لكشف الحقائق وتحديد مضامين وأبعاد الدراسة ومن ثم إدراج نتائجها ونظراً لطبيعة موضوع دراستنا استخدمت الباحثة المناهج الآتية:

١- المنهج الوصفي التحليلي:

يستهدف المنهج الوصفي تقرير خصائص ظاهرة معينة أو موقف تغلب



صفة التحديد. ويعتمد على جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها لأستخلاص دلالاتها. وصولاً إلى اصدار تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها.

ويتضمن هذا المنهج قيام الباحثة بتطوير وصف الظاهرة وكثيراً ما يتضمن الوصف تفسيراً للظاهرة أو اختباراً لصحة الفروض(١).

وفي هذا المضمار يصنف هويتي (Whitney) البحوث الوصفية إلى خمس أنماط أو فئات ولا يخضع للعوامل المؤثرة في البحث كالمجال المكاني والمجال الزماني وأدوات جمع البيانات(٢).

ويعد البحث المكتبي أو الوثائقي (Library and Documeteryres) الأقرب إلى موضوع دراستنا الذي يمكن اعتماده ضمن أنماط أو فئات الأخرى الخاصة بالمنهج الوصفي (علماً أن هذه الفئات الأخرى هي: البحث الوصفي، الوصف على المدى الطويل، بحث دراسة الحالة، تحليل العمل والنشاط)(٣).

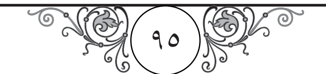
وينتشر هذا اللون في الدراسات التاريخية حتى أنه اشتهر بين الكثيرين بالمنهج التاريخي، ولكنه كأسلوب متميز يمكن تطبيقه في مجالات علمية

---

(١) أصول البحث الاجتماعي، د. عبد الباسط محمد حسن، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١، ص١٨٨.

(٢) مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، د. مصطفى عمر البتر، دار الجماهير للنشر والتوزيع والإعلان، ١٩٨٦، ص٥٩.

(٣) أصول البحث الاجتماعي، ص٢٠٤- ٢٠٥.



كثيرة... ويتميز هذا التصميم في الدراسات الاجتماعية بكونه يتم في مكتبه ويستخدم الباحث بالإضافة إلى التقارير الرسمية الاحصائيات والوثائق والكتابات الشخصية كالرسائل والمذكرات الخاصة وتواريخ الحياة[١].

٢- المنهج التأريخي:

من خلال هذا المنهج يستطيع الباحث أن يتعامل مع ما هو ضمني وخفي ومهم في التاريخ الإنساني، فالبحث التاريخي يستهدف التوصل إلى تفسير بعض الملامح المميزة للماضي[٢]، وأن استخدام هذا المنهج في البحوث والدراسات الاجتماعية إنما يقصد به الوصول إلى المبادئ والقوانين العامة عن طريق البحث في أحداث التاريخ وتحليل الحقائق المتعلقة بالمشكلات والقضايا والظواهر الاجتماعية لاستجلاء الغموض في هذه الأمور من خلال الوقوف على جذورها وأساسياتها لذلك فلا بد للباحث من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظواهر منذ نشأتها والوقوف على عوامل تغييرها من حال إلى حال[٣].

واستناداً لما جاء فقد انتهجت الباحثة هذا المنهج عبر الاسترسال والتمحيص في أمهات كتب التاريخ العريقة للم شذرات من هنا وهناك عن شخصية السيدة الزهراء عليها السلام من الكتب التاريخية المتنوعة.

خامساً: مصطلحات البحث:

(١) مبادئ وأسس البحث الاجتماعي، ص٥٩- ٦٠.

(٢) أصول البحث الاجتماعي، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٣) المَصدرُ نَفسُهُ، ص١٠٩.

أولاً: الاحتجاج:

عرف في قاموس المعجم الوسيط باللغة العربية المعاصرة.

الاحتجاج هو الأخذ بالحديث كدليل على إثبات أو إنكار حكم شرعي معين.

وعرف الاحتجاج في قاموس المعاني الجامع، احتج- احتجاجاً، احتج عليه، عارضه مستنكراً فعله، احتج عليه، أقام الحجة.

احتجاج رسمي، بيان مكتوب يتضمن اعتراضاً على حالة راهنة ومكالباً بتغييرها.

ثانياً: آثاره:

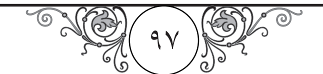
عرفت كلمة آثاره في معجم المعاني الجامع إخراج المرء عن طوره، أحداث حالة من الغيظ والانفعال والمضايقة، دفع إلى العنف.

وعرف كلمة آثاره في قاموس المعجم الوسيط للغة العربية المعاصرة، لسان العرب، القاموس المحيط.

آثاره تعني إثارة المرء بالفكرة الجديدة بحيث يرغب في التعرف على وقائعها ويسعى إلى تنمية معلوماته بشأنها.

الفصل الثاني

المبحث الأول: تنصيب أمير المؤمنين (عليه السلام):



يروي الشيخ المفيد والطبرسي[1] أنه لما قضى رسول الله (صلى الله عليه وآله) نسكه قفل الى المدينة ومعه علي (عليه السلام) والمسلمون حتى انتهى إلى الموضع المعروف بغدير خم، وليس بموضع إذ ذاك بصلح للنزول، لعدم الماء فيه والمراعي، فنزل في الموضع ونزل المسلمون معه، وكان بسبب نزوله في هذا المكان نزول القرآن عليه بنصبه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) خليفة في الأمة بعده.

وقد كان تقدم الوحي إليه في ذلك من غير توقيت له، فأخره لحضور وقت الاختلاف منهم عليه، فيرتد بعضهم عن الدين، وعلم الله عز وجل أنه إن تجاوز غدير خم انفصل عنه كثير من الناس إلى بلادهم وأماكنهم وبواديهم فأراد الله أن يجمعهم لسماع النص على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وتأكيد الحجة عليه فيه، فلا يبقى لأحد المسلمين عذر، فأنزل قوله تعالى: (چ چ چ چ).

يعني في استخلاف علي بن أبي طالب (عليه السلام) والنص بالإمامة عليه ثم قال(ژ ژ)فأكد الفرض عليه بذلك، وخوفه من تأخير الأمر فيه، وضمن له العصمة ومنعه الناس منه، لذلك نزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الموضع الذي لا يصلح للنزول فيه.

ورجع المسلمون من سبق منهم، ونزلوا حوله، وكان يوماً فائقاً شديد الحّر، فأمر بدوحات هناك فقُمَّ ما تحتها، وأمر بجمع الرحال في ذلك

(١) منتهى الآمال في توارع النبي والآل، عباس القمي، مكتبة الصفا، ط١، إيران- قم المقدسة، ٢٠٠٤، ص١٣٨.

المكان، ووضع بعضها فوق بعض، ثم أمر مناديه فنادى في الناس: ((الصلاة جامعة، فاجتمعوا من رحالهم إليه، وأن أكثرهم ليلفّ راءه على قدميه من شدة الحرّ، فلما اجتمعوا صعد على تلك الرحال حتى صار في ذروتها، ودعا أمير المؤمنين (عليه السلام) فرقي معه حتى قام عن يمينه، ثم خطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظا فأبلغ في الموعظة، ونعى إلى الأمة نفسه، وقال: ((قد دُعيت ويوشك أن أجيب، وقد حان منّي خفوق[1]، من بين أظهركم، وإني مخلف فيكم ما إنَّ تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فأنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)). ثم نادى بأعلى صوته. ((ألست أولى بكم منكم بأنفسكم))؟ قالوا: اللهم بلى، فقال لهم وقد أخذ بضيعي[2]، أمير المؤمنين (عليه السلام) فرفعهما حتى بان بياض إبطيهما: ((فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأنصر من نصره، واخذل من خذله)).

ثم نزل (صلى الله عليه وآله) وكان وقت الظهيرة، فصل ركعتين، ثم زالت الشمس، فأذن مؤذنه لصلاة الظهر، فصلى بهم الظهر وجلس في خيمته، وأمر علياً (عليه السلام) أن يجلس في خيمة له بإزائهِ ثم أمر المسلمين أن يدخلوا عليه فوجاً فوجاً فيهنئوه بالمقام، ويسلموا عليه بإمر

---

(١) خفق النجم: غاب.

(٢) الضيع: العضد.



ويروي الصدوق[1] في كمال الدين (ص٦٦٤)، عن سلمان قال: ((كنت جالساً بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مرضه التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام فلما رأت ما بأبيها من الضعف بكت حتى جرت دموعها على خديها، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله أخشى على نفسي وولدي الضيعة بعدك! فأغر ورقت عينا رسول الله بالبكاء ثم قال: يا فاطمة أما علمتي أنا أهل بيت اختبار الله عز وجل لنا الآخرة على الدنيا وأنه حتم الفناء على جميع خلقه، وأن الله تبارك وتعالى أطلع إلى الأرض اطلاعه فأختارني من خلقه فجعلني نبياً، ثم اطلع إلى الأرض اطلاعة ثانية فاختار منها زوجك. وأوصى إلى أن أزوجك إياه. وأتخذه ولياً ووزيراً، وأن أجعله خليفتي في أمتي، فأبوك خير أنبياء الله ورسله، وبعلك خير الأوصياء وأنت أول من يلحق بيَّ من أهلي. ثم اطلع اطلاعة ثالثة فأختارك وولديك، فأنت سيدة نساء أهل الجنة وأبناك حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبناء بعلك اوصيائي إلى يوم القيامة، كلهم هادون مهديون، وأول الأوصياء بعدي أخي علي، ثم حسن، ثم حسين، ثم تسعة من ولد الحسين في درجتي وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ودرجة أبي ابراهيم! أما تعلمين يا بنية أن من كرامة الله إياك أن زوجك خير أُمتي، وخير أهل بيتي أقدمهم سلماً وأعظمهم حلماً، وأكثرهم علماً.

(١) كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، بيروت- لبنان، ١٩٩١م، ص٦٦٤.

المؤمنين، ففعل الناس كلهم. ذلك[١].

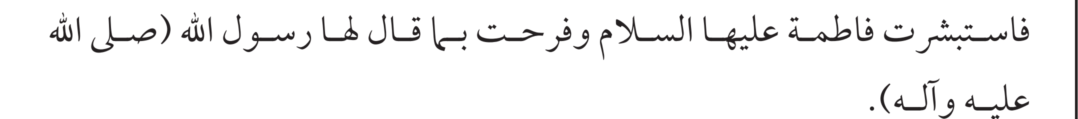
المبحث الثاني: مواقف للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

يوم بكت وأبكت أباها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وكان ذلك أكثر من مرة، في مجالس شهدها الصحابة ونطق فيها النبي (صلى الله عليه وآله) بالغيب. فكانت نوراً نبوياً تلقاه رواة أهل البيت (عليهم السلام) ونقلوه بأمانة[٢].

روي الجزاء في كفاية الأثر (ص١٢٤) عن عمار قال: ((لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة دعا بعلي (عليه السلام) فساره طويلاً، ثم قال: يا علي أنت وصي ووراثي قد أعطاك الله علمي وفهمي، فإذا مت ظهرت لك ضغائن في صدور قوم وغصب على حقد! فبكت فاطمة وبكى الحسن والحسين فقال فاطمة: يا سيدة النسوان فمَّ بكاؤك! يا أبة أخشى الضيعة بعدك! قال: أبشري يا فاطمة فإنك أول من يلحقني من أهل بيتي، ولا تبكي ولا تحزني فإنك سيدة نساء أهل الجنة، وأباك سيّد الأنبياء، وابن عمّك خير الأوصياء وأبناك سيدا شباب أهل الجنة، ومن صلب الحسين يخرج الله الأئمة التسعة، مطهرون معصومون، ومنّا مهدي هذه الأمة)).

(١) منتهى الآمال في توارع النبي والآل، ص١٤٠.

(٢) كفاية الأثير في النصوص على الأئمة الأثني عشر، الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخراز القمي، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، مركز نور الأنوار في إحياء بحار الأنوار، ط١، قم المقدسة، ١٤٣٠ق، ص١٢٤.


فاستبشرت فاطمة عليها السلام وفرحت بما قال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله).

يوم بكى أبوها(صلى الله عليه وآله) لظلامتها... وبكت لفقده! في أماني الشيخ الطوسي[1]: ((عن عبد الله بن عباس قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الوفاة بكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: أبكي لذريتي، وما يصنع بهم شرار أمتي من بعدي أو كأني بفاطمة أبنتي وقد ظلمت بعدي وهي تنادي يا أبتاه يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي افسمعت ذلك فاطمة فبكيت، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لم تبكين يا بنية؟ فقالت: لستُ أبكي لما يصنع بيَّ من بعدك، ولكن أبكي لفراقك يا رسول الله! فقال لها: أبشري يا بنت محمد بسرعة اللحاق بيِّ، فإنك أول من يلحق بيِّ من أهل بيتي)).

المبحث الثالث:

من بعد حجة الوداع، لم يكن أحد يعاني كما عانت فاطمة وعلي والحسنان (عليهم السلام)، كان وداع النبي بالنسبة لهم وداعاً لعالم أعلى فيه كل شيء، واستعداداً لدخول في عالم مليء بالألام والأحزان ومقارعة العواصف والأفاعي![2].

---

(١) كتاب الأمالي، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ، ص١٨٨.

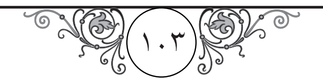
(٢) الزهراء ٣ في السنة والتاريخ، العلامة السيد محمد كاظم الكفائي، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ.

كانـوا يدركـون أن كل تأكيـدات النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) واحتياطاتـه لم تؤثـر في قريـش التـي ركبـت رأسـها وأصرت عـلى مؤامراتهـا، وهيـأت الأجـواء في قبائلهـا وقبائـل العـرب حتـى في بعـض أوسـاط الأنصـار لمقولتهـا أن بنـي هاشـم تكفيهـم النبـوة، وليـس مـن العـدل أن يجمعـوا بـين النبـوة والخلافـة، ويحرمونهـا مـن قريـش.

لقـد شـاهدت فاطمـة في حجـة الـوداع صـوراً مـن الـصراع بـين الهـدى النبـوي والضـلال القريـشي، ورأت أن النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) خطـب خمس خطـب، وأوضـح للأئمـة مـراراً موقـع عترتـه وأهـل بيتـه مـن بعـده، بأسـاليبه المبتكـرة وبلاغتـه النبويـة. وأنـه كلـما وصـل إلى تعيـين الـولاة بعـد، وأن الله غرسـهم في هـذا البيـت مـن بنـي هاشـم، لغطـت قريـش وشـوش أشـياعها المنبثـون في مجلسـه، وصاحـوا وقامـوا وقعـدوا وكـبروا ثـم قالـوا: إنَّ النبـي قـال: الأئمـة مـن قريـش، كل قريـش، كل قريـش؟![1].

لقـد أقـام النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) الحجـة لربـه بنيـة صريحـة في مكـة وعرفـات ومنـى، ثـم لم يبقـي يـوم الغديـر لأحـد عـذراً، عـلى حـد تعبـير فاطمـة عليهـا السـلام! لكـن قريـش كانـت صـماء، وكأن حجـة النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) لا يعنيهـا بـشيء! فهـذا سـهيل بـن عمـر يمسـك بزعامتهـا في مكـة ويتـصرف كأنـه رئيـس دولـة مقابـل النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) ويقـول نحـن، ومحمـد! ويرسـل جابـر بـن النضـير العبـدري ليعـترض عـلى النبـي (صلى الله عليـه وآلـه) لأنـه بزعمـه لم يكتفـي بـما فرضـه عـلى النـاس مـن

(١) منتهى الآمال، ص١٣٩.



صلاة وصوم وزكاة وحج، حتى أخذ يضيع ابن عمه قائلاً: من كنت مولاه فعلي مولاه![1].

وهؤلاء طلقاء النبي من قريش صاروا ألوفاً في المدينة وهم ملتفون حول أبو بكر وعمر، وعائشة وحفصة توصلان تظاهرهما على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتفشيان سره: وكلّما علمَّ جبرئيل النبي خطة لترتيب الوضع لوصيه وعترته من بعده، عملت قريش في ابطالها وتخريبها!!

ومن أواخر ما خربوه أن النبي (صلى الله عليه وآله) عرض عليهم ما لم يعرضه نبي على أمته قط وطلب منهم أن يلتزموا له بعهد يكتبه ليؤمن الأمن من الضلال إلى يوم القيامة، ويجعلها سيدة العالم إلى يوم القيامة، فبادروا إلى رفضه، ودفعوا عمر لمواجهة النبي بكل صلافة: لا حاجة لنا بكتابك، ومنعوه من كتابته!![2].

ثم أراه النبي (صلى الله عليه وآله) أن تفرغ المدينة من دعاة الفتنة وأرسلهم جميعاً في جيش أسامة إلى فلسطين، وفيهم سبع مئة رجل من قريش! وأمره بالتحرك، ولعن من تخلف عن جيش أسامة! وأفشلوا برنامج أسامة وتسللوا من معسكره من الجرف لواذاً عائدين إلى المدينة! كانت فاطمة عليها السلام تشاهد ذلك، وتسمع كلام أبيها (صلى الله عليه وآله) عن عاصفة قريش التي تنتظر عترته، وترى دموعه الغزار

---

(١) الزهراء القدوة الحسنة، حسين أحمد الخشن، دار الملاك، ط٣، ٢٠٠١، ص٦٦.

(٢) حياة الصديقة فاطمة ٣ - دراسة وتحليل، الشيخ محمد جواد الطبسي، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٢٥هـ، ص١٥٠.

من أجلهم، ومن أجلها خاصة! لكنها كانت اليوم تبكي لأعظم من كل ذلك، لفراق أبيها!

بعين الله ما سألقاه بعدك يا أبتي! يغصب زوجي حقه، ويهجمون علينا ويضرمون النار في دارنا، وأهان أنا وأضرب ويُسقط جنيني ويقاد زوجي بحمائل سيفهّ رضاً برضا الله ورضاك يا رسول الله فكل هذه المصائب دون مصيبة فراقك يا خير الرسل وخير الآباء[1].

الفصل الثالث

المبحث الأول: موقف السيدة الزهراء عليها السلام من بيعة الغدير.

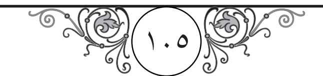
وقفت فاطمة عليها السلام بوجوه الغاصبين بأشدّ ما يكون، بعد ما تحمّلت أشد الظلم والخيانة من أعداء آل البيت (عليهم السلام) من الدعاء عليهم والدفاع عن ولي الله والولاية.

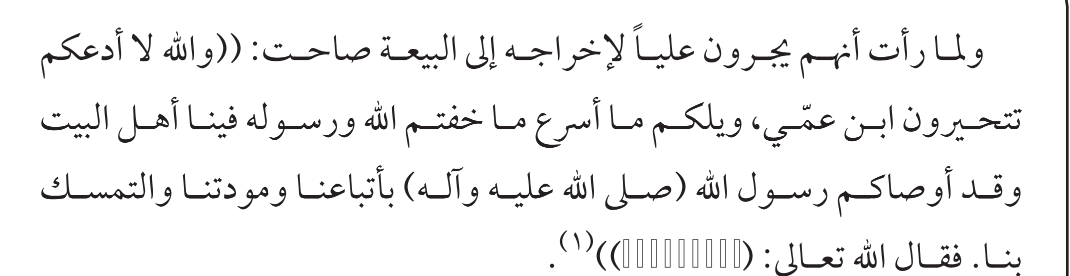
-صرخة الزهراء عليها السلام على المفسدين والغاصبين:

صرخت الزهراء عليها السلام لما رأت تواثب القوم على عليّ (عليه السلام) واحاطتهم بأمير المؤمنين وكأنها نسيت مما حلَّ بها من الضرب واللطم على وجهها وهتك حرمتها، فقالت: ((والله لتخرجن ولأكشفن شعري ولا عجبت إلى الله...))[2].

(١) الزهراء ٣ في السنة والتاريخ، ص١٤٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي، دار صادر، بيروت، (د. ت)، ج٢، ص١٢٦.





ولما رأت أنهم يجرون علياً لإخراجه إلى البيعة صاحت: ((والله لا أدعكم تتحيرون ابن عمّي، ويلكم ما أسرع ما خفتم الله ورسوله فينا أهل البيت وقد أوصاكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأتباعنا ومودتنا والتمسك بنا. فقال الله تعالى: ([illegible]))[1].

ولّما أخرجوا الإمام سحباً من داره خرجت وراءهم وهي تنادي: ((خلّوا ابن عمّي، فو الله الذي بعث محمداً أبي بالحق إن لم تخلوا عنه لأنشرنَّ شعري، ولأضعنّ قميص رسول الله (صلى الله عليه وآله) على رأسي ولأصرخنّ إلى الله تبارك وتعالى، فما صالح بأكرم على الله من أبي ولا الناقة بأكرم منّي ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي....))[2].

فخرجت وبيديها الحسن والحسين متجهة إلى قرب الرسول فقال عليّ (عليه السلام) إلى سلمان (عليه السلام) ((أدرك ابنة محمد (صلى الله عليه وآله) فإني أرى جنبتي المدينة تكفئان، فو الله لئن فعلت لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها))، قال: فلحقها سلمان فقال: يا بنت محمد إنَّ الله تبارك وتعالى إنما بعث أباكِ رحمة فانصرفي، فقالت: ((يا سلمان ما على صبر فدعني حتى أتي قبر أبي فأصيح إلى ربَّي)).

قال سلمان: فإن علياً بعثني إليك وأمرك بالرجوع فقال: ((وأسمع له

(١) نوارد الأخبار، الفيض الكاشاني، مطبعة آرين، طهران، (د. ت)، ص١٨٣.

(٢) الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، منشورات دار النعمان، ط١، بغداد- العراق، (د. ت)، ص١١٣.

وأطعت))، فرجعت.....[1].

مع الأمام علي (عليه السلام) على أبواب المهاجرين والأنصار:

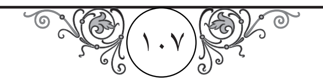
واصلت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام دفاعها عن وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بشتى طرق الدفاع ومختلف أساليبه، فكانت تخرج مع إمامها وتأتي أبواب المهاجرين والأنصار لتذكرهم حقوق الإمام على الأمّة ودعوتهم إلى نصرته بعد أن ابتزوا حقّه وغصبوا خلافته.

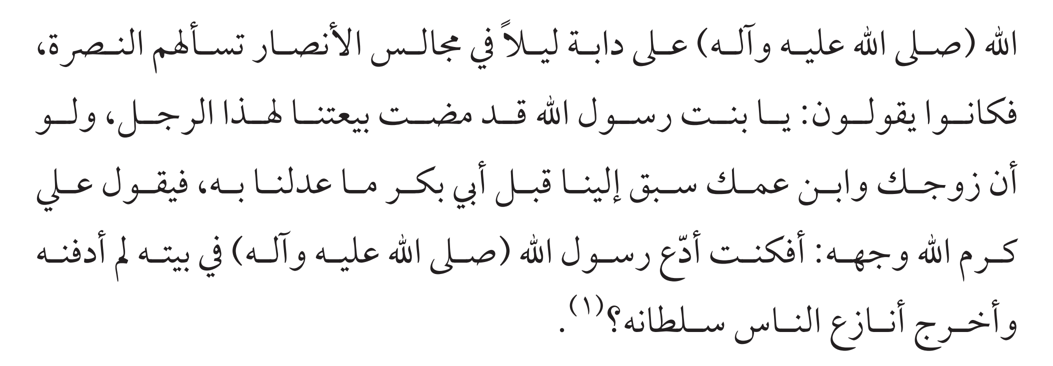
قال سليمان: فلما كان الليل حمل عليّ فاطمة على حمار، وأخذ بيد أبنيه الحسن والحسين. فلم يدع أحداً من أهل بدر المهاجرين ولا من الأنصار إلا أتى منزله وذكر حقه ودعاه إلى نصرته، فما استجاب له من جميعهم إلا أربعة وأربعون رجلاً، فأمرهم أن يصبحوا بكره محلقين رؤوسهم معهم سلاحهم وقد بايعوه على الموت، فأصبح ولم يوافيه منهم أحداً غير أربعة وهم سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير بن العوام، ثم أتاهم من الليلة الثانية فناشدهم الله. فقالوا: نصحبك بكرة فما منهم أحد وفى غيرنا، ثم الليلة الثالثة فما وفى أحد غيرنا، فلما رأى علي (عليه السلام) غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته....))[2].

وقال ابن قتيبة: وخرج عليٌّ (عليه السلام) يحمل فاطمة بنت رسول

(١) الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد، مؤسسة الأعلمي، ط١، بيروت- لبنان، ٢٠٠٩، ص١٨١.

(٢) الاحتجاج، ج١، ص١٠٧.





الله (صلى الله عليه وآله) على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أن زوجك وابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به، فيقول علي كرم الله وجهه: أفكنت أدّع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه؟[1].

فقالت فاطمة: ((ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسبهم وطالبهم))[2].

رفضها لبيعة أبي بكر:

لم يعثر لحد الآن على تاريخ معتبر يشهد بأن فاطمة عليها السلام بايعت الخليفة الأول، بل بقيت واحدة عليه إلى أن انتقلت إلى جوار ربها.

إنَّ الإعراض عن بيعة دليل واضح على أنه لم يكن إماماً وخليفة وحيث أن فاطمة عليها السلام غضبت على ابي بكر وهجرته إلى أن ماتت يقول علي أنها لم ترضى عنها ولما لم ترضى عنها فشملته الرواية المروية سنة وشيعة أنه قال النبي لها: ((فاطمة الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاكِ))[3]، ومن غضب عليه الرب فكيف يكون خليفة له وطاعته طاعة الله عز وجل حتى تطيعه الزهراء وتبايعه؟[4].

(١) حياة الصديقة فاطمة ٣ - دراسة وتحليل، ص٢١٣.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، مؤسسة الحلبي، القاهرة، (د. ت)، ص١٩.

(٣) بحار الأنوار، ج٢٣، ص٢١- ٧٦- ٧٩، ٨٤، ٨٨، ٨٩، ٩٤، وج٢٧، ص١٢٦.

(٤) ذخائر العقبي، محب الدين الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة، (د. ت)، ص٣٩، وأسد

موقفها مع نساء المهاجرين والأنصار:

لمّا سمعت نساء المهاجرين والأنصار خبر علَّة فاطمة بنت رسول الله اجتمعن وذهبن إلى بيت فاطمة: لعيادتها كما رواه الطبرسي(1) في الاحتجاج ممن سويد بن غفلة قال: لمّا مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفيت فيها اجتمع اليها نساء المهاجرين والأنصار يعدنها فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا أبنة رسول الله؟ فحمدت الله وصلت على أبيها (صلى الله عليه وآله) ثم قالت: ((أصبحت والله عائفة لدنياكن قالية لرجالكنّ، لفظتم بعد أن عجمتم وشنأتم بعد أن سبرتم، فقبحاً لغلول الحدّ واللعب بعد الجدَّ وقرع الصفارة وصدع القناة وخطل الآراء وزلل الأهواء، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب

الغابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الجزري ابن الأثير (ت٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ج٥، ص٥٢٢، وتهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، ج١٢، ص٢٦٩، وصحيح البخاري، ج٢، ص٣٠٢، ينابيع المودة، العلامة الشيخ سليمان بن الشيخ ابراهيم الحسيني الحنفي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص١٧٤، ومسند فاطمة الزهراء، جلال الدين السيوطي، تصحيح ونشر وتعليق: عزيز بيك، مطبعة العزيزية حيدر آباد، الهند، ١٩٦٨م، ص٥٢.

(1) الاحتجاج، ج١، ص١٤٧، بحار الأنوار الكاملة لدرر أخبار الأئمة الطاهرة، الشيخ محمد باقر المجلسي، طبعة مصححة ومزيدة، إحياء الكتب الإسلامية، إيران- قم، ١٤٣٠هـ، ج٤٣، ص١٥٩، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس البياض، المكتب المرتضوية، (د. ت)، ج١، ص١٧١، وكتاب الأمالي، ص٣٧٥.



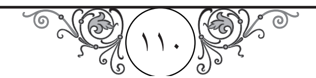
هم خالدون، لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم أوقتها وشتت عليهم غارها، فجدعها وعقراً وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم أين زعزعوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين، والطبيين بأمور الدنيا والدين، ألا ذلك هو الخسران المبين[1].

وما الذي نقموا من أبي الحسن؟ نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحتفه، وبشدة وطأته، وثكال وقعته وتنمره في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة وزالوا عن قبول الحجة الواضحة لردهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشة ولا يكلّ سائره ولا يمل راكبه، ولأدردهم متهلاً نميراً صافياً روياً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً ونصبح لهم سرّاً وإعلاناً ولم يكن يجلي من الغنى بطائل ولا يحظي من الدنيا بنائل. غير ريّ الناهل. وشيعة الكافل، ولبان لهم الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب، ولو أن أهل القرى آمنوا وأتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض، ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون، والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين، ألا هلّم فاستمع وما عشت أراك الدهر عجباً، وأن تعجب فعجب قولهم، ليت شعري أي أيَّ اسناد استندوا علي أيَّ عماداً اعتمدوا، وبأية عروة تمسكوا، وعلى أية ذرية اقدموا واحتنكوا؟ لبس

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص١٤٧، وبحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٩، والصراط المستقيم، ج١، ص١٧١، وكتاب الأمالي، ص٣٧٥.



المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلا استبدلوا والله الذُّ نأيي بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم تحسبون أنهم يحسبون صنعا إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويحهم أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمَّن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون؟

أما لعمري لقد لقحت قنطيرة ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً وذعاقاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون، غبِّ ما أسَّس الأولون ثم طيبوا عن دنياكم أنمساً، واطمأنوا للفتنة جأشاً، وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم ويهرج شامل واستبداد من الظالمين، بدع فيئلم زهيداً وجمعكم حصيدا، فيا حسرة لكم وأنّى بكم وقد عميت عليكم أتلزمكموها وأنتم لها كارهون))؟[(١)].

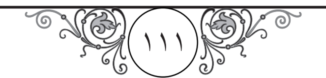
قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء حولها عليها السلام على رجالهن فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، قالوا: يا سيدة النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا الأمر من قبل أن نبرم العهد وتحكم العضد لما عدلنا عنه إلى غيره فقالت: اليكم عني فلا عذر بعد تعذيركم ولا أمر بعد تقصيركم[(٢)].

المبحث الثاني: خطبة السيدة الزهراء عليها السلام:

---

(١) الاحتجاج، ج١، ص١٤٧، وبحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٩، والصراط المستقيم، ج١، ص١٧١، وكتاب الأمالي، ص٣٧٥.

(٢) الاحتجاج، ج١، ص١٤٧، بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٩، الصراط المستقيم، ج١، ص١٧١، وكتاب الأمالي، ص٣٧٥.



على أثر الأحداث التي شهدتها الساحة الإسلامية بعد وفاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مثل قضية اغتصاب الخلافة والاعتداء على حق أمير المؤمنين عليه السلام وغصب فدك من فاطمة الزهراء عليها السلام والهجوم على دارها، وغير ذلك من الأحداث الأليمة، رأت الزهراء عليها السلام إنَّ الواجب يفرض عليها أن تقف مع الحق وتقول كلمة الحق. وهكذا خرجت إلى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ووقفت أمام جموع المهاجرين والأنصار وخطبت بهذه الخطبة القيمة وهي الخطبة المذكور في العديد من المصادر وهي خطبة مشهورة(١)، ومعروفة ذكرها المؤرخون القدامى وقد كان أهل البيت والعلويون يتناقلونها عابراً عن عابر، ويعلمونها ويحفظونها لصبيانهم، وأن متنها قوي ومتناسب مع المضمون الفكري الإسلامي.

إنَّ أهم المسائل التي ركزت عليها الزهراء عليها السلام في خطبتها هي:

١- إنَّها حددت موقفها من الأحداث الطارئة والحادثة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله لاسيما فيما يخص الخط الإسلامي الأصيل المتمثل بالإمامة الواعية الشجاعة المنفتحة على الله وعلى الناس والحياة من أوسع

---

(١) من أقدم المصادر التي ذكرت خطبة الزهراء ٣ كتاب بلاغات النساء لابن طيفور، ص٢٣. والاحتجاج، ج١، ص٩٧- ١٠٧، طبع مشهد المقدسة، ١٤٠٣هـ، وراجع مسند فاطمة، ص٥٥٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج١٦، ص٢١١، ٢٤٩، وعوالم الزهراء، ص٤٦٧، وبحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٨.

الأبـواب، والعميقـة في فكرهـا الممتـد مـع الزمـن، بحيـث لا يكـون لـه مـاضٍ أو حـاضر أو مسـتقبل لأنـه فكـر الإسـلام وهـو فكـر الحيـاة الخالـد، وهـذه الأمانـة متمثلـة بأمير المؤمنـين عـلي بـن أبي طالـب عليـه السـلام.

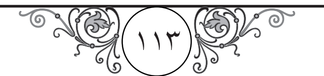
٢- اختـصرت في خطبتهـا التـي هـي محـاضرة اسـلامية تثقيفيـة غنيـة، أصـول العقيـدة بركنيهـا الأساسـيين، وهمـا التوحيـد والنبـوّة، فقـد تحدثـت عـن صفـات الله عـز وجـل، ثـم تحدثـت عـن رسـول الله وخصالـه ومعاناتـه في سـبيل انقاذهـم مـن الغوايـة إلى الهدايـة، كـما وتحدثـت عـن الإمامـة ودورهـا في انتظـام الأمـة.

٣- تحدثـت بشـكل مسـتفيض عـن أسرار التشريعـات الإسـلامية وحكمهـا وخصائصهـا.

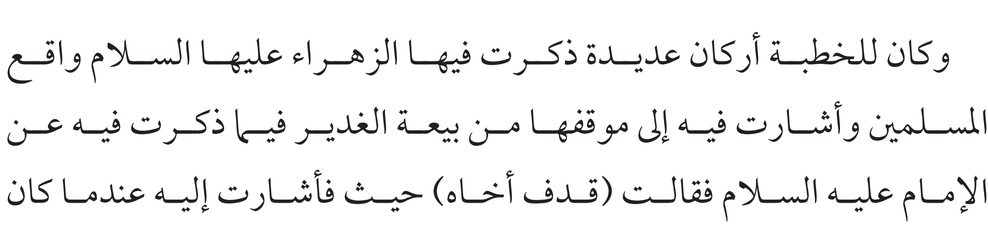
٤- تكلمـت عـن الواقـع الـذي حـدث بعـد وفـاة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه وكيـف انحـرف عـن خـط الاسـتقامة والمسـار الـذي خطّـه الله ورسـوله وتوجهـت إلى الأنصـار الذيـن أحاطـوا برسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه ونـصروه لتؤجـج مشـاعرهم وتسـتنهض هممهـم وتسـتنضرهم.

٥- دخلـت في قضيـة إرثهـا مـن رسـول الله واسـتحقاقها فـدكاً وناقشـت المسـألة مناقشـة علميـة تفسـيرية بـكل حجـج القـرآن الكريـم ودقائقـه وأسراره، ولم تناقشـها مناقشـة عاطفيـة، وإنـما دخلـت في الاحتجـاج بالطريقـة المميـزة كامـرأة عالمـة واعيـة قويـة في الحجـج وصلبـة في المواقـف[1].

(١) الزهراء القدوة، ص٢٣٨- ٢٣٩.





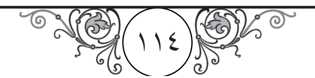


وكان للخطبة أركان عديدة ذكرت فيها الزهراء عليها السلام واقع المسلمين وأشارت فيه إلى موقفها من بيعة الغدير فيما ذكرت فيه عن الإمام عليه السلام فقالت (قدف أخاه) حيث فأشارت إليه عندما كان النبي يواجه كل الجماعات التي تريد اسقاطه وتتحدى رسالته وتقضي على أمة ((قذف اخاه في لهواتها))، «قذفه» يعني رماه وأرسله في لهواتها، واللهوات جمع لهاة وهي اللحمة في سقف الفم، وهنا كناية عن أنه كلما واجهته طائفة من المشركين أو عرضت له داهية عظيمة، بعث علياً عليه السلام لدفعها وصدها وعرضه للمهالك.

((فلا ينكفئ- فلا يرجع- حتى يطأ جماحها باخمصه- والصماخ هو ثقب الأذن أو هو الاذن نفسها، والأخمص مما لا يصيب الأرض من باطن القدم عند مشيها، -ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله- متعباً مجهداً -مجتهداً في أمر الله- قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله-[1].

والملاحظ هنا أنها عليها السلام تتحدث عن علي عليه السلام ابن عمها وزوجها، لا من خلال الزوجية أو القرابة، ولكنها تتحدث عنه بصفة أنه أمامها وسيدها في حركة الرسالة، «مشمراً» يعني مشمراً عن حياته كلها باذلاً لها في سبيل الله، «ناصحاً مجدداً كادحاً» وكان علي عليه السلام الناصح للمسلمين جميعاً حتى الذين اغتصبوا الخلافة منه، فها هو ينصح عمر بن الخطاب عندما استشاره للشخوص بنفسه إلى قتال الفرس قائلاً: ((ومكان القيِّم بالأمر مكان النظام. السلك من الخرز

(١) المَصدرُ نَفسُهُ، ص٢٨٨- ٢٨٩.



يجمعه ويضمه، فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب... فكن قطباً واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إنَّ شخصت من هذه الأرض انتفضت عليه العرب من أطرافها وأقطارها، حتى تكون ما تدع وراءك من العوارن أهم إليك مما بين يديك أن الأعاجم أن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم فيكون ذلك أشدَّ لكلبهم عليك وطمعهم فيك[1]، وكان علي عليه السلام المجد الكادح في سبيل الله لا تأخذ في الله لومة لائم.

المبحث الثالث: تأثير موقف الزهراء عليها السلام على السلطة القريشية:

من الثابت أن وضع السلطة القريشية كان ضعيفاً في الأسابيع الأولى، وقد اعترف عمر بأن عامّة الأنصار كانوا معارضين لهم، فقال كما في البخاري: ((إنه قد كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أنّ الأنصار خالفونا واجتمعوا بأمرهم في سقيفة بني ساعدة، وخالف عنا علياً والزبير ومن معهم))[2].

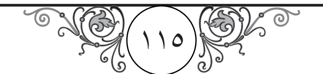
وعدّ المؤرخون عشرات الصحابة من الأنصار والمهاجرين، أدانوا السقيفة، أو امتنعوا عن البيعة، وإنّما كان المعتصمون في بيت علي وفاطمة عليهما السلام بعضهم!

وقد هزت خطبة السيدة الزهراء عليها السلام، وضع السلطة القريشية

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٤٦.

(٢) صحيح البخاري، ج٨، ص٢٦.





الجديدة، وذكر الرواة أن البكاء عمَّ الناس ذلك. اليوم وإن بعض الأنصار هتفوا باسم علي عليه السلام للخلافة فخاف أبو بكر وعمر أن يتحرك الأنصار لصرة عترة النبي صلى الله عليه وآله، والإطاحة بهم! ولذلك بادر أبو بكر وخطب فنال من علي عليه السلام بدون أن يسميه، وهدد الأنصار بطلقاء قريش المتكاثرين في المدينة! ولا بدَّ أنهم قاموا بأعمال أخرى حتى استطاعوا أن يهدئوا الوضع ويسكتوا أنصار فاطمة والعترة النبوية![1].

قال الجواهري في السقيفة: ((فلما سمع أبو بكر خطبتها شقَّ عليها مقالها فصعد المنبر وقال: أيها الناس ما هذه الرعة إلى كلّ قاله، أين كانت هذه الأماني في عهد رسول الله، إلا من سمع فليقل، ومن شهد فليتكلم. إنَّما هو ثعالة شهيدة ذنبه، مَربُ لكل قتشة، هو الذي يقول كرّدها جذعةِ بعد ما هرمت، يستعينون بضعفه، ويستنصرون بالنساء، كأم طحال أحبّ اهلها إليها البغي، ألا أني لو شاء أن أقول لقلت، ولو قلت لبُحت، إني سأكتب ما تركت. ثم التفت إلى الأنصار فقال: قد بلغني يا معشر الأنصار مقاله سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءكم فأويتم ونصرتم، ألا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك منا، ثم نزل!))[2].

وقال في شرح النهج: بعد نقل كلام أبي بكر هذا برواية الجواهري:

(١) السقيفة وفدك، أحمد بن عبد العزيز، بيروت، د. ت، ص١٠٤.

(٢) جواهر التاريخ، ج١، ص١١٢.



((قلت: قرأت هذا الكلام على التقيد، أبي يحيى جعفر بن يحيى بن أبي زيد البصري وقلت له: بمن يعرض؟ فقال: بل يصرح، قلت: لو صرح لم اسألك! فضحك وقال: بعلي بن أبي طالب، قلت: هذا الكلام كله لعلي بقوله! قال: نعم، إنه الملك يا بني، قلت: فما مقالة الأنصار؟ قال: هتفوا بذكر عليّ فخاف من اضطراب الأمر عليهم، فنهاهم))[1].

ولما ألفت الزهراء عليها السلام أن القوم قد استحوذ الشيطان عليهم فأنساهم ذكر الله عمدت إلى تطبيق البنود المرسومة لمعارضتها آنذاك وهي كالتالي:

١- المطالبة بالحقوق:

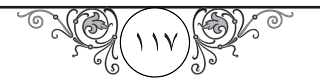
لم تكن السيدة الزهراء عليها السلام من ذلك الضرب الذي يطالب بحقوقه حرصاً على متاع الدنيا وحطامها، فهي تلك المرأة الزاهدة التي قد عزفت عن زخارف الدنيا وزبرجها فصغر كل ما في الوجود في عينيها.

إذن لماذا تمسكت الزهراء عليها السلام بفدك حتى اللحظات الأخيرة من عمرها المبارك؟.

بالتأكيد أنها كانت تروم شيئاً يفوق فدك وهي الحقوق المتعلقة بفدك حيث أنها كانت دعامة أساسية للوارد الاقتصادي في البيت العلوي، وبالتالي فدك تعد بمثابة المنهل الوحيد المغذي لحركة الخلافة الحقبة.

يقول ابن أبي الحديد في شرحه: سألت عليّ بن الفارقي مدرس مدرسة

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢١٤.



الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً من ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها، لجاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يكمنه الاعتذار والموافقة بشيء، لأنه يكون قد أسجل على نفسه بأنها صادقة فيما تدعى كائناً ما كان من غير حاجة إلى بينة ولا شهود[1].

وعليه فإن أول شيء بادرت الزهراء عليها السلام به هو مطالتها بحقها لتحيط الجميع علماً أن لها حقاً مضيع قد اغتصبه الآخرون.

٢- خلع الشرعية:

ضمن التحركات الملحوظة التي قامت بها ربيبة النبوة مقابل السلطات الجديدة هو خلع ثوب الشرعية عنهم والاستناد بجميع الأوراق الشرعية المسجلة بحق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام خاصة ((فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله بعد اللتيا والتي وبعد أن منى ببهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب - بي- وأنجم قرنُ للشيطان، وفغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفى حتى يطأ صماخها بأخمصه، ويخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله سيد أولياء الله، مشمراً ناصحاً، مجداً.

وهكذا راحت الزهراء عليها السلام تمارس عملية نشر الغسيل أمام

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٨٤.

مـرأى الجمهـور ليكـون عـلى بصـيرة مـن أمـره إزاء مـا تقـوم بـه السـلطات الجديـدة.

٣- الجماهيرية:

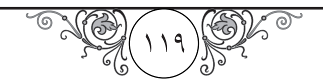
بعـد أن فرغـت الزهـراء عليهـا السـلام مـن عمليـة خلـع الشرعيـة مـن الحكومـة الجديـدة عمـدت إلى الجمهـور الـذي كان عـلى إطـلاع تـام لمـا يجـري مـن صـولات وجـولات عـلى السـاحة السياسـية فحركـت فيـه روح التفاعـل معهـا.

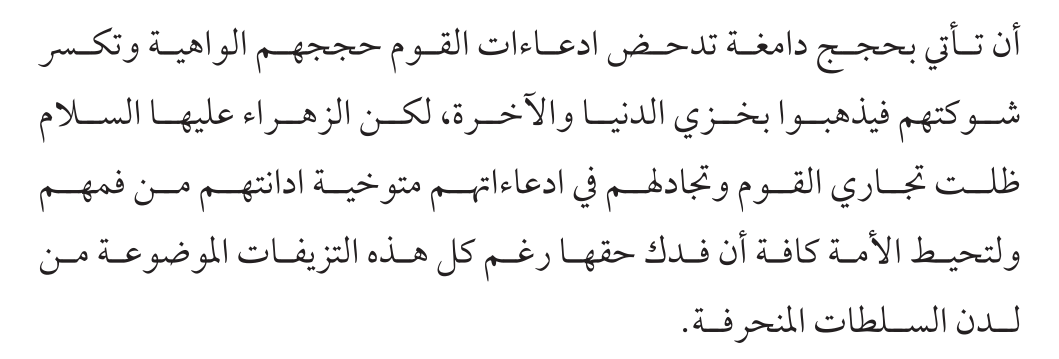
وحقـاً أنهـا عمليـة بغايـة الدقـة والحناكـة حيـث عمـدت الزهـراء عليهـا السـلام إلى إقحـام الجمهـور في القضيـة لكـي تـؤول إلى قضيـة جماهيريـة بـدل أن تكـون شـخصية ومحـدودة النطـاق.

٤ – سلامة الوسيلة:

الأحـداث الخطـيرة التـي قامـت بهـا السـلطات الغاصبـة في عهـد الزهـراء عليهـا السـلام كانـت قائمـة عـلى تزييـف الحقائـق، ففـي غصبهـم فـدك ظلـوا يقلبـون الأوراق بخفيـة حتـى لا يشـعر أحـد بهـم، حتـى لقـد طالبـوا الزهـراء عليهـا السـلام أن تـأتي بشـهود لإثبـات ملكيتهـا فـدك، وهـي ذات يـد، ولمـا جـاءت الزهـراء بالبينـة ردوهـا واختلقـوا حديثـاً مبتـدع عـلى الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه ادعـوا فيـه أن معـاشر الأنبيـاء لا يورثـوا درهـم ولا دينـار ومـا تركـوه صدقـة.

مقابـل هـذه التحريفـات كان بإمـكان الزهـراء عليهـا السـلام منـذ البـدء





أن تـأتي بحجـج دامغـة تدحـض ادعـاءات القـوم حججهـم الواهيـة وتكـسر شـوكتهم فيذهبـوا بخـزي الدنيـا والآخـرة، لكـن الزهـراء عليهـا السـلام ظلـت تجـاري القـوم وتجادلهـم في ادعاءاتهـم متوخيـة ادانتهـم مـن فمهـم ولتحيـط الأمـة كافـة أن فـدك حقهـا رغـم كل هـذه التزيفـات الموضوعـة مـن لـدن السـلطات المنحرفـة.

الملفـت للانتبـاه حقـاً أن القـوم كلـما يلـوذوا إلى حيلـة تمنحهـم الشرعيـة في غصـب فـدك كانـت الزهـراء عليهـا السـلام تبطلهـا وتقيـم البراهـين عـلى أحقيتهـا دون أن تمـل أو حتـى تطالـب الجمهـور أن يوقـف هـذه الألاعيـب وإنـما تطالبهـم لتدحضـه بالبراهـين الدامغـة.

٥- ردع حملات التحريف:

إحـدى التحـركات المشـهورة التـي عملتهـا السـلطات المزيفـة في عهـد الزهـراء عليهـا السـلام هـي تكريـس عمليـة التحريـف لأحاديـث رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بالتـالي تفتـح جبهـة أخـرى عـلى أهـل البيـت عليهـم السـلام ينبغـي التصـدي لهـا والوقـوف قبالهـا بـكل صلابـة الأمـر الـذي يشـتت قواهـم ويسـتنزف طاقاتهـم المباركـة.

عـلاوة عـلى ذلـك تكريـس عمليـة تزييـف الأحاديـث واختلافهـا تعـد بمثابـة الدعامـة الأساسـية التـي شـيدت عليهـا سـلطات ذلـك العهـد، ففـي قبـال كل معضلـة تعصـف بالسـلطات يأتـون بالوضاعـين ويختلقـوا الأحاديـث في شرعيـة أعمالهـم، الأمـر الـذي يكبـح جمـاح الجمهـور الغاضـب فيقبلـوا

الأمر الواقع، ولكن الزهراء عليها السلام تصدت لمثل هذا المخطط الشيطاني وحالت دون تكامله ونموه.

٦- التظاهرات السلمية:.

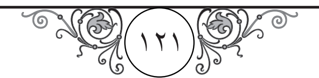
قبال كل ما عملته السلطات المنحرفة آنذاك أخذت الزهراء عليها السلام تبدي عن عظيم سخطها بشتى الوسائل سيما أن الجميع كان يعرف الحديث المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله: ((إن فاطمة شعرة مني، فمن آذى سعرة مني فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله لعنه الله ملء السماوات والأرض))[١].

ومن أبرز هذه الأعمال التي قامت بها ربيبة النبوة هي التظاهرات السلمية بشتى الأشكال، وكانت تهرج من أمير المؤمنين عليه السلام فتدور بيوت الأنصار تناشد الاستنصار.

ولما لم يجد ذلك عمدت ربيبة النبوة إلى بيت الأحزان تشكو إلى النبي صلى الله عليه وآله ما فعله القوم بعده.

وحتى لما عدنها نساء المهاجرين والأنصار فسألوها عن حالها فقالت: أصبحت والله عائفة لدنياكم، قالية لرجالكم، لفظتهم قبل أن عجمتهم، وشنئتهم بعد أن سبرتهم، فقبحاً لفلول الحد، وخور القناة، وخطل الرأي ((وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب

(١) بحار الأنوار، ج٤٣، ص٥٤.



هـم خالـدون))[1].

٧- استقامة المعارضة:

أهـم شيء ينبغـي أن تحرزه المعارضـة في منهجيتهـا قبـال السـلطات الفاسـدة هـي مسـألة الاسـتقامة والديمومـة في المعارضـة حتـى يـأذن الله بأمـره فإمـا النـصر المبـين أو الشـهادة والانتقـال إلى الرفيـق الأعـلى.

ويتجـلى هـذا واضحـاً في معارضـة الزهـراء عليهـا السـلام، فحينـما ثقلـت وعلـم الرجـلان بذلـك أتياهـا عايديـن واسـتأذنا عليهـا فأبـت أن تـأذن لهـما، فأتـى عمـر عليـاً عليـه السـلام فقـال لـه: إن أبـا بكـر شـيخ رقيـق القلـب، وقد كان مـع رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه في الغـار فلـه صحبتـه وقـد أتيناهـا غـير هـذه المـرة مـراراً نريـد الإذن عليهـا وهـي تأبـى أن تـأذن لنـا فـإن رأيـت أن تسـتأذن لنـا عليهـا فافعـل، قـال: نعـم، فدخـل عـلي عليـه السـلام عـلى فاطمـة عليهـا السـلام فقـال يـا بنـت رسـول الله قـد كان مـن هذيـن الرجلـين مـا قـد رأيـت وقـد تـرددا أمـوراً كثـيرة ورددتهـا، ولم تـأذني لهـما، وقـد سـألاني أن اسـتأذن لهـما عليـك.

فقالـت: والله لا آذن لهـما ولا أكلمهـما كلمـة مـن رأسي حتـى ألقـى أبي فأشـكوهما إليـه بـما صنعـاه وارتكبـا منـي، قـال عـلي عليـه السـلام: فـإني ضمنـت لهـما ذلـك قالـت: إن كانـت قـد ضمنـت لهـما شـيئاً فالبيـت بيتـك والنسـاء تتبـع الرجـال لا أخالـف عليـك بـشيء فـأذن لمـن أحببـت، فخـرج

---

(١) خطبة الزهراء في نساء المهاجرين والأنصار.

عليه السلام فأذن لهما، فلما وقع نظرهما على فاطمة عليها السلام سلما عليها فلم ترد عليهما فحولت وجهها عنهما، فتحولا واستقبلا وجهها حتى فعلت مراراً وقالت: يا علي جاف الثوب وقالت لنسوة حولها حوَّلنا وجهها إليها وسئلا أن ترضى عنهما وتصفح عما كان منهما إليها، فقالت فاطمة عليها السلام: أنشدكما بالله أتذكران أن رسول الله صلى الله عليه وآله ستخرجكما في جوف الليل بشيء كان حدث من أمر علي عليه السلام فقال: اللهم نعم، فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي صلى الله عليه وآله يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كمن آذاني في حياتي ومن آذاها في حياتي كمن آذاها بعد موتي، قالا: الحمد لله، ثم قالت: اللهم أني أشهدك فاشهدوا يامن حضرني، أنهما قد آذياني في حياتي وعند موتي، والله لا أكلمكما من رأس كلمة حتى ألقي ربي فأشكوكما إليه بما صنعتما في وارتكبتما مني[1].

الفصل الرابع

- الاستنتاجات

بعد الإطلاع على مسيرة ومآثر السيدة الزهراء عليها السلام، خرجت الباحثة بجملة من النتائج أهمها:

---

(١) بيت الأحزان، الشيخ عباس القمي، دار زينب الكبري، (د. ط)، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٧١-١٧٢.



١ - إنَّ السيدة الزهراء عليها السلام، كانت تحمل صورة من صور البطولة والتضحية والإخلاص وذلك في سبيل الدين والحق.

٢ - إنَّ السيدة الزهراء عليها السلام، قد سجلت أروع صور البطولة والوفاء والذود عن هذا الدين العظيم.

٣- الزهد والورع ملازمان لها.

٤ - فاطمة الزهراء عليها السلام، بطلة الإسلام تجسد لأبيها النبوة والأمومة ولزوجها مثالية الزواج الذي ما كان بباطن إلا هو الظاهر وظاهر هو الباطن يروي أحاديث الحنان والعفاف والشرف ولأبناءها مثالية الأمومة.

٥ - وقفت في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله تجدد نبرات الرسالة الخالدة لآذان السامعين وتنذر مغبة كابوس يسلب الأرواح ويبقي الأجساد هامدة قائلة: إنَّ يداً مدت اليوم على أموال بيت الرسالة سيهون عليها كل مال دون ذلك فلا آمن بعد اليوم لأي إنسان في كيانه المالي وأن قدماً سارعت لاغتصاب من يناط غضبها بغضب الرحمن سيهون عليها اغضاب أي مؤمن أو فئة أخرى.

٦ - كان صوت السيدة الزهراء عليها السلام، بعد علي (عليه السلام) أول صوت دعى المظلومين إلى عدم الصبر على العدوان وأشار إلى أن السكوت أمام أول خطوة يفتح المجال أمام الخطوات وأن سكوت المظلوم ظلم لنفسه وظلم للأجيال.

- التوصيات:

في ضوء ما توصل إليه الباحثة من استنتاجات تورد التوصيات الآتية:

١- تبني واضعي المناهج الدراسية، لاسيما تلك المتعلقة بترسيخ القيم الدينية مثل التربية الإسلامية والقيم المطروحة في هذا البحث ومحاول تثبيتها في نفوس الطلبة عن طريق طرح الموضوعات التي تؤكدها، ومن المستحسن اقتباس عدد من النصوص التي قالتها السيدة الزهراء عليها السلام، ووصفها داخل هذه المناهج أو تضمنها كمحتوى في بعض الكتب مثل المطالعة والأدب والنصوص في المراحل الدراسية المختلفة.

٢- الدعوة لعقد الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية التي يسهم فيها التدريسيون والطلبة لمناقشتهم القيم الإسلامية بنحو عام.

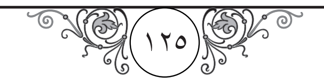
٣- ضرورة إجراء الندوات الفكرية والدينية شعبياً أو رسمياً حول أهمية القيم التربوية والإسلامية والتي طرحها أصحاب الفكر ولاسيما الإمام علي (عليه السلام) وتأثيرها في عملية بناء المجتمع.

- المقترحات:

١- إجراء دراسات أخرى تتناول المواقف المختلفة التي مرت بها حياة السيدة الزهراء عليها السلام.

٢- إجراء دراسة مماثلة، وذلك بالاعتماد على التصنيف الحالي ولشخصيات إسلامية أخرى وموازنة نتائجها بالدراسة الحالية.

٣- اجراء دراسة متكاملة حول القيم التي أعدتها السيدة الزهراء



عليها السلام، في خطبة فدك واظهار أهمية هذه الخطبة وجوانبها المهمة في حياة المسلمين.

٤- اجراء دراسة موازنة للقيم التي أكدتها السيدة الزهراء عليها السلام، من خلال وقفتها وخطبتها التي ألقتها وبعض قادة الفكر في العصر الحاضر.

المصادر:

- القرآن الكريم.

١- الاحتجاج، أحمد بن علي الطبرسي، منشورات دار النعمان، ط١، بغداد- العراق، د. ت.

٢- الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان العكبري المفيد، مؤسسة الأعلمي، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٩.

٣- اسد الغابة: ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الجزري ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

٤- أصول البحث الاجتماعي، عبد الباسط محمد محسن، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط١، ٢٠١١.

٥- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، مؤسسة الحلبي، القاهرة، د. ت.

٦- بحار الانوار الكاملة لدرر اخبار الأئمة الاطهار، الشيخ محمد باقر المجلسي، طبعه مصححه ومزيده، احياء الكتب الإسلامية، ايران قم، ١٤٣٠هـ

٧- بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن طاهر بن طيفور، صححه وشرحه: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، القاهرة، ١٩٨٠.

٨- بيت الاحزان، الشيخ عباس القمي، دار زينب الكبرى، (د، ط)، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م

٩- تاريخ اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي، دار صادر بيروت، (د. ط)، (د. ت).

١٠- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، د. ت.

١١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصفهاني، مكتبة الخانجي، ودار الفكر، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

١٢- حياة الصديقة فاطمة عليها السلام دراسة وتحليل، الشيخ محمد جواد الطبسي، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٥هـ.

١٣- ذخائر العقبة، محب الدين الطبري، مكتبة القدسي، القاهرة، د. ت.

١٤- الزهراء عليها السلام في السنة والتاريخ، العلامة السيد محمد كاظم الكفائي، ط١، بيروت- لبنان، ١٤٣٣هـ.



١٥- الزهراء القدوة دار الملاك، حسين أحمد الخشن، ط٣، ١٤٢٢هـ.

١٦- السقيفة وفدك، أحمد بن عبد العزيز، بيروت، د. ت.

١٧- شرح خطبة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام، آل شبر الخاقني، دار أنوار الهدى، ط٢، ١٤٢٣.

١٨- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

١٩- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٢٠- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس البياض، المكتبة المرتضوية، د. ت.

٢١- كتاب الأمالي، الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، دار الثقافة، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٢- كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الأثني عشر، الشيخ أبو القاسم علي بن محمد بن علي الخراز القمي، تحقيق: محمد كاظم الموسوي، مركز نور الأنوار في إحياء بحار الأنوار، ط١، قم المقدسة، ١٤٣٠ق.

٢٣- كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: العلامة الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،

ط١، بـيروت- لبنـان، ١٩٩١م

٢٤- مبـادئ وأسـس البحـث الاجتماعـي، مصطفـى عمـر البـتر، دار الجماهـير للنـشر والتوزيـع والإعـلان، ١٩٨٦.

٢٥- مسـند فاطمـة الزهـراء، جـلال الديـن السـيوطي، تصحيـح ونـشر وتعليـق: عزيـز بيـك، مطبعـة العزيزيـة حيـدر آبـاد، الهنـد، ١٩٦٨م.

٢٦- منتهـى الآمـال في تـوارع النبـي والآل، عبـاس القمـي، مكتبـة الصفـا، ط١، ايـران- قـم، ٢٠٠٤م.

٢٧- نهـج البلاغـة، السـيد الـرضي، تحقيـق: صبحـي صالـح، دار الكتـب المـصري، القاهـرة، ودار الكتـاب اللبنـاني، بـيروت، ط٤، ٢٠٠٤م.

٢٨- نوادر الأخبار، الفيض الكاشاني، مطبعة آرين، طهران، د. ت.

٢٩- يسـألونك عـن الزهـراء، جاسـم الأديـب، المطبعـة أمـير، ط١، قـم المقدسـة، ١٤١٨هـ.

٣٠- ينابيـع المـودة، العلامـة الشـيخ سـليمان بـن الشـيخ ابراهيـم الحسـيني الحنفـي، مؤسسـة الاعلمـي للمطبوعـات، بـيروت - لبنـان، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



الأبعاد والمضامين العقائدية في الخطبة الغديرية

م. د. شاكر عطية ضويحي الساعدي

لم يكن يوم الغدير كسائر الأيام التي تمرّ بنا وتنصرم، بل كان له تجدد في عام يمرّ على الأمة الإسلامية، حتى أصبح عيداً يتحفل فيه الخاصة منها، لما تضمنه من حدث تأريخ مهم له أثر في دوام أمنها واستقرارها حالها، فضلاً عن تداعياته وامتيازاته ودلالاته الأخرى خاصة به، فهو بذلك محطة تستحق الوقوف عندها والتأمل فيها، تمثّل بداية لحياة جديدة اختارها الله تعالى للأمة ألإسلامية؛ لعلمه سبحانه وتعالى بما تصبو إليه في التخطيط لقيادتها السياسية والدينية بعد رحيل نبيّها الأكرم محمد (صلى الله على وآله)، فأراد الله تعالى لهذه الأمة أن تبقى عزيزة قوية أمام جميع ما ينتظرها من أعدائها في الداخل (المنافقين) وفي الخارج، المتمثّل بمثلث الخطر، الذي ينتظر الفرصة للانقضاض والقضاء عليها.

فـما كان من أمر هذه الأمة المهول وما سيؤول إليه من الانقلاب والعصيان لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله) وترك تعاليمه، مقلقاً لنفس النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) من التبليغ بهذا الأمور، فبادر الحق تعالى أن بلغ ما أمرتك به، والله يعصمك من الناس، فأمر هذه الأمة كان للأسف الشديد يمثل أرادة ومخططاً معاكساً للإرادة والمخطط له من قبل الله تعالى، وقد تناست أنه من السنن الإلهية؛ إذ سبق وأن

طلبه نبي الله إبراهيم لذريته بعدما اصطفاه الله تعالى واختاره لأن يكون إماماً للناس، (قال ومن ذريتي)، قال له الحق تبارك وتعالى (لا ينال عهدي الظالمين)، فموضوع الإمامة من الأهمية والمنزلة العظيمة لا يتولاها إلا من عصم نفسه، وكان ممن اصطفاه الله واختاره لها، وعندها لا معنى لاختيار الأمة الإسلامية، أو آحادها. وعليه لم يكن هذا اليوم حدثاً عابراً، بل تضمن الكثير من المضامين والأبعاد والدلالات العقدية، حاول الباحثون التطرق لبعضها، وبقي البعض الآخر بحاجة إلى مزيد من البحث وتسليط الضوء، وهذا ما ستناوله في موضوع بحثنا الموسوم بـ (الأبعاد والمضامين العقائدية في الخطبة الغديرية)، وقد وجدناها أكثر من خمسة أبعاد ومباديء، وأن كل واحد منها يصلح أن يكون بحد ذاته موضوعاً لكتاب أو مشروع لبحث علمي دقيق.

الخصائص الزمكانية لـ (غدير خم)

يقع غدير خم على مفترق الطرق المؤدية إلى الطائف والمدينة، والى العراق وأطراف الشام، قرب منطقة الجحفة نسبياً، حيث يقع غدير خم من ميقات الجحفة مطلع الشمس بحوالي ٨ كيلوات، وجنوب شرقي رابغ بما يقرب من ٢٦ كم[١].

وهناك طريقين تؤديان إلى موقع غدير خم؛ إحداهما من الجحفة،

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ محمد الريشهري، ص٣٨٦.



والأخـرى مـن رابـغ.

١- طريـق الجحفـة: تبـدأ مـن مفـرق الجحفـة عنـد مطـار رابـغ سـالكا تسعة كيلـوات مزفتـة إلى أول قريـة الجحفـة القديمـة، حيـث شـيدت الحكومـة السـعودية - بعـد أن هدمـت المسـجد السـابق الـذي رأينـاه في الرحلـة الأولى - مسـجدا كبـيرا في موضعـه، وحمامـات للاغتسـال، ومرافـق صحيـة، ومواقـف سـيارت.

ثـم تنعطـف الطريـق شـمالا وسـط حجـارة ورمـال كالسـدود بمقـدار خمسـة كيلـوات إلى قـصر عليـاء، حيـث نهايـة قريـة الميقـات. ثـم تنعطـف الطريـق إلى جهـة اليمـين، قاطعـا بمقـدار كيلويـن أكوامـا مـن الحجـارة وتلـولا مـن الرمـال، وحـرة قصـيرة المسـافة. ثـم تهبـط مـن الحـرة يمنـة الطريـق حيـث وادي الغديـر.

٢- طريـق رابـغ: وتبـدأ مـن مفـرق طريـق مكـة - المدينـة العـام، الداخل إلى مدينـة رابـغ عنـد إشـارة المـرور، يمنـة الطريـق للقـادم مـن مكـة، مـارة ببيوتـات مـن الصفيـح، وأخـرى مـن الطـين يسـكنها بعـض بـدو المنطقـة.

ثـم يصعـد عـلى طريـق قديمـة مزفتـة تنعطـف بـه إلى اليسـار - وهـي الطريق العـام القديمـة التـي تبـدأ بقاياهـا مـن وراء مطـار رابـغ -. وبعـد مسـافة عـشر كيلـوات، وعـلى اليمـين، يتفـرع منـه الفـرع المـؤدي إلى الغديـر، ومسـافته مـن رابـغ إلى الغديـر ٢٦ كيلـوا تقريبـا[١].

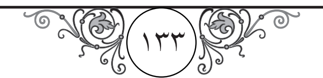
(١) المصدر السابق نفسه.

ويتمتع هـذا المـكان بعـدّة مميـزات دلاليـة خاصـة مـن قبيـل أيصـال الصـوت بشـكل واضـح عـلى مسـافة بعيـدة، وهـو ممـا يسـاهم في وصـول صـوت النبـي الأكـرم محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) إلى جميـع مـن خـرج معـه في حجـة الـوداع، وحـضر في هـذا المـكان، ليكـون ذلـك حجـة لـه عـلى الجميـع، كـما أن للزمـان الـذي أمـر الله تعـالى نبيـه الأكـرم محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه) أن يجمـع المسـلمين ويخبرهـم بـما أمـره الله تعـالى بـه، خصوصيـة أخـرى؛ إذ اختـار الله تعـالى وقـت الحـج الأكـبر الـذي يجتمـع فيـه المسـلمين كافـة، فضـلاً عـن دعـوة النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه لهـم بالحضـور في هـذا الموسـم بالـذات، لأنهـا سـتكون حجـة الـوداع لـه مـع أمتـه الإسـلامية؛ لأن الله تعـالى اقتضـت إرادتـه أن يرحـل النبـي عـن أمتـه، كـما أخبرهـم النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بخـبر السـماء؛ إذ قـال: (أيهـا النـاس اسـمعوا مـا أقـول لكـم واعقلـوه عنـي فـإني لا أدري لعـلي لا ألقاكـم في هـذا الموقـف بعـد عامنـا هـذا)[1].

الخطبة الغديرية و الإمامة الإلهية

إنّ واقعـة الغديـر ومـا جـرى فيهـا مـن أحـداث التـي ورد ذكرهـا في خطبـة النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه يـدور مـدار أخـذ البيعـة للإمـام عـلي عليـه السـلام مـن جميـع المسـلمين بعـد تنصيبـه إمـام الحـقّ لهـم بعـده صـلى الله عليـه وآلـه، لكـون النبـي صـلى الله عليـه وآلـه قـد قـرب أجلـه وأوشـك رحيلـه عـن أمتـه، التـي بـات يتوجـس الخيفـة عليهـا مـن حـوادث الأيـام وتقلـب الأحـوال

(١) الكافي، الكليني، ج٧، ص٢٧٣.



من بعده، كما جاء في قوله تعالى: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ)[1].

وعليه فكان لابد من جعل الإمامة الالهية كما اراد الله تعالى لها وأمر بها، فهي الضامن لاستمرار تعاليم الشريعة والحفاظ عليها، وليكون ذلك شاهد حشي وحي وتاريخي على كونها تمثل مبدأ قرآنياً مجعولاً بالجعل الإلهي وليس للأمة الإسلامية الاختيار في جعلها فيمن تشاء من آحادها، كما سيتضح معالمه في بيان معنى الاختيار الالهي وأدلته القطعية، وتكشف عنه المضامين العقدية التي تعد من مبادئه وأصوله، وهي:

المبدأ الأول: الاختيار والجعل الإلهي للإمامة

إن من بين النصوص الصريحة التي تكشف عن كون الإمامة مجعولة بالجعل الإلهي وأن أمرها بيد الله تعالى ورسوله لا غير أو من نص عليه بعد ذلك، هو ما جاء في قوله تعالى: (وإذا ابتلى إبراهيم ربّه بكلمات فأتمهن قال أني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)[2]، فهذا النص يكشف بوضوح أن الإمامة عهد واصطفاء واختيار وجعل من الله تعالى للإنسان الذي يرى الله عزّوجلّ فيه القابلية والاستعداد والأهلية لتسنمه هذا المنصب الإلهي، ومن هنا يتضح أنّ

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) البقرة: ١٢٤.

الرؤيـة القرآنيـة في اختيـار الهـادي لـكل قـوم (لـكل فـوم هـاد) يـدور مدتـر هـذا الجعـل والاختيـار قـال تعـالى: (وَجَعَلْنَـا منهُـمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُوْنَ بِأَمْرِنَـا لَمَّـا صَـبَرُواْ وَكَانُـواْ بِآيَاْتِنَـا يُوقِنُـوْنَ)(٤[١])، وقولـه: (وَجَعَلْنَاهُـمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُوْنَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَـا إِلَيْهِـمْ فِعْـلَ الْخَـيْرَاْتِ) (٥[٢])، وقولـه: (وَاجْعَلْنَـا لِلمُتَقِـيْنَ إِمْامَـاً)[٣]، وقولـه: (وَنَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمْ الْوَاْرِثِـيْنَ)[٤]. هـذا أولاً.

وثانيـاً أنّ الآيـة المباركـة (أني جاعلـك) تكشـف عـن أن الإمامـة ليسـت هـي النبـوة، وهـذا مـا يؤكـده المعنـى مـن أن نبـي الله إبراهيـم (عليـه السـلام) مُنِـحَ هـذا المقـام بعـد تعرضـه لسلسـلة مـن الابتـلاءات والاختبـارات، بـل كان ذلـك في أواخـر عمـره الشريـف؛ لأنـه طلبهـا لذريتـه، وهـو لا يتناسـب إلا مـع حصـول الذريـة لـه وتجـاوزه مرحلـة الشـباب والفتـوة خصوصـا وأنّـه (عليـه السـلام) لم يـرزق الذريّـة إلا بعـد فـترة مديـدة مـن الزمـن تجـاوز فيهـا تلـك المرحلـة، في حـين أنـه (عليـه السـلام) عندمـا أعلـن دعوتـه كان شـاباً يافعـاً، كـما هـو مفـاد قولـه تعـالى: (قالـوا سـمعنا فتـى يذكرهـم يقـال لـه إبراهيـم)[٥]،

فضـلاً عـن أنّ اسـم الفاعـل في - الآيـة المباركـة - « جاعـل « لا يعمـل في

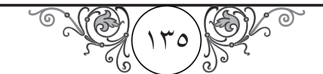
(١) السجدة: ٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) القصص: ٥.

(٥) الأنبياء: ٦٠.





المفعول « إماماً « إلا إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال، ولا يعمل في الماضي، وحيث إن النبوة كانت ثابتة مسبقا لإبراهيم (عليه السلام)، فلابد أن يكون إعطاء الإمامة لإبراهيم (عليه السلام) في الحال أو الاستقبال، أي بعد نبوته، وبذلك يحصل الاطمئنان بأن منصب الإمامة أُعطي لإبراهيم بعد أن كان رسولاً نبياً، ولم يكن إماماً. ثم إنّ من أروع الروايات التي أشارت إلى حقيقة الإمامة وبينت عظم شأنها ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: «إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلا مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم، إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثةً، وفضيلةً شرفه بها وأشاد بها ذكره، فقال: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴿ فقال الخليل عليه السلام سرورا بها: (وَمِن ذُرِّيَّتِي) قال الله تبارك وتعالى: (قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)[1]، فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة»...[2].

المبدأ الثاني: مبدأ الدوام وعدم الانقطاع لها

لا شك أن مبدأ الإمامة والهداية هو عبارة عن استمرار وامتداد لمهام الرسالة الإلهية، من ذكر تفاصيلها وبيان مبهماتها ومحكمها ومتشابهها

(١) البقرة،١٢٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٩١، نشر: انتشارات نور وحي، ايران، قم المقدسة، الطبعة الألى، ١٤٢٨هـ.

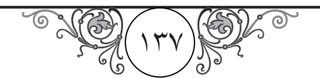


وتفعيلها في الأمة وغير ذلك؛ لأن عُمر الرسول عادة يكون أقصر من عمر الرسالة،، قال الشيخ السبحاني: (الخلافة عند الشيعة إمرة إلهية واستمرار لتحقيق أهداف النبي (صلى الله عليه وآله) ووظائفه، والإمام له نفس صلاحيات ووظائف النبي(صلى الله عليه وآله) غير أنّه ليس بنبي ولا يوحى إليه، والنبوة أوصدت وختمت بالرسول فلا نبي ولا رسول بعده،.... إلى أن قال: فالإمام عند الشيعة الإمامية هو الذي يقوم بهذه الوظائف كافة بلا استثناء ولا يقوم بها إلا الأمثل فالأمثل من الأمة، ومن تمتع بتربية إلهية وكان ذا كفاءة وجدارة على إدارة الدولة بمختلف شؤونها، وليس التعرف على مثل ذلك الإنسان أمرا يسيرا بل لا يعلمه إلا الله سبحانه والنبي صلى الله عليه وآله عن طريق إبلاغه)[١].

ومن هنا قد تستمر الرسالة من خلال الأنبياء التابعين للأنبياء أولي العزم، أو من خلال الأئمة، والأوصياء عندما تنقطع النبوة ويرتفع الوحي، كما في الرسالة الخاتمة، ولكن الهداية لابد من بقائها واستمرارها، كما قال تعالى: (وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون)[٢]، وذلك هو مفاد آيات البلاغ والولاية وحديث الثقلين وحديث الاثني عشر وحديث لا تخلو الأرض من حجة وغيرها، فيكون الإمام هو الهادي للأمة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله)، فلا تقتصر إمامته على عصر دون آخر، بل هي دائمة مستمرة، وهذا هو ما يمليه عليه موقعه من

(١) السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، ص٥٠.

(٢) الزخرف: ٢٨.



الدين الإسلامي، وكونه هادياً للأمة بجعل رباني دائمي؛ لا أنه أمر مؤقت يتعلق بمقطع خاص من الزمان والمكان، وإنما هو سنة إلهية ثابتة، وحجة لله في الأرض، قال تعالى: (وَلِكُلِّ قومٍ هَاد)[1].

وما أروع ما قاله الآلوسي في تفسيره: ((ولم تزل تلك الخلافة في الإنسان الكامل إلى قيام الساعة وساعة القيام، بل متى فارق هذا الإنسان العالم مات العالم؛ لأنه الروح الذي به قوامه، فهو العماد المعنوي للسماء، والدار الدنيا جارحة من جوارح جسد العالم الذي الإنسان روحه، ولما كان هذا الاسم الجامع قابل للحضرتين بذاته، صحّت له الخلافة وتدبير العالم، والله سبحانه الفعّال لما يريد ولا فاعل في الحقيقة سواه))[2]

ويلتقي هذا المعنى مع قوله تعالى:(وَجَعَلْنَا منهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاْتِنَا يُوقِنُوْنَ)[3]، وقوله:(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُوْنَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاْتِ)[4]، ويؤكد ذلك أيضاً ما ذكره السيوطي في تفسيره: (أخرج ابن مردويه عن برزة الأسلمي، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله) يقول: (إنما أنت منذر)، ووضع يده على صدره، ثم وضعها على صدر علي (عليه السلام) ثم قال: «لكل قوم هاد»)[5]،

(١) الرعد: ٧.

(٢) الآلوسي، روح المعاني: ج١: ص٢٢٠-٢٢١.

(٣) السجدة: ٢٤.

(٤) الأنبياء: ٧٣.

(٥) السيوطي، الدر المنثور: ج٤: ص٤٥؛ الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل: ج١: ص٣٨٦؛

وفي موضع آخر عن ابن عباس أنه قال: ((وضع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده على صدره، فقال: أنا المنذر، ثم أومأ إلى منكب علي (رضي الله عنه) وقال: أنت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون من بعدي))[1]، وأخرج الحاكم في المستدرك: ((عن علي: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد)، قال علي: رسول الله المنذر، وأنا الهادي))[2]، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

ومن هذا المنطلق والمبدأ كان رأى علماء السنة - فضلاً عن علماء الشيعة الإمامية - أفي مسألة تنصيب الإمام والخليفة بعد النبي(صلى الله عليه وآله) ضرورة عقلية وشرعية لا خلاف فيها، قال القرطبي: (الرابعة: هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة وتنفذ به أحكام الخليفة، ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمّة ولا بين الأئمة، إلاّ ما روي عن الأصم، حيث كان عن الشريعة أصم)[3].

وقال الفخر الرازي: (وخامسها: إذا كان معنى الخليفة من يكون نائباً لله تعالى في الحكم والقضاء، والاحتجاج إلى الحاكم والقاضي إنّما يكون التنازع والتظالم، كان الإخبار عن وجود الخليفة إخباراً عن وقوع الفساد

الطبري، جامع البيان: ج١٣: ص١٤٢؛ وقال الشوكاني في فتح القدير: (وصححه ابن مردويه وابن عساكر عن علي بن أبي طالب) / ج٣: ص٧٠.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) لاحظ: الدر المنثور: ج٤: ص٤٥؛ شواهد التنزيل: ج١: ص٣٨٦؛ جامع البيان: ج١٣: ص١٤٢.

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١، ص٢٦٤.

والشر بطريق الالتزام)[1].

إذن تبين من جميع ما تقدم ضرورة وجود الإمام الهادي في كل زمان مجعول بجعل إلهي لا غير، هذا أمر مسلم لو لا تشكيك البعض بكيفية جعله، هل هي بيد الله تعالى أو بيد الأمة؟ وهذا ما صرح به ابن حجر في (صواعقه) حيث قال: ((اعلم أن الصحابة (رضوان الله عليهم) اجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب... والاختلاف في التعيين لا يقدح بالإجماع المذكور))[2].

المبدأ الثالث: مبدأ الطاعة ووجوبها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله

إن طاعة الأعلى من قبل الأدنى مسألة ببيهية متسالم عليها عند العقلاء، فإذا جاء الأمر بها من قبل الشارع بعد ذلك يعد أمراً أرشادياً لا مولوياً، لمقتضى حق المولوية والعبودية، أن يكون العالي (آمر) والسافل الداني (مأمور)، كما جاء في قوله تعالى﴿اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولوا أمر منكم﴾، ومن كانت طاعته فرع طاعة الله تعالى، كان معصوماً، قال الفخر الرازي: ((ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون ذلك أمرا

---

(١) الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، ج٢، ص١٧٠.

(٢) الهيتمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة: ص١٥.

بفعـل ذلـك الخطـأ والخطـأ لكونـه خطـأ منهـي عنـه))[١]

لقـد أمـر الله تعـالى بطاعـة أنبيائـه ورسـوله والانقيـاد لهـم، ولم يقيـد طاعتهـم بـأيّ قيـد أو شرط، وهـذا مـا ورد في جملـة مـن الآيـات القرآنيـة، كقولـه تعـالى: (ومـا أرسـلنا مـن رسـول إلاّ ليطـاع بـإذن الله)[٢]، وقـد حكـى الله تعـالى في سـورة الشـعراء عـن أنبيائـه نـوح وهـود وصالـح ولـوط وشـعيب(ع) أنّهـم كانـوا يكـرّرون مطالبـة قومهـم بالطاعـة والانقيـاد لأوامرهـم، وذلـك في قولـه تعـالى: (فاتقـوا الله وأطيعـون)[٣]، وقـد دعـا الله تعالى النـاس إلى طاعة الرسـول الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه والانقيـاد لأوامـره في أكثـر مـن ثلاثـين آيـة مـن آيـات القـرآن الكريـم بلفـظ الطاعـة، وقـرن طاعـة الرسـول صـلى الله عليـه وآلـه بطاعتـه في جملـة مـن الآيات،وقـال عـز وجـل: (مـن يطـع الرسـول فقـد أطـاع الله)[٤].]. فهـذه الآيـات المباركـة أثبتـت للأنبيـاء(ع) وجـوب الطاعـة مطلقـاً، أي في كل الأمـور التـي مـن أنهّـا أن تطـاع كالأفعـال والأقـوال.

ومـع احتـمال الذنـب أو الخطـأ أو السـهو أو النسـيان في كل مـا لـه مسـاس بالطاعـة ممـا يوجـب الخـروج عـن جـادة الـصراط المسـتقيم، فإنّـه يكـون مخالفـاً للحكمـة الإلهيـة وموجبـاً للأمـر بإتبـاع الخطـأ والزلـل والضـلال، وهـو مسـتحيل عـلى الله تعـالى، كـما ينـافي هـذا أيضـاً قـوه تعـالى: (ومـن يطـع

(١)–()التفسير الكبير: ج١٠، ص١٤٤.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) الشعراء: ١٨، ١١٠، ١٢٦، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٣.

(٤) النس.اء: ١٨٠



الله والرسـول فأولئـك مـع الذيـن أنعـم الله عليهـم مـن النبيـين والصديقـين والشـهداء والصالحـين وحسـن أولئـك رفيقـاً)[1]؛ لأنّ الله تعـالى قـد بـيّن في آيـات أخـرى أنّ الذيـن أنعـم عليهـم عـلى صراط مسـتقيم، حيـث قـال تعـالى: (اهدنـا صراط المسـتقيم* صراط الذيـن أنعمـت عليهـم غـير المغضـوب عليهـم ولا الضالـين)[2].

فلـو كان المطيـع لأنبيـاء الله تعـالى طاعـة تامـة عـلى صراط مسـتقيم مـع الذيـن أنعـم الله عليهـم، فـلا شـك أن النبـي المطـاع كذلـك عـلى صراط مسـتقيم في قولـه وفعلـه وكل مـا هـو أسـوة وقـدوة فيـه.

قـال العلامـة الطباطبـائي: ((مـا يـدل عـلى عصمتهـم عليهـم السـلام قولـه تعـالى: (ومـا أرسـلنا مـن رسـول إلا ليطـاع بـإذن الله) حيـث جعـل كـون الرسـول مطاعـا غايـة للإرسـال، وقـصر الغايـة فيـه، وذلـك يسـتدعي بالملازمـة البينـة تعلـق إرادتـه تعـالى بـكل مـا يطـاع فيـه الرسـول وهـو قولـه أو فعلـه))[3].

وقـال الفخـر الـرازي: ((ومـن أمـر الله بطاعتـه عـلى سـبيل الجـزم والقطـع لا بـد وأن يكـون معصومـا عـن الخطـأ، إذ لـو لم يكـن معصومـا عـن الخطـأ كان بتقديـر إقدامـه عـلى الخطـأ يكـون قـد أمـر الله بمتابعتـه))[4].

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) الحمد: ٦-٧.

(٣) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج٢، ص١٣٧

(٤) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج١٠، ص١٤٤.

المبدأ الرابع: مبدأ الإقرار للنبي صلى الله عليه وآله بكل ما سألهم عنه وأشهدهم عليه

إنّ من بين أهم الأدلة وأوضحها واثبتها هو الإقرار الوجداني بثبوت الشيء أو عدمه، لأنّه يقوم على أسس ومباديء عقلائية متفق عليها عند جميع العقلاء، فالإنسان العاقل بمقتضى فطرته وسلامتها يستطيع التمييز بين الحق والباطل، وبين ما هو ثابت واقعاً وبين ما هو غير ثابت أو مشكوك بثبوته، فلما يخبر بلزوم ثبوت الشيء ويعترف به اعتراف إقرار وإذعان، فمن البعيد جداً أن ننقض عليه هذا الاعتراف والإذعان التصديق، لأنّه يقوم على أسس وجدانية متجذرة في نفس العاقل المقر بذلك، ولذا سادت القاعدة العامة (إقرار العقلاء على أنفسهم جائز)[1] أي نافذ، وثابت، فلا مجال عدنئذ لإنكاره بعد الاقرار الالتزام به، وعدّه الله تعالى مبدأ قرآني عقلائي، قال تعالى: (أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ)[2]

ومثل هذا قد استخدمه النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله مع أمته، حيث قال لهم: ألست أولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه[3].

(١) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص٣١١.

(٢) الاعراف: ١٧٢.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٣، ص ١٨٤.



المبدأ الخامس: مبدأ التعظيم لأمر الإمامة وخطورتها

يظهر من لحن الخطاب الإلهي في آية التبليغ ولهجته أن الأمر المكلف بتبليغه في غاية الأهمية والخطورة؛ إذ جعل عدم تبليغه مساويا لعدم تبليغ الرسالة الإسلامية، فضلاً عن كونه ابتدأ بوجوب الأمر والطلب من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بقوله (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...)(١)

ثم إن بيان الله تعالى للنبي في قوله (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)(٢) يكشف عن وجود أمر كان مقلقاً للنبي صلى الله عليه وآله وباعث على الخوف في نفسه، فيما لو حصل التبليغ بهذا الأمر ورفضت الأمة قبوله ومعارضته، وهو مما يستوجب كفرها بجميع ما آتاه به من الدين وأحكامه (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا)(٣)، ولأجل ازالة هذا الخوف ودفع القلق عن نفس النبي الأكرم صلى الله عليه وآله قال تعالى (والله يعصمك من الناس) مطمئنا له؛ لأنّ النبي الأكرم سبق وأن بلغ بهذا الأمر وعارضه بعض آحادهم، فخاف أن يبلغهم به وتحصل المعارضة من الجميع وهو في أواخر أيام حياته.

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) المائدة: ٦٧.

(٣) النساء: ١٥٠.

المبدأ السادس: مبدأ إكمال الدين وإتمام النعمة به

هـذا المبـدأ وإن جـاء الإعـلان عنـه متأخـراً بعـض الـشيء، أي بعـد تبليـغ الأمـر وأخـذ البيعـة للأمامـة عـلي (عليـه السـلام) مـن جميـع مـن حـضر تلـك الحجـة وتلـك الحادثـة (الغديريـة)، فـكان ذلـك إيـذان مـن الله تعـالى مـن أن كـمال الديـن وإتمـام النعمـة التـي جـاء بهـا النبـي صـلى الله عليـه وآلـه كان رهـين هـذه البيعـة والاعـتراف مـن الجميـع بإمامـة الإمـام عـلي عليـه السـلام بعـد النبـي الأكـرم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه والتـي تماثلهـا في عصرنـا الحـاضر بعملية إجـراء القسـم، التـي تعـد البصمـة الأخـيرة في حسـم الأمـر للقاسـم بذلـك؛ باعتبارهـا مبـدأ قرآنيـاً وتنصيبـاً إلهيـاً بجعـل واختيـار إلهـي لهـا، لتكـون بذلـك حافـظ وامتـداداً لمـا جـاء بـه النبـي الأكـرم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه تقـوم مقامـه في بيـان شريعتـه والدفـاع عـن دينـه وأمينـة عـلى وحيـه، صائنـة لـه مـن الانحـراف والضـلال والبـدع.

والحاصـل: أن أصـل الإمامـة مـن الأهميـة بمـكان لم يكـن أمرهـا سـهلاً مستسـاغ للأمـة الإسـلامية، فلأهميتهـا وخطورتهـا أخـذ النبـي الأكـرم محمـد صـلى الله عليـه وآلـه منـذ الانطـلاق الأولى لدعوتـه، مـن التعريـف بهـا وبأصحابهـا في مواطـن مختلفـة، كان في أغلبهـا يواجـه النبـي صـلى الله عليـه وآله معارضـة شـديدة الى المسـتوى والحـد الـذي اتهـم بالجنـون، أو التشـويش عليـه لئـلا تسـمع النـاس بـما يريـد قولـه، أو الحـد الـذي يطلـب فيـه أحدهـم المـوت وأن لا يكـون ذلـك للإمـام عـلي عليـه السـلام وهـو الحـق، كـما طلـب ذلـك الهـلاك وأنـزال العـذاب بـه إن كان مـا يقولـه النبـي صـلى الله عليـه وآلـه في ابـن

عمـه حقـاً[١].

وعليـه فمـن الطبيعـي أن يتخـوف النبـي الأكـرم صـلى الله عليـه وآلـه وهـو ينعـى نفسـه ويخبرهـم بقـرب رحيلـه عـن هـذه الدنيـا، أونـه مـودع لهـم عـما قريـب، وهـو يعلـم حالهـم وموقفهـم مـن الإمـام عـلي عليـه السـلام مـا تصبوا إليـه نفوسـهم في طلـب الرئاسـة والزعامـة مـن بعـده عـلى هـذه الأمـة.

كـما أنـه مـن الطبيعـي أن يقـدم كل هـذه المبـاديء العقليـة والإلهيـة قبـل الافصـاح عـن هـذا الأمـر، لئـلا يكـون لهـم بعـد ذلـك الحجـة عليـه، وتكـون الحجـة البالغـة عليهـم، ولأجـل ذلـك قـدم هـذه المبـاديء فضـلاً عـن تعريفـه بعترتـه كونهـا عـدل القـرآن، وأن التمسـك بالقـرآن لا يعنـي مـن دون التسـمك بهـا، إذ قـرن النجـاة بالتمسـك بهـما معـاً[٢].

عـلاوة عـلى هـذا أن الأمـة الإسـلامية لهـا سـابق معرفـة بالإمـام عـلي عليـه السـلام ومكانتـه عنـد الله تعـالى وعنـد النبـي صـلى الله عليـه وآلـه فـلا زالـت أصـداء تلـك الآيـات والأحاديـث الشريفـة تـزن في مسـامعهم، فالإمـام عـلي عليـه السـلام لم يكـن خفيـاً عـن أحـد في سـابق إيمانـه وجهـاده وعلمـه بالديـن

---

(١) كما جاء خبر ذلك في سورة المعارج: ١-٢ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾

(٢) كما رواه احمد في مسنده عن ابي سعيد الخدري(إني أوشك أن أدعي فاجيب، و إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله عزوجل، و عترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض و عترتي أهل بيتي، و إن اللطيف الخبير، اخبرني انهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض) ينظر: مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص ١٤.و ج ٣، ص ١٧ و ص ٢٦. و ج ٤ ص ٣٦٦، ٣٦٧ و ص ٣٧١. و ج ٥، ص ١٧٩، ١٨١، ١٨٢، ١٩٠.

وأحكامه، بل بجميع ما تحتاج إليه الأمة في أدارة شؤونها، فهو كما قيل عنه الكل يحتاج إليه ولا يحتاج لأحد منهم، ولولا لهلك الكثير من آحاد الأمة، فكان مرجعها في جميع أمور دينها ودنياها، فضلاً عن وصايا النبي صلى الله عليه وآله به وتحذيرهم عن مفارقته، فهو مع الحق والحق معه، يدور الحق حيث دار[1]، فأخذ البيعة له في هذا اليوم بمثابة أداء القسم له وحسم الأمر بعد ذلك.

النتائج النهائية والتوصيات

لقد توصلنا من خلال البحث إلى عدة نتائج كلية، وهي:

أولا: إن أصل الإمامة لها من الأهمية والخطورة، يعد التبليغ والإعلان عنها كحق للإمام علي من بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله) بلا فصلاً، باعث على قلق وتخوف النبي (صلى الله عليه وآله) من أمته أن لا تستجيب لهذا الأمر وهو في أواخر لحظات حياته معها.

ثانياً: إن مما يكشف أيضاً أهمية الإمامة عن عدم الإعلان عنها أمام الأمة الإسلامية في يوم الغدير وأخذ البيعة لصاحبها من جميع المسلمين آنذاك، هو أنها بذلك الإعلان والتبليغ مساوية لتبليغ النبي (صلى الله عليه وآله) لرسالته، وعدمها مساوي لعدم ذلك (ما بلغت رسالته).

(١) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ج ١٤ / ٣٢١، والحافظ الهيثمي، نور الدين، مجمع الزوائد: ج ٧ / ٢٣٦، والدينوري، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ج ١ / ٦٨، والحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين: ج ٣ / ١٣٥، والترمذي، سنن الترمذي: ج ٢ / ٢١٣ وغيره.



ثالثاً: مما يكشف أيضاً عن عظيم أمرها وخطورتها، أن جعل النبي صلى الله عليه وآله أن يقدم لها عدة مقدمات للتمهيد عن إعلانها، شكلت بمجموعة مجموعة من الإبعاد والمضامين العقدية.

رابعاً: إن من أهم ما تتميز به الإمامة أنها مجعولة بالجعل الإلهي، ولم يكن أمرها آحاد الأمة الإسلامية؛ وذلك أهميتها وعظيم مكانتها ودورها في حفظ الإسلام بعد النبي صلى الله عليه وآله فهي الامتداد والاستمرار لنبوته، وحفظها من الانحراف عن أهدافها.

التوصيات

أولاً: تحتاج الأمة الإسلامية إلى الثقافة العلمية بعيدة عن التعصب المذهبي والقومي، وذلك من خلال نشر الثقافة الدينية الصحيحة، ويتم لك عن طريق الحوارات الهادفة من جهة، وعقد الندوات الدينية التعريفية بالدين المحمدي الأصيل.

ثانياً: أن تكون هناك مؤتمر عالمي لبحث أصل الإمامة بحثاً علمياً يعتمد الفكر الإسلامي الصحيح.

ثالثاً: الاستمرار بعقد المؤتمرات الخاصة بهذا اليوم، لتسنى للكثير من المسلمين وغيرهم التعرف على أحداثه ومضامينه وأبعاده.

مصادر

١ – ابن حنبل، أحمد، المسند، نشر دار صادر بيروت، الطبعة الأولى.

٢- الآلوسي، محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى.

٣- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ.

٤- الحاكم الحسكاني، عبيد الله بن عبدالله، شواهد التنزيل، طهران، مطبعة ونشر وزارة الارشاد الإسلامي، ١٤١١هـ.

٥- الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، وبهامشه تلخيص الذهبي، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٨هـ.

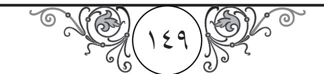
٦- الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، طهران، المكتبة الإسلامية، ١٣٦٧ش، الطبعة السادسة.

٧- الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطار، بيروت، دار الكتب العلمية، بي، تا.

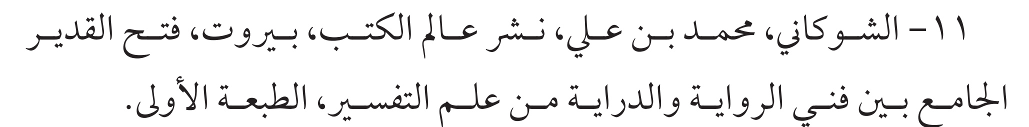
٨- الدينوري، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة والسياسة، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى.

٩- السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، نشر مؤسسة الإمام الصادق (ع)، قم، الطبعة الأولى.

١٠- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الدر المنثور، قم، نشر مكتبة آية الله المرعشي، ١٤٠٤هـ، الطيعة الأولى.







١١- الشوكاني، محمد بن علي، نشر عالم الكتب، بيروت، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الطبعة الأولى.

١٢- الصدوق، محمد بن علي، الخصال، نشر جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ، الطبعة الأولى.

١٣- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٧هـ، الطبعة الأولى.

١٤- الطبري، جامع البيان، تحقيق د. عبد الله عبد الحسين التركي، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٢هـ.

١٥- الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ، الطبعة الثانية.

١٦- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، طهران، انتشارات ناصر خسرو، الطبعة الأولى.

١٧- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص٩١، نشر: انتشارات نور وحي، ايران، قم المقدسة، الطبعة الألى، ١٤٢٨هـ.

١٨- الريشهري، محمد، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الكتاب والسنة والتاريخ، نشر دار الحديث، الطبعة الأولى.

١٩- الهيتمي، ابن حجر، الصواعق المحرقة، مصر القاهرة، ١٣٨٥هـ، الطبعة الثانية.

٢٠- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.



بيعة الغدير... تحت الشجرة... بيعة خلافة الله في الأرض

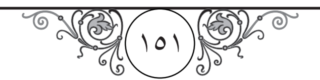
د. أحمد راسم النفيس

يقول تعالى: لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا * وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا)[1].

أي شجرة؟!

الشائع عند المفسرين أن بيعة الشجرة كانت يوم الحديبية، يوم أن خرج رسول الله صلى الله عليه وآله في العام السادس للهجرة متجها نحو مكة لأداء العمرة فكان أن تصدت له قريش بالمنع وكان ما كان من إبرام صلح واتفاق بين الطرفين ونصه: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله وسهيل بن عمرو، «واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض على أنه لا إسلال ولا إغلال، وأن بيننا عيبة مكفوفة، وأنه من أحب أن يدخل في عهد محمد وعقده فعل، وأنه من أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدها فعل، وأنه من أتى محمدا

(١) سورة الفتح ١٨-٢٠.



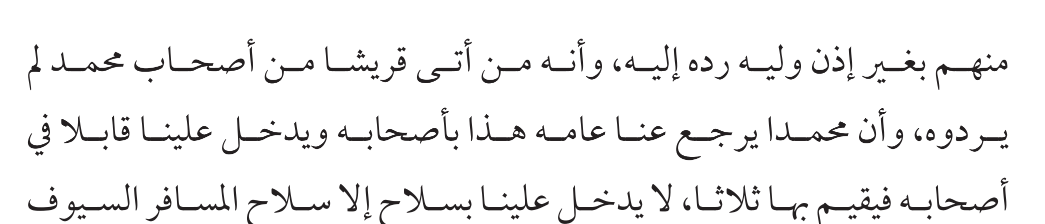
منهم بغير إذن وليه رده إليه، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم يردوه، وأن محمدا يرجع عنا عامه هذا بأصحابه ويدخل علينا قابلا في أصحابه فيقيم بها ثلاثا، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر السيوف في القرب».

أما القمي فيضيف في تفسيره إلى نص كتاب الصلح (على أن المسلمين بمكة لا يؤذون في إظهارهم الإسلام ولا يكرهون ولا ينكر عليهم شيء يفعلونه من شرائع الإسلام، فقبلوا ذلك)[1].

اكتفى أغلب المسلمين بالتفسير القائل أنها كانت بيعة على القتال ثأرا لمقتل عثمان بن عفان (المظلوم؟!) بينما يقول القمي أنها كانت بيعة على السمع والطاعة في مواجهة التمرد الذي قاده عمر بن الخطاب وهو الصحيح والمقبول عقلا ونقلا!!.

نتحدث عن الآية لا عن تمرد عمر بن الخطاب وتهجمه على مقام النبوة ووصفه للصلح بأنه كان إعطاءً للدنية وقبولا بالذل إلى آخر تلك المقولات التي لا يخجل القوم من تكرارها والتفاخر بها!!.

القاعدة العامة تتحدث عن عموم النص لا عن خصوص السبب فعندما يقول سبحانه (إذ يبايعونك تحت الشجرة) فلا مجال لحصرها بشجرة معينة ثم القول أن النص مختص ببيعة جرت في ظل هذه الشجرة أما إذا لم تكن تحتها فقيمة البيعة تتضاءل وهي غير ملزمة، فما بالك لو



(١) تفسير القمي ج٢ ص ٣١٨، ط دار السرور بيروت لبنان.

لم تجر تحت أي شجرة أو جرت في الخلاء فعندها تصبح قيمة البيعة هي والعدم سواء!!.

نحن لا ننفي أنه كانت هناك بيعة يوم الحديبية، إلا أن الإشارة إلى الشجرة تحوي من الدلالات ما ينبه الواعي والبصير إلى أن تذكير المسلمين ببيعتهم في هذا اليوم في مواجهة التمرد والذي قاده ابن الخطاب يشير إلى ما هو آت في مستقبل الأيام.

في اللغة لا يقال (تحت الشجرة) لو كان المراد بها مجرد شجرة عادية أو حتى شجرة وارفة الظلال، وإنما يقال جنب الشجرة أو بجوارها، فهل هناك شجرة تسع تحتها قرابة الألف إنسان؟!.

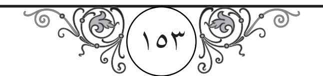
إنها ليست شجرة عادية بلحاظ حجمها المفترض أما في اعتقادنا فهي شجرة النبوة شجرة الكلمة الطيبة التي ذكرها ربنا عز وجل في محكم كتابه.

تتكرر كلمة الشجرة في القرآن إشارة إلى مكان له أعلى درجات القداسة كقوله تعالى (فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)[1] .

ماذا لو أخبرناهم أن بيعة الغدير جرت هي الأخرى تحت شجرة

---

(١) القصص ٢٩-٣٠.





كما يقول المحدثون والرواة ومن ضمنهم ابن كثير الذي قال: فصل في إيراد الحديث الدال على أنه عليه السلام خطب بمكان بين مكة والمدينة مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غدير خم - فلما فرغ عليه السلام من بيان المناسك ورجع إلى المدينة خطب خطبة عظيمة يوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ وكان يوم الاحد بغدير خم تحت شجرة هناك، فبين فيها أشياء. وذكر من فضل علي وأمانته وعدله وقربه إليه ما أزاح به ما كان في نفوس كثير من الناس منه.

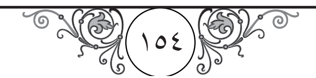
ونحن نورد عيون الأحاديث الواردة في ذلك ونبين ما فيها من صحيح وضعيف بحول الله وقوته وعونه، وقد اعتنى بأمر هذا الحديث أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه، وساق الغث والسمين والصحيح والسقيم، على ما جرت به عادة كثير من المحدثين يوردون ما وقع لهم في ذلك الباب من غير تمييز بين صحيحه وضعيفه[1].

الولاية وشجرة النبوة

الذي نرجحه أن البيعة تحت الشجرة التي ذكرها ربنا عز وجل في سورة الفتح هي بيعة الولاية وأن الشجرة هي شجرة النبوة بدءا وانتهاء وأن القوم أعطوا بيعتهم على الإيمان بمحمد بن عبد الله نبيا ورسولا وعلي بن أبي طالب وصيا وإماما وحجة على العالمين.

---

(١) أين هذا الكتاب؟!، هلا أخبرنا التيمويون والكثيريون أين نعثر عليه؟!.



يقول سبحانه وتعالى (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ * يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء)[1].

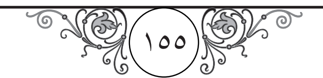
(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ)[2].

النبوة شجرة لها جذور ولها ساق ولها فروع ولها أوراق ولها ثمار.

فالساق هو رسول الله صلى الله عليه وآله والجذور هم سلفه من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) سورة إبراهيم ٢٤-٢٧.

(٢) سورة النور ٣٥-٣٨.



الفروع الرئيسية هم أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام أما الثمار والأوراق فهم آحاد المسلمين الذين حاولوا وما زالوا يحاولون الحصول على الغذاء من جذع شجرة النبوة بوسائل أدنى ما يقال عنها أنها طفيلية كما أنها لا تغني ولا تسمن من جوع!!.

ويقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

عِتْرَتُهُ خَيْرُ الْعِتَرِ، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ الأَسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ الشَّجَرِ- نَبَتَتْ فِي حَرَم، وَبَسَقَتْ فِي كَرَم، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ، وَثَمَرٌ لاَ يُنَالُ.

ويقول عليه السلام:

اخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَمِشْكَاةِ الضِّيَاءِ، وَذُؤَابَةِ الْعَلْيَاءِ، وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ، وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ. خطبة ١٠٧.

ابْتَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ، وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي، وَالْكِتَابِ الْهَادِي.

أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَة، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَة، أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ، وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ.

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ، عَلا بِهَا ذِكْرُهُ، وَامْتَدَّ مِنْهَا صَوْتُهُ.

أَرْسَلَهُ بِحُجَّة كَافِيَة، وَمَوْعِظَة شَافِيَة، وَدَعْوَة مُتَلافِيَة. أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَ بِهِ الأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ.

فَـ(مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً) تَتَحَقَّقْ شِقْوَتُهُ، وَتَنْفَصِمْ عُرْوَتُهُ، وَتَعْظُمْ

كَبْوَتُـهُ، وَيَكُـنْ مَآبُـهُ إِلَى الْحُـزْنِ الطَّوِيـلِ وَالْعَـذَابِ الْوَبِيـلِ وَأَتَـوَكَّلُ عَـلَى الله تَـوَكُّلَ الإِنَابَـةِ إِلَيْـهِ، وَأَسْتَرْشِـدُهُ السَّـبِيلَ الْمُؤَدِّيَـةَ إِلى جَنَّتِـهِ، الْقَاصِـدَةَ إِلى مَحَـلِّ رَغْبَتِـهِ. خطبـة ١٦١.

بيعة الشجرة وإرهاصات التمرد الكبير!!

مـا هـو الأمـر الـذي بايـع عليـه المسـلمون رسـولَ الله صـلى الله عليـه وآلـه يـوم الحديبيـة فيـما بـات يعـرف ببيعـة الرضـوان كـما سـماها القـرآن الكريـم أو شـجرة الرضـوان (لقـد رضي الله عـن المؤمنـين إذ يبايعونـك تحت الشـجرة)؟!.

بعـض الـرواة يزعـم أنـه أخـذ بيعتهـم عـلى المـوت وهـو مـا نفـاه آخـرون ذاكريـن أنـه بايعهـم عـلى ألا يفـروا في أعقـاب (إشـاعة) سرت عـن مقتـل عثـمان بـن عفـان!!.

بالتأمـل في خـبر أو إشـاعة مقتـل عثـمان بـن عفـان وتقديمهـا كمـبرر للبيعـة نـرى مـن الصعـب أن نسـلم بهـذا الزعـم، وهـو الـذي ذهـب إلى مكـة باقـتراح مـن عمـر بـن الخطـاب حيـث (اسـتقبله أبـانَ بـن سـعيد بـن العـاص حـين دخـل مكـة، فحملـه بـين يديـه، ثـم أجـاره حتى بلَّـغ رسـالة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، فانطلـق عثـمانُ حتـى أتـى أبـا سـفيان وعظـماءَ قريـش، فبلَّغهـم عـن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم مـا أرسـله بـه، فقالـوا لعثـمان حـين فـرغ مـن رسـالة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم إليهـم: إن شـئتَ أن تطـوفَ بالبيـت فطُـفْ فقـال: مـا كنـت لأفعـل حتـى يطـوفَ بـه رسـول الله واحتبسـته قريـش عندَهـا، فبلـغ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم والمسـلمين

أن عثمانَ قد قُتل).

المهم أنه عاد بعد ذلك سالما وافرا لم يمسسه سوء، وبالتالي فتفسير البيعة بأنها كانت استعدادا للقتال ردا على مقتل عثمان المزعوم ليس أمرا مقنعا.

الثابت أيضا أن بعض المسلمين على رأسهم عمر بن الخطاب قد اعترضوا على الصلح فيما يشبه التمرد وهو ما غصت به كتب الروايات.

هاهو ابن القيم في كتابه (زاد المعاد) يروي قصة تمرد عمر بن الخطاب ورفضه للصلح - في أعقاب قصة أبي جندل- راويا عنه: قال عُمَرُ: والله ما شككتُ منذ أسلمتُ إلا يومئذ. فأتيتُ النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقلت: يا رسولَ الله؛ ألستَ نبى الله حقاً؟ قال: «بلى»، قلتُ: ألسنا على الحق وعدوُّنا على الباطل؟ قال: «بلى»، فقلتُ: علامَ نُعطى الدَّنيَّةَ فى ديننا إذاً، ونَرْجِعَ ولما يَحْكُم اللهُ بيننا وبينَ أعدائنا؟ فقال: «إنِّى رَسُولُ الله، وَهُوَ نَاصِرِى، وَلَسْتُ أعْصِيهِ»، قلتُ: أوَ لستَ كنتَ تُحدثنا أنَّا سنأتى البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «بَلَى، أَفَأَخْبَرْتُكَ أَنَّكَ تَأْتِيهِ العَام»؟، قلتُ: لا. قالَ: «فإنَّكَ آتيهِ ومُطَّوِّفٌ به». قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلتُ له كما قلتُ لِرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وردَّ علَيَّ أبو بكر كما ردَّ علَيّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء، وزاد: فاستَمْسِك بِغَرْزِهِ حَتَّى تَمُوتَ، فوالله إنَّه لَعَلى الحَقِّ. قال عُمر: فعملت لذلك أعمالاً. فلمَّا فرغ مِن قضية الكتاب، قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُومُوا فَانْحَرُوا، ثم احْلِقُوا» فَوَالله مَا قَامَ مِنْهُمْ رجلٌ واحد حتى قال ذلك ثلاثَ مرات، فلما لم يَقُمْ مِنهم

أحـد، قـام فدخـل عـلى أُمِّ سـلمة، فذكـر لهـا مَـا لَقِـيَ مِـنَ النـاس، فقالـت أُمُّ سـلمة: يـا رسُـول الله؛ أَتُحِبُّ ذلـك؟ اخـرُجْ ثـم لا تكلِّـم أحـداً منهـم كلمـة حتـى تَنْحَـرَ بُدْنَـك، وتدعـو حَالِقَـكَ فيحلقَـكَ، فقـام، فخـرج، فلـم يُكَلِّـمْ أحـداً منهـم حتـى فعـل ذلـك: نحـر بُدنـة، ودعـا حَالِقـه فحلقـه، فلـما رأى النـاسُ ذلـك، قامُـوا فنحـروا، وجعـل بعضُهـم يَحْلِـقُ بعضـاً، حتـى كادَ بعضُهم يقتُـلُ بعضـاً غـماً.

حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما!!!!!.

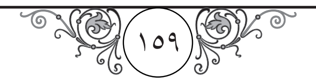
أمـا قصـة أبـو جنـدل فـلا نراهـا موضعـا للاعـتراض بعـد صلـح أقـر بحـق المسـلمين في مكـة في إظهـار دينهـم والأمـر كان كـما وصفـه ابـن شـهاب الزهـري ونقلنـاه سـابقا (لمـا كانـت الهدنـة ووضعـت الحـرب أوزارهـا وأمـن النـاس كلهـم بعضهـم بعضـا فالتقـوا وتفاوضـوا في الحديـث والمنازعـة فلـم يكلـم أحـد بالإسـلام يعقـل شـيئا إلا دخـل فيـه فلقـد دخـل في تينـك السـنتين في الإسـلام مثـل مـا كان في الإسـلام قبـل ذلـك وأكثـر).

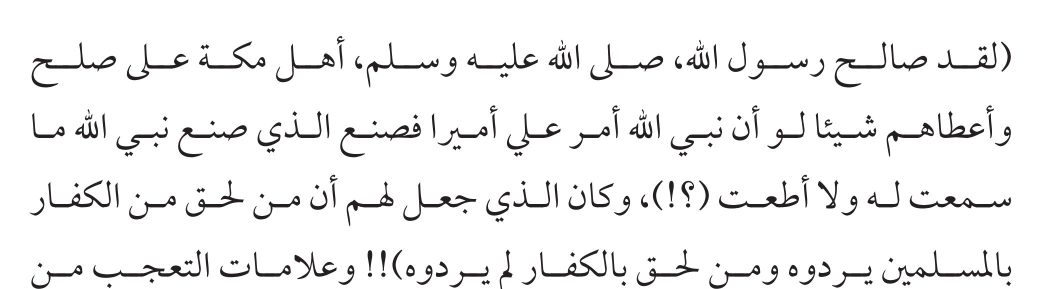
لا نـرى مـبررا عـلى الإطـلاق للاعـتراض عـلى أمـر النبـي الأكـرم الـذي كان بـدوره ينفـذ أمـرا إلهيـا حيـث يقـول سـبحانه وتعـالى (وَمَـا كَانَ لِمُؤْمِـنٍ وَلَا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَـضَى اللهُ وَرَسُـولُهُ أَمْـرًا أَنْ يَكُـونَ لَهُـمُ الْخِـيَرَةُ مِـنْ أَمْرِهِـمْ وَمَـنْ يَعْـصِ اللهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلَالًا مُبِينًـا)[1].

يـروي ابـن سـعد في الطبقـات عـن ابـن عبـاس قـال عمـر بـن الخطـاب:

---

(١) الأحزاب ٣٦.





(لقد صالح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئا لو أن نبي الله أمر علي أميرا فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت (؟!)، وكان الذي جعل لهم أن من لحق من الكفار بالمسلمين يردوه ومن لحق بالكفار لم يردوه)!! وعلامات التعجب من عندنا.

لا نرى في أغلب المصادر التي نقلنا عنها ردا وافيا من رسول الله على اعتراضات ابن الخطاب باستثناء تفسير القمي الذي أورد مزيدا من التفاصيل في الرد (وأقبلوا يعتذرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم: ألستم أصحابي يوم بدر إذ أنزل الله فيكم إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين، ألستم اصحابي يوم احد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم، ألستم اصحابي يوم كذا؟ ألستم اصحابي يوم كذا فاعتذروا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وندموا على ما كان منهم وقالوا: الله أعلم ورسوله فاصنع ما بدا لك)[1].

قال علي بن ابراهيم (تفسير القمي) في قوله (هو الذي انزل السكينة - إلى قوله - ولله جنود السموات والارض) فهم الذين لم يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وآله ولم ينكروا عليه الصلح ثم قال (ليدخل المؤمنين والمؤمنات - إلى قوله - الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء) وهم الذين أنكروا الصلح واتهموا رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عطف

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص ٣١٨-٣١٩ دار السرور بيروت لبنان.

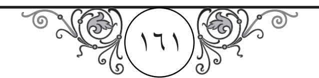
بالمخاطبة على أصحابه فقال (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه) ثم عطف على نفسه عز وجل فقال: (وتسبحوه بكرة وأصيلا) معطوفا على قوله لتؤمنوا بالله، ونزلت في بيعة الرضوان (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) واشترط عليهم ان لا ينكروا بعد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله شيئا يفعله ولا يخالفوه في شيئ يأمرهم به، فقال الله عزوجل بعد نزول آية الرضوان (ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) وإنما رضي عنهم بهذا الشرط أن يفوا بعد ذلك بعهد الله وميثاقه ولا ينقضوا عهده وعقده فبهذا العهد رضي الله عنهم[1].

لم يكن التمرد الذي قاده عمر بن الخطاب على مقام النبوة أمرا هينا أو بسيطا بعد أن أدى إلى حالة من الغضب ورفض الصلح الذي كان منذ البدء خطة إلهية وفتحا مبينا ما كان لهؤلاء ولا لغيرهم أدنى حق في الاعتراض عليه ولا لإثارة مثل هذه الزوبعة التي هددت تماسك الأمة الإسلامية ووحدتها.

الشاهد أن موقف ابن الخطاب الذي عبر عنه بعد ذلك (لقد صالح رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أهل مكة على صلح وأعطاهم شيئا لو أن نبي الله أمر علي أميرا فصنع الذي صنع نبي الله ما سمعت له ولا أطعت (؟!)، وكان الذي جعل لهم أن من لحق من الكفار بالمسلمين

---

(١) نفس المصدر ص ٣٢١-٣٢٢.



يـردوه ومـن لحـق بالكفـار لم يـردوه)، كان إنـذارا بـما سـيصدر منـه بعـد ذلـك في مواجهـة البيعـة الأكـبر بيعـة الغديـر وهـو بذلـك كان يـدرب أنصـاره عـلى مبـدأ العصيـان والتمـرد وإعـمال الهـوى والـرأي في مقابـل الأمـر الربـاني الـذي أصـدره رسـول رب العالمـين الـذي لا ينطـق عـن الهـوى ومـن ثـم جـاءت البيعـة وكأنهـا تمهيـد أو تدريـب للمسلمين عـلى الإذعـان والسمع والطاعة!!.

وهيهات هيهات!!

بيعة الغدير والاستخلاف في الأرض

(وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً قَالُـوا أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـنْ يُفْسِـدُ فِيهَـا وَيَسْـفِكُ الدِّمَـاءَ وَنَحْـنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْـدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَـمُ مَـا لَا تَعْلَمُـونَ * وَعَلَّـمَ آدَمَ الْأَسْـمَاءَ كُلَّهَـا ثُـمَّ عَرَضَهُـمْ عَـلَى الْمَلَائِكَـةِ فَقَـالَ أَنْبِئُـونِي بِأَسْـمَاءِ هَـؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُـمْ صَادِقِـينَ * قَالُـوا سُـبْحَانَكَ لَا عِلْـمَ لَنَـا إِلَّا مَـا عَلَّمْتَنَـا إِنَّـكَ أَنْـتَ الْعَلِيـمُ الْحَكِيـمُ * قَـالَ يَـا آدَمُ أَنْبِئْهُـمْ بِأَسْـمَائِهِمْ فَلَـمَّا أَنْبَأَهُـمْ بِأَسْـمَائِهِمْ قَـالَ أَلَمْ أَقُـلْ لَكُـمْ إِنِّي أَعْلَـمُ غَيْـبَ السَّـمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَـمُ مَـا تُبْـدُونَ وَمَـا كُنْتُـمْ تَكْتُمُـونَ)[1].

يعـرف كل مـن لـه مسكة مـن علـم أن الله تبـارك وتعـالى خلـق آدم وأسـكنه الأرض لينهـض بمهمـة خلافتـه (وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي جَاعِـلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَـةً)[2]، وأن (تسـاؤل) الملائكـة عـن حكمـة هـذا الاسـتخلاف لم

---

(١) البقرة ٣٠-٣٣.

(٢) البقرة ٣٠.

يكن اعتراضا على أمر الله سبحانه وهم الذين (لَا يَعْصُونَ اللهَّ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[1]، بل لأنهم لا يعلمون غيب السموات والأرض ولا يعلمون إلا ما علمهم الله عز وجل ومن ثم فلم يكن لهم علم بأن استخلاف الإنسان في الأرض سيكون هو المحور الذي سيدور حوله الاختبار البشري برمته (كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللهَّ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ)[2].

منذ البدء وحتى هذه اللحظة وصولا إلى نهاية الصراع حينما تضع الحرب أوزارها حيث تبلى السرائر وتكشف الحقائق وتظهر نتيجة الاختبار البشري الطويل (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهَّ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)[3]، ظل الاختبار الحقيقي للناس دائرا حول خلافة الله في الأرض وظيفة وشخصا أكثر من كونه دائرا حول وجود الله تبارك وتعالى، إثباتا للمؤمنين، ونفيا من قبل الملحدين، واكثر من كونه دائرا حول أصل النبوة إثباتا أو نفيا كما هو الحال بالنسبة لقضية الألوهية.

اختلف الناس حول الخلق والخالق إثباتا ونفيا، إلا أن الغالبية العظمى

(١) التحريم ٦.

(٢) الأعراف ٢٩-٣٠.

(٣) آل عمران ١٠٦-١٠٧.



حتى أولئك الذين لا ينتمون للديانات السماوية الكبرى، يقرون بوجود الخالق وإن اختلفت تصوراتهم حول الله عز وجل.

الآن هناك مليار ونصف مسلم يعيشون في هذا العالم يؤمنون بأن لا إله إلا الله ويؤمنون بنبوة محمد بن عبد الله إلا أنهم لا يفسرون الدين بطريقة واحدة، بل ويصل الخلاف بينهم حد السب والشتم والتكفير وسبي نساء بعضهم بعض فضلا عن قطع الرؤوس.

الآن هناك مراكز قيادة متعددة ومتنازعة في عالمنا الإسلامي حيث يوجد أكثر من مدعي خلافة مثل الملا عمر والبغدادي وخليفة بوكو حرام وأمير المؤمنين في المغرب وملك السعودية وأردوجان السلاجقة وكلهم يدعي وصلا ليلى وليلى لا تقر لهم بهذا ولا بذاك!!.

كل هؤلاء الشراذم يستند لذات (الفقه المخترم) بالخاء الذي افتراه القوم على الله وعلى رسول الله والذي يقول بخليفة واحد مفروض بالسيف (وإذا بويع لخليفتين فاقتلوا الثاني)، إلا أنهم لا يتمكنون من هذا لأنهم كلهم على بيعتهم للشيطان الأمريكي الأكبر الذي يتلاعب بهم ويمسك سوطه ليضرب هذا ويؤدب ذاك ويسوقهم لقتل الشيعة، ولا يمنع هذا من قيامهم بقضم رؤوس بعض وقضم أذرع الشيطان الأكبر في سيرك المسوخ الذي أقامه إبليس عدو الخلافة الإلهية الأول.

(وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا *

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا)[1].

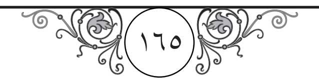
في البدء عندما خلق الله الخلق وقال للشيء كن، فكان، اقتضت إرادته أن يكون للخلق خليفة واحد، اختاره سبحانه واصطفاه على العالمين، خليفة يعقبه خليفة آخر من نفس الوعاء الذي اصطفى منه آدم أبو البشر وأبو الأنبياء، لكن البشر غيروا وبدلوا بوسوسة من الشيطان الرجيم، فتنازعوا وتفرقوا فيما بينهم وساروا على نفس السبل التي اختطها لهم إبليس (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)، فكان الصراع الدموي وكان الفساد وسفك الدماء وهو ما كان عصيا على ملائكة الله المجبولين على الطاعة وعمل الخير أن يدركوا حكمته منذ اللحظة الأولى.

الإيمان بالخالق عز وجل لا يتحقق إلا بإفراده وتوحيده بصفات الكمال وتنزيهه عن المثيل والشبيه، ولا يكفي أن يزعم المرء إيمانه بأن للكون خالقا مبدئا معيدا دون معرفة الله (فاعلم أنه لا إله إلا الله)، كما أن الإيمان بمطلق النبوة لا ينفع صاحبه شيئا ما لم يقر بنبوة محمد صلى الله عليه وآله ولذا كانت بوابة الدخول للإسلام هي الإقرار بالشهادتين (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

الأمر ذاته ينطبق على قضية خلافة الله في أرضه ولا يغني المقر بالاستخلاف مجرد الإقرار بالمبدأ بينما هو يتمرد على خليفة الله في أرضه ووصيه على عباده.

---

(١) النساء ١١٩-١٢٠.



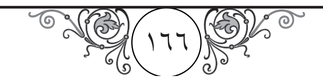


الأمر الإلهي بالسجود لآدم يعني الإقرار المادي وليس مجرد إقرار معنوي ذهني بمبدأ الاستخلاف كما يزعم المتشدقون بالحديث عن دور الإنسان عموم الإنسان سواء من كان من أهل الجنة أو من أهل النار في خلافة الله في أرضه، وقصارى ما يمكن لهؤلاء إثباته هو الركن المادي لعمارة الأرض وهي مهمة يتشارك فيها المؤمن والكافر، لكنهما لا يستويان.

لو كان المقصود بالاستخلاف عمارة الأرض كما يزعم المتفيهقون لكان أحق الناس بخلافة الله في أرضه هم الأوروبيون والأمريكان الذين هجروا تعاليم الأديان السماوية ولن نتحدث هنا عن إباحة الخمر والزنا فيكفي ما فعلته وتفعله أمريكا وأوروبا من استعباد للبشر وما مارسته من إبادة جماعية لشعوب بأسرها.

سيرد البعض على كلامنا بأن المسلمين ارتكبوا أفعالا مشابهة لتلك التي يفعلها جبابرة العصر وهذا الرد تأكيد على ما نعتقده من أن قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) لا يقصد به عموم المسلمين ومن باب أولى لا يقصد به المستكبرين المهيمنين على العالم الآن رغم انجازاتهم العلمية الجبارة التي غيرت وجه الحياة الإنسانية وجعلت ما كان مستحيلا قبل بضعة عقود سهل يسير.

الخليفة المنصوب من الله تبارك وتعالى هو شخص أو فئة بعينها وهو ليس استخلافا لعموم الإنسانية، إلا إذا نهجت البشرية ذات النهج الذي رسمه الله تبارك وتعالى لخليفته في الأرض فصاروا بذلك جزءا أساسيا مكملا للاستخلاف الإلهي وقادته المعينين من الله تبارك وتعالى.



الخليفة المنصوب من الله عز وجل هو نبي أو وصي نبي وليس بالضرورة أن يكون حاكما زمانيا لأن إقامة الحكومة العادلة ثمرة من ثمار الاستخلاف الإلهي وليست المظهر الأوحد لخلافة الله في الأرض.

يقول العلامة الطبطبائي في تفسير الميزان:

الخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلا بكون الخليفة حاكيا للمستخلف في جميع شيئونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلت عظمته، والخليفة الأرضي بما هو كذلك لا يليق بالاستخلاف ولا يحكي بوجوده المشوب بكل نقص وشين الوجود الإلهي المقدس المنزه عن جميع النقائص وكل الأعدام، فأين التراب ورب الأرباب، وهذا الكلام من الملائكة في مقام تعرف ما جهلوه واستيضاح ما أشكل عليهم من أمر هذا الخليفة، وليس من قبيل الاعتراض أوالخصومة في شيء، والدليل على ذلك قولهم فيما حكاه الله تعالى عنهم: إنك أنت العليم الحكيم.

وقوله تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم، مشعر بأن هذه الأسماء موجودات أحياء عقلاء، محجوبين تحت حجاب الغيب وأن العلم بأسمائهم كان غير العلم الذي عندنا بأسماء الأشياء، وإلا كانت الملائكة بإنباء آدم إياهم بها عالمين وصائرين مثل آدم مساوين معه، ولم يكن في ذلك إكرام لآدم ولا كرامة حيث علمه الله سبحانه أسماء ولم يعلمهم، و

لو علمهم إياها كانوا مثل آدم أو أشرف منه، ولم يكن في ذلك ما يقنعهم أو يبطل حجتهم، وأي حجة تتم في أن يعلم الله تعالى رجلا علم اللغة ثم يباهي به و يتم الحجة على ملائكة مكرمين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون بأن هذا خليفتي وقابل لكرامتي دونكم؟.

فقد ظهر مما سبق أن العلم بأسماء هؤلاء المسميات لا يكون إلا بالكشف عن حقائقهم وأعيان وجوداتهم، وليس مجرد المفهوم اللغوي فهؤلاء المسميات حقائق خارجية معلومة، ووجودات عينية وهي مع ذلك مستورة تحت ستر غيب السماوات والأرض.

الذين عرضهم الله تعالى على الملائكة موجودات عالية محفوظة عند الله تعالى، محجوبة بحجب الغيب، أنزل الله سبحانه كل اسم في العالم بخيرها وبركتها واشتق كل ما في السماوات والأرض من نورها وبهائها، وهم على كثرتهم وتعددهم لا يتعددون تعدد الأفراد، ولا يتفاوتون تفاوت الأشخاص، بل يتفاوتون في المراتب والدرجات. انتهى النقل.

الواضح أن العلامة الطبطبائي على جلالة قدره وعظيم علمه حاول أن يتجنب قدر المستطاع تسمية الأشياء بأسمائها.

يدور جوهر الحديث منذ البدء حول قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) ثم (اعتراض الملائكة) وجوابه سبحانه عليهم (إني أعلم ما لا تعلمون) وقهره لهم بالحجة البالغة التي توجب الإقرار والتسليم على كل من كان له قلب سليم بحقيقة هؤلاء الخلفاء الذين عرضت

أسماؤهم على الملائكة فأقروا بالعجز عن معرفتهم معرفة كاملة بأسمائهم وحقائقهم، وإلا لو كان الاختبار قاصرا على معرفة الأسماء والأشكال، كما قال العلامة الطبطائي لما كان اختبارا.

الزعم بأن الأسماء المذكورة في الآيات هي اسماء الأشياء لا يتوافق مع السياق اللغوي الذي يتحدث عن كائنات عاقلة لا عن أشياء أو جمادات (عرضهم على الملائكة، أنبئوني بأسماء هؤلاء) ولأن سياق الكلام يتحدث عن الخليفة والخلافة (إني جاعل في الأرض خليفة)، يصبح منطقيا أن نستنتج أن الأسماء التي سئل الملائكة عنها هي أسماء هؤلاء الخلفاء والأئمة وأن المعرفة التي افتقدها الملائكة هي المعرفة الكاملة بالخلفاء الأئمة وأن كفر لإبليس وتمرده على طاعة الله عز وجل كانت رفضا للخضوع للأئمة خلفاء الله في أرضه وعرفائه على عباده.

الملائكة تلك المخلوقات التي جبلت على طاعة الله وعبادته، ما إن عرفت حتى أسلمت لله واعترفت بقدر خلفاء الله فيخلقه واستجابت للأمر الإلهي بالسجود لآدم وخلفائه بينما تمرد إبليس عليه لعنة الله حسدا لتلك النعمة والميزة التي أسبغها الله تبارك وتعالى على خلفائه صفوة الإنسانية وخيرتها وقادتها الذين اختارهم رب العزة لخلافتهالأن (قيام شيء مقام آخر لا يتم إلا بكون الخليفة حاكيا للمستخلف في جميع شيئونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف، والله سبحانه في وجوده مسمى بالأسماء الحسنى متصف بالصفات العليا، من أوصاف الجمال والجلال، منزه في نفسه عن النقص ومقدس في فعله عن الشر والفساد جلت

عظمته) كما يوضح العلامة الطبطبائي.

الوجه الآخر (لاعتراض) الملائكة على قوله تعالى (إني جاعل في الأرض خليفة) هو الوهم الذي اعتراهم بعمومية الاستخلاف وأن كل من يوجد على وجه الأرض يمكن أن ينطبق عليه هذا الجعل فيصبح خليفة فيأتي الرد الإلهي بكشفه سبحانه لهم عن كنزه المخبوء (إني أعلم ما لا تعلمون) قبل أن يكلف آدم عليه السلام بأول مهمة من مهام الاستخلاف وهي بيان حقيقة هؤلاء الخلفاء فكان أن عرض (سبحانه) صورتهم على الملائكة بعد أن أعلم آدم أباهم بأسمائهم وحقيقتهم (وعلم آدم الأسماء كلها) فوقف الملائكة حائرين (أنبئوني بأسماء هؤلاء الخلفاء) فأقروا بنقص علمهم ومعارفهم، وكان أن فوض الله الإخبار لآدم ع (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم.... فلما أنبأهم قال....).

يمكن للقارئ أن يستكشف ما ورد في شبكة المعلومات الدولية حول الاستخلاف ليرى أن من يسمون أنفسهم بالإسلاميين يتعاطون مع العلم الإلهي كأطفال المدارس الذين اكتشفوا جزءا صغيرا من الحقيقة وهم يصرون على الثرثرة حول العلم والمعرفة والعقل، وكلها حقائق كان إبليس يعرفها ويدركها أكثر من إدراكهم لها، إلا أنه أصر على الجحود والتمرد لأنه رأى أنه خير من آدم ومن خلفاء الله في أرضه وعرفائه على عباده وهم على إثره سائرون وعلى دربه ماضون.

هذا هو الاستخلاف الذي أراده الله تبارك وتعالى فكان أن تغير مسار الكون منذ هذه اللحظة حيث انقسم الكون إلى فريقين متواجهين: فريق

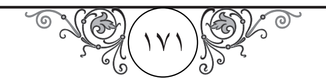
يذعـن ويقـر بأمـر الله تبـارك وتعـالى سـيرا وراء خليفـة الله في أرضـه نبيـا كان أم وصيـا وفريـق يسـير خلـف الشـيطان الرجيـم ويتبـع خطواتـه انطلاقـا مـن الخطـوة الأولى (ثُـمَّ قُلْنَـا لِلْمَلَائِكَـةِ اسْـجُدُوا لِآَدَمَ فَسَـجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُـنْ مِـنَ السَّـاجِدِينَ * قَـالَ مَـا مَنَعَـكَ أَلَّا تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُـكَ قَـالَ أَنَـا خَـيْرٌ مِنْـهُ خَلَقْتَنِـي مِـنْ نَـارٍ وَخَلَقْتَـهُ مِـنْ طِـينٍ * قَـالَ فَاهْبِـطْ مِنْهَـا فَـمَا يَكُـونُ لَـكَ أَنْ تَتَكَـبَّرَ فِيهَـا فَاخْـرُجْ إِنَّـكَ مِـنَ الصَّـاغِرِيـنَ * قَـالَ أَنْظِـرْنِي إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ * قَـالَ إِنَّـكَ مِـنَ الْمُنْظَرِيـنَ* قَـالَ فَبِـمَا أَغْوَيْتَنِـي لَأَقْعُـدَنَّ لَهُـمْ صِرَاطَـكَ الْمُسْـتَقِيمَ * ثُـمَّ لَآَتِيَنَّهُـمْ مِـنْ بَـيْنِ أَيْدِيهِـمْ وَمِـنْ خَلْفِهِـمْ وَعَـنْ أَيْمَانِهِـمْ وَعَـنْ شَـمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِـدُ أَكْثَرَهُـمْ شَـاكِرِينَ * قَـالَ اخْـرُجْ مِنْهَـا مَذْءُومًـا مَدْحُـورًا لَمَـنْ تَبِعَـكَ مِنْهُـمْ لَأَمْـلَأَنَّ جَهَنَّـمَ مِنْكُـمْ أَجْمَعِـينَ)[1] .

السـجود لآدم عليـه السـلام ليـس بالقطـع سـجود عبـادة لغـير الله حيـث نـرى أن الوهابيـين الحمقـى يعتـبرون أن مجـرد التوسـل بنبـي مـن أنبيـاء الله أو بأحـد الأئمـة الأطهـار المعصومـين خلفـاء الله في أرضـه هـم شرك يخـرج مـن الملـة بـل نراهـم يتهكمـون عـلى مـن ينحنـي إجـلالا لأحـد العلـماء الربانيـين، بينـما نـرى في القـرآن الكريـم أن عبـاد الله الصالحـين يسـجدون تعظيـما لخلفـاء الله في أرضـه.

(إِذْ قَـالَ يُوسُـفُ لِأَبِيـهِ يَـا أَبَـتِ إِنِّي رَأَيْـتُ أَحَـدَ عَـشَرَ كَوْكَبًـا وَالشَّـمْسَ وَالْقَمَـرَ رَأَيْتُهُـمْ لِي سَـاجِدِينَ) يوسـف (٤).

(فَلَـمَّا دَخَلُـوا عَـلَى يُوسُـفَ آَوَى إِلَيْـهِ أَبَوَيْـهِ وَقَـالَ ادْخُلُـوا مِـصْرَ إِنْ شَـاءَ

(١) الأعراف ١١-١٨.





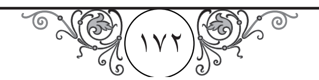
اللهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)[1].

يقول ابن منظور في لسان العرب: سَجَدَ يَسْجُدُ سجوداً وضع جبهته بالأَرض، وقوم سُجَّدٌ وسجود. وقوله عز وجل: وخروا له سجداً؛ هذا سجود إِعظام لا سجود عبادة لأَن بني يعقوب لم يكونوا يسجدون لغير الله عز وجل. قال الزجاج: إِنه كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت أَن يُسْجَد للمعظم، قال وقيل: خروا له سجداً أَي خروا لله سجداً؛ قال الأَزهري: هذا قول الحسن والأَشبه بظاهر الكتاب أَنهم سجدوا ليوسف، دل عليه رؤْياه الأُولى التي رآها حين قال: إِني رأَيت أَحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأَيتهم لي ساجدين؛ فظاهر التلاوة أَنهم سجدوا ليوسف تعظيماً له من غير أَن أَشركوا بالله شيئاً، وكأَنهم لم يكونوا نهوا عن السجود لغير الله عز وجل.

أما الراغب الأصفهاني فيقول: السجود أصله: التطامن (التطامن: الانحناء) والتذلل، وجعل ذلك عبارة عن التذلل لله وعبادته، وهو عام في الإنسان، والحيوانات، والجمادات، وذلك ضربان: سجود باختيار، وليس ذلك إلا للإنسان، وبه يستحق الثواب، نحو قوله: -فاسجدوا لله واعبدوا- [النجم/ ٦٢]، أي: تذللوا له، وسجود تسخير، وهو للإنسان،

---

(١) يوسف ٩٩-١٠٠



والحيوانـات، والنبـات، وعـلى ذلـك قولـه: -ولله يسـجد مـن في السـموات والأرض طوعـا وكرهـا وظلالهـم بالغـدو والآصـال- [الرعـد/ ١٥]، وقولـه: -يتفيـأ ظلالـه عـن اليمـين والشـمائل سـجدا لله- [النحـل/ ٤٨]، فهـذا سـجود تسـخير، وهـو الدلالـة الصامتـة الناطقـة المنبهـة عـلى كونهـا مخلوقـة، وأنهـا خلـق فاعـل حكيـم، وقولـه: -ولله يسـجد مـا في السـموات ومـا في الأرض مـن دابـة والملائكـة وهـم لا يسـتكبرون- [النحـل/ ٤٩]، ينطـوي عـلى النوعين مـن السـجود، التسـخير والاختيـار، وقولـه: -والنجـم والشـجر يسـجدان- [الرحمـن/ ٦]، فذلـك عـلى سـبيل التسـخير.

وهنا بيت القصيد.

فسـجود الملائكـة لآدم هـو سـجود تسـخير وليـس سـجود عبـادة بـكل تأكيـد، وكـذا كان سـجود آل يعقـوب ليوسـف عليـه السـلام سـجود إقـرار وإذعـان لنبـي ارتقـى في الرتبـة والمنزلـة عـلى أشـقائه بـل وعـلى أبويـه فصـار إمامـا وخليفـة لله في أرضـه.

في اعتقادنـا أن الخلافـة المذكـورة في القـرآن هـي الإمامـة وهـو معنـى قولـه تعـالى (أَمَّـنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِـفُ السُّـوءَ وَيَجْعَلُكُـمْ خُلَفَـاءَ الْأَرْضِ أَإِلَـهٌ مَـعَ اللَّهِ قَلِيـلًا مَـا تَذَكَّـرُونَ) النمـل ٦٢.

وكـما يقـول القمـي في تفسـيره فيـما رواه عـن أبي عبـد الله ع: نزلـت في القائـم مـن آل محمـد عليهـم السـلام، هـو والله المضطـر إذا صـلى في المقـام ركعتـين ودعـا الله فأجابـه ويكشـف السـوء ويجعلـه خليفـة في الارض وهـذا ممـا ذكرنـا



ان تأويلـه بعـد تنزيلـه.

الدليـل عندنـا أن الخلافـة هـي الإمامـة هـو تلـك الآيـة الكريمـة التـي تتحـدث عـن لحظـة ظهـور القائـم مـن آل محمـد صـلى الله عليـه وآلـه والنائـج المترتبـة عليهـا عندمـا يتحقـق وعـد الله ليصبـح أئمـة أهـل البيـت هـم قـادة الأرض وسـادة هـذه الدنيـا.

يوم الغدير في الأرض امتداد ليوم الاستخلاف في السماء

لا تقـوم الحجـة عـلى العبـاد إلا بالبيـان الواضـح الصريـح لا بالتوريـة ولا بالتلميـح.

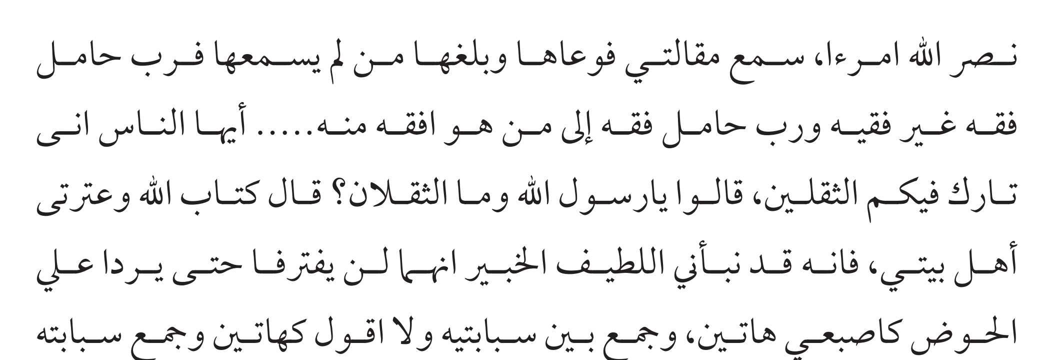
أن ينكـر فريـق مـن المنتسـبين للإسـلام الوصيـة الإلهيـة النبويـة الواضحـة وضـوح الشـمس باسـتخلاف الإمـام عـلي بـن أبي طالـب رغـم النـص عليهـا في كتبهـم وهـي أيضـا متواتـرة في مرحلـة مـا قبـل تدويـن الكتـب فهـذا أمـر لا يخالـف الطبائـع البشريـة في اعوجاجهـا وانحرافهـا عـن الحـق وتلمسـها المخـارج التـي تعـين عـلى التملـص مـن الالتـزام بالحـق (أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ) الطـور ٤٠، (وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ) الطـور ٤٤.

الذيـن تمـردوا وعصـوا أمـر رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه وهـو مـن عهـد الله تبـارك وتعـالى بتدبـير هـذه الأمـة وولايـة أمرهـا، باسـتخلاف عـلي بـن أبي طالـب وتنصيبـه وليـا لأمـر الأمـة يـوم الغديـر لا يختلـف شـأنهم عـن حـال إبليـس الـذي قـال أنـا خـير منـه وقـال خلقتنـي مـن نـار وخلقتـه مـن طـين.

لم تكن الوصية الإلهية باستخلاف علي بن أبي طالب ومن بعده أئمة الحق من آل محمد قاصرة على يوم الغدير فقد كانت الشغل الشاغل لرسول الله منذ بيعة الرضوان تحت الشجرة ثم في حجة الوداع التي اجتمع فيها أغلب المسلمين من كل حدب وصوب وليس من المدينة المنورة وحدها وما حولها.

في (منى) خطب رسول الله ص الناس فوعظ وذكر وقال ضمن ما قال: أيها الناس احفظوا قولي تنتفعوا به بعدي وافهموه تنعشوا ألا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيف على الدنيا، فان فعلتم ذلك ولتفعلن لتجدوني في كتيبة بين جبرئيل وميكائيل أضرب وجوهكم بالسيف، ثم التفت عن يمينه فسكت ساعة ثم قال إن شاءالله او علي بن ابى طالب، ثم قال ألا وإني قد تركت فيكم امرين ان اخذتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، ألا فمن اعتصم بهما فقد نجا ومن خالفهما فقد هلك، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم، قال اللهم اشهد، ثم قال ألا وانه سيرد علي الحوض منكم رجال فيدفعون عني فاقول رب أصحابي فيقول يامحمدإنهم أحدثوا بعدك وغيروا سنتك فأقول سحقا سحقا.

فلما كان آخر يوم من أيام التشريق انزل الله: إذا جاء نصر الله والفتح، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعيت إلى نفسي ثم نادى الصلاة جامعة في مسجد الخيف فاجتمع الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال



نصر الله امرءا، سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه إلى من هو افقه منه..... أيها الناس انى تارك فيكم الثقلين، قالوا يارسول الله وما الثقلان؟ قال كتاب الله وعترتى أهل بيتي، فانه قد نبأني اللطيف الخبير انهما لن يفترفا حتى يردا علي الحوض كاصبعي هاتين، وجمع بين سبابتيه ولا اقول كهاتين وجمع سبابته والوسطى، فتفضل هذه على هذه.

فاجتمع قوم من أصحابه وقالوا يريد محمد أن يجعل الإمامة في أهل بيته فخرج أربعة عشر نفر منهم إلى مكه ودخلوا الكعبة فتعاهدوا وتعاقدوا وكتبوا فيما بينهم كتابا ان مات محمد او قتل أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيته ابدا فانزل الله على نبيه في ذلك « أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ * أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ».

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة يريد المدينة حتى نزل منزلا يقال له غدير خم، وقد علّم الناس مناسكهم وأوعز إليهم وصيته إذ نزلت عليه الآية «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ».

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله فقال بعد ان حمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس هل تعلمون من وليكم؟ فقالوا نعم الله ورسوله، ثم قال ألستم تعلمون اني أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا بلى، قال اللهم اشهد فاعاد ذلك عليهم ثلاثا كل ذلك يقول مثل قوله الأول ويقول الناس

كذلك ويقول اللهم اشهد، ثم أخذ بيد أمير المؤمنين عليه السلام فرفعها حتى بدا للناس بياض ابطيهما ثم قال «ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله واحب من احبه ثم رفع رأسه إلى السماء فقال اللهم اشهد عليهم وانا من الشاهدين».

فاستفهمه عمر فقال يارسول الله هذا من الله ومن رسوله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله نعم من الله ورسوله انه أمير المؤمنين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين.

فقال اصحابه الذين ارتدوا بعده قد قال محمد في مسجد الخيف ما قال وقال ههنا ما قال وان رجع إلى المدينة يأخذنا بالبيعة له فاجتمعوا أربعة عشر نفرا وتآمروا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وقعدوا في العقبة، بين الجحفة والابواء، فقعد سبعة عن يمين العقبة وسبعة عن يسارها لينفروا ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله فلما جن الليل تقدم رسول الله صلى الله عليه وآله في تلك الليلة العسكر فاقبل ينعس على ناقته، فلما دنا من العقبة ناداه جبرئيل يا محمد ان فلانا وفلانا قد قعدوا لك، فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال من هذا خلفي فقال حذيفة اليماني انا يارسول الله حذيفة بن اليمان، قال سمعت ما سمعت قال بلى قال فاكتم، ثم دنا رسول الله صلى الله عليه وآله منهم فناداهم باسمائهم، فلما سمعوا نداء رسول الله صلى الله عليه وآله فروا ودخلوا في غمار الناس وقد كانوا عقلوا رواحلهم فتركوها ولحق الناس برسول

الله صلى الله عليه وآله وطلبوهم وانتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رواحلهم فعرفهم، فلما نزل قال ما بال اقوام تحالفوا في الكعبة ان مات محمد او قتل ألا يردوا هذا الأمر في أهل بيته ابدا، فجاؤا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فحلفوا انهم لم يقولوا من ذلك شيئا ولم يريدوه ولم يكتموا شيئا من رسول الله صلى الله عليه وآله، فانزل الله « يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا» أن لا يردوا هذا الأمر في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله « وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا» من قتل رسول الله صلى الله عليه وآله»وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ» التوبة ٧٤.

ومثلما سأل إبليس قائد التمرد على الاستخلاف الإلهي النظرة إلى وقت معلوم فقد أمهل الله عز وجل هؤلاء الجاحدين العصاة لأجل معلوم (فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ) الزخرف. (٨٣)

(وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) الأنبياء ١١١-١١٢.

الغدير في فكر السيدة الزهراء عليها السلام

م. م. انتظار دمان ساهي السلطاني

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

اما بعد

السيدة الزهراء - عليها السلام شخصية عظيمة قدوة واسوة للمرأة المسلمة ترعرعت في بيت رفيع مليء بذكر الله غرس فيها طاعة الله سبحانه وتعالى والعمل على نشر الرسالة الإسلامية ولدت -ع- بعد المبعث بخمس سنوات (١) تزوجها الإمام علي عليه السلام بعد الهجرة النبوية بسنة واحدة وكان عمرها تسع سنوات (٢) عاشت في كنف ورعاية والدها رسول الله صلى الله عليه وآله

اما حياتها مع زوجها فكانت مليئة بالإيمان والطاعة فقال عنها الإمام الصادق عليه السلام كان علي اشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله - صلى الله عليه وآله - وكان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم وكان يستسقي ويحتطب وكانت فاطمة - عليها السلام- تطحن وتعجن وترقع (٣) رزقها الله من الذرية سيدا شباب أهل الجنة الامامين الحسن

والحسين- عليه السلام - (٤) تنبأت - عليها السلام بمصير هذه الأمة بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله- (٥) فبدأت مشروعها الأصلاحي من المطالبة بحقها بفدك (٦)حقها في الارث وجعلت منها دعوة الى الالتزام بالحقوق ولم يقتصر دورها على حق الافراد بل خرجت لتوعية الجماهير عندما لاحظت ان الانحراف قد ساد في المجتمع وايدت خطبتها بآيات من القران الكريم وادلة وبراهين كشفت اخطاء القوم وعيوبهم لما لها من الاثر في نفوس المسلمين بطريقة تتناسب مع مضمون خطبتها والتي عدت من المحاضرات الثقافية والعلمية والاجتماعية فجاءت شاملة لكل جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والعقائدية مؤكدة على حقوق الفرد وصلاح المجتمع من خلال تأكيدها على احقيتها في ارض فدك.

ففي رواية سندها ابي سعيد الخدري انه قال لما نزلت (وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ) (٧) قال رسول الله - صلى الله عليه وآلها فاطمة لك فدك. (٨) دافعت عن ولاية أمير المؤمنين - عليه السلام باعتبارها مكملة للدين اذا دعت الى مقاومة الظلم الاستبداد والتمسك بتعاليم الله عز وجل.

ومن المصادر المهمة في هذه الدراسة كتاب بحار الأنوار للمجلسي (ت ١١١١ه (وكتاب الكافي للكلينيت٣٢٩ه) أما عن مصادر الخطبة الفدكية للسيدة فاطمة الزهراء - ع- كتاب بلاغات النساءلابن طيفور (ت ٢٨٠ ه) وكتابالاحتجاج للطبرسي) من اعلام القرن السادس الهجري) وكتاب الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس(ت ٦٦٤ه(كما اقتضت طبيعة الموضوع تقسيمه على مبحثين فجاء المبحث الأول الأثر الفكري /

لتوضيح دور الإمامة وأهل البيت -ع- بالخطبة الفدكية للزهراء -ع- بحسب ما جاء في القران الكريم أما المبحث الثاني فجاء: الولاية في أقوال الزهراء -ع- شملت أقوال أخرى للزهراء - عليها السلام- غير الخطبة الفدكية ثم الخاتمة متضمنة أهم الاستنتاجات وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الخطبة - الزهراء- الإمامة - النبي - فدك

المبحث الأول: الاثر الفكري

تعد الخطبة الفدكية للسيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام- من الوثائق السياسية المهمة فهي منهج اسلامي شامل جمعت بها حقها في فدك مع مسالة الإمامة والخلافة والتي شغلت أحاديث المفسرون والمحدثين اذ عدت من اهم قضايا الأمة الإسلامية فقد ترتب عليها مستقبلها اذ اراد منها الرسول محمد - ص- ان يكون الخليفة من بعده شخصية ترعرعت في كنفه- صلى الله عليه وآله- وعنايته عمل - صلى الله عليه وآله- على هذا الأمر وتهيئته فجاء يوم دعي فيه اقربائه وعشيرته فنزل قوله تعالى) وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ (٩)(وفيها شخص الرسول - صلى الله عليه وآله- ولاة الأمر الى الإمام علي - عليه السلام اذ قال له- صلى الله عليه وآله-: انت وصيي وخليفتي من بعدي (١٠) ومن هذا الحديث عدت الإمامة جزء من التبليغ الرسالي كما اشار النبي صلى الله عليه وآله الى ذلك في حديث الثقلين (الا واني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا (١١) (فهنا دلالة تامة على تصريح النبي -

صلى الله عليه وآله- بالإمامة للأمام علي عليه السلام فقال): من كنت مولاه فعلي مولاة (١٢)(اشارت الى قوله تعالى) أَليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ألإِسلَٰمَ دِينا) (١٣).

فقد جاءت الخطبة الفدكية شاملة لكل ابعاد الحكم الإسلامي فقد عرف عنها – عليها السلام- زهدها عن الدنيا وملذاتها فقد اعتزلت عن مغريات الحياة الا ان مطالبتها بفدك كان من وراءه عدة امور منها ان السلطة الجائرة ارادت اضعاف هيبة الإمام علي – عليه السلام – وان لا يكون له شأن فجاءت المطالبة بفدك هي المطالبة بالخلافة والسلطة للأمام علي – عليه السلام – فكانت الخطبة من الوسائل الصحيحة في استمالة القلوب اليهم عند ذهابها الى مسجد رسول الله – صلى الله عليه وآله- وكان مكتظا بالناس من المهاجرين والانصار.

فكانت خطبتها – عليها السلام واضحة بعيدة عن التعقيد والمبالغة فصيحة قوية الحجة والدليل فلم تكتف –ع –بذكر حقها بل جعلت من ذلك فرصة لتذكير الناس بالدين الإسلامي وبطاعة الله تعالى والالتزام بتعاليم القران والتمسك بالصلاح والامر بالمعروف اذ اكدت على بناء الفرد الذي من خلاله يبدا اصلاح المجتمع.

فبدأت السيدة الزهراء – عليها السلام- بحمد الله تعالى وشكر نعمته والثناء عليه فقالت):الحمد لله على ما انعم وله الشكر على ما اطعم والثناء (١٤) (اذ نرى انها اخذت دلالات هذا القول من قوله تعالى: (لَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم) (١٥)اذ استشهدت – عليها السلام- بآيات

القران الكريم او بالدلالة عليها فقد جاءت أهمية ومكانه القرآن الكريم من قوله تعالى: (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) (١٦) وقوله تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١٧)(فالقران كلام الله المنزل على نبيه - صلى الله عليه وآله-

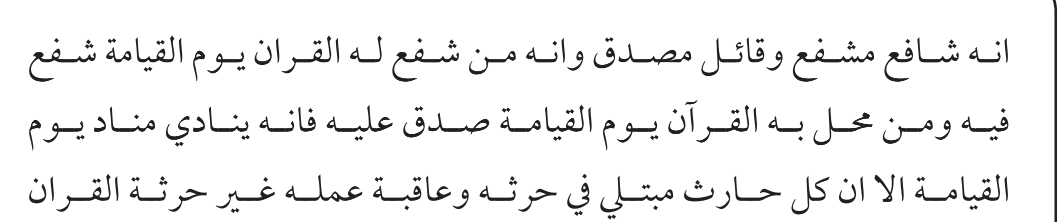
فجاء استشهاد الزهراء - عليها السلام- بالقران تماشيا مع قول الإمام عليه السلام: نزل القران اربعه ارباع ربع فينا أهل البيت وربع في عدونا سنن وامثال وربع فرائض وربع أحكام والله انزل علي كرائم القران (١٨).

وكان للسيدة فاطمة الزهراء - عليها السلام- اهتمام كبير بالقرآن فهي القائلة: حبب الي من دنياكم ثلاث: تلاوة كتاب الله والنظر الى وجه رسول الله والانفاق في سبيل الله (١٩) فقد ارتبطت هذه الشخصية العظيمة بالقرآن الكريم فهو اول ما اميل إليه قلب الزهراء - عليها السلام ففي وصفها للقرآن ارادت بيان الرابطة بين أهل البيت - عليهم السلام والقرآن الكريم ويؤكد ذلك ما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام - - (كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وفصل ما بينكم ونحن نعلمه) (٢٠) فهو نور يشع في القلوب فأرادت عليها السلام ان توحي بالحاجة الى القرآن الكريم في كل فصل من مفاصل الحياة ولم تطلب تلاوته بل الاكثار من تلاوته والاستماع الى تلك التلاوة.

وفي فضل القرآن قد اكد أمير المؤمنين - عليه السلام - ذلك (واعلموا







انه شافع مشفع وقائل مصدق وانه من شفع له القران يوم القيامة شفع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادي مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلي في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القران فكونوا من حرثته واتباعه) ((٢١.

فهنا توضحت منزلة الزهراء-عليها السلام- التي قال فيها النبي -صلى الله عليه وآله- (اذ كان يوم القيامة ناد مناد غضوا ابصاركم فهذه فاطمة بنت محمد رسول الله فتمر فاطمة عليها السلام وشيعتها على الصراط كالبرق الخاطف) (٢٢).

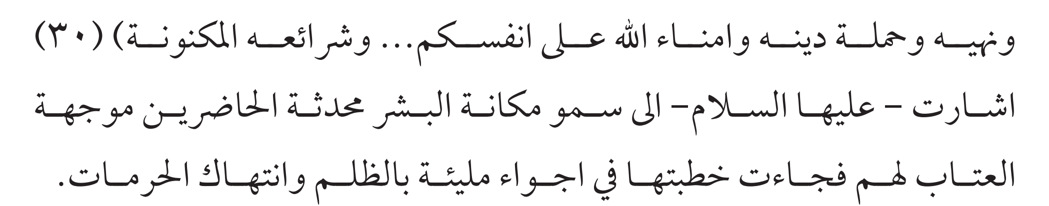
ومن هنا جاء ادخال الزهراء - عليها السلام- لآيات القرآن في خطبتها لبيان التعدي عليه في تفسيره فالقران هو دستور المسلمين فهو محفوظ في قوله تعالى: (إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ) (٢٣)ثم اشارت - عليها السلام- الى صفات الله تعالى (الممتع من الابصار رؤيته (٢٤) فجاءت توضيحا لقوله تعالى: (لَّا تُدرِكُهُ ٱلأَبصَٰرُ وَهُوَ يُدرِكُ ٱلأَبصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلخَبِيرُ) (٢٥)ثم اكملت خطبتها بقولها: (واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له كلمة جعل الإخلاص تأويلها وحن القلوب موصولها وأنار في التفكير معقولها الممتنع كان قبلها وانشاءها بلا افتداء امثلة أمتثلها ... ثم جعل الثواب في طاعته ووضع العقاب على معصيته زيادة لعباده عن نعمته (٢٦) (اذ اشارت - عليها السلام- الى الشهادة والتوحيد لله تعلى اشارة الى خلقه الكون فهو المبدع المصور القادر على كل شيء ففي طاعته ثواب في الدنيا وفوز في الاخر ونعيم الجنة فجاء

قوله تعالى): ﴿ٱلَّذِينَ يَذكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰما وَقُعُودا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِم وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضِ رَبَّنَا مَا خَلَقتَ هَٰذَا بَٰطِلا سُبحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدخِلِ ٱلنَّارَ فَقَد أَخزَيتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن أَنصَار﴾ (٢٧).

ولم تخلوا خطبتها من ذكر والدها - صلى الله عليه وآلهوانتخابه من قبل الله عز وجل فقالت - عليها السلام)-: -واشهد ا ن ابي محمدا عبده ورسوله واختاره وانتجبه قبل ان ارسله وسماه قبل ان اجتباه واصطفاه قبل ان إبتعثه اذا الخلائق بالغيب مكنونة وبيسير الأهاويل مصونه وبنهاية العدم مقرونه علما من الله تعالى بها بل الامور واحاطه بحوادث الدهور ومعرفة بمواقع... وصفيته وخيرته من الخلق والسلام عليه ورحمة الله وبركاته) (٢٨)اذ اقرت بنبوة النبي - صلى الله عليه وآلهمتدرجة بذكر صفاته وفضله على الناس اجمعين معلنه عن جهاده وحرصه على انقاذ الناس من الضلالة الى الهدى فأنار الرسول صلى الله عليه وآله- قلوبهم وعقولهم ودعوتهم الى طريق الهدى وجاء هذا النص واضحا في قوله تعالى): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحا وَءَالَ إِبرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمرَٰنَ عَلَى ٱلعَٰلَمِينَ﴾ (٢٩).

اذ بدأت خطبتها بالإشارة الى عوام الناس مرة ومرة اخرى الى الخواص من اهلها اذ اكتسب القرآن الكريم اثرا عميقا في ارفاد الخطبة الشريفة فاعتمدت على النصوص القرآنية بجعل القرآن مرجعا فكريا مهما تداخل مع خطبتها ففي قولها - عليها السلام-: -ا(نتم عبادة الله نصب امره





ونهيه وحملة دينه وامناء الله على انفسكم... وشرائعه المكنونة) (٣٠) اشارت - عليها السلام- الى سمو مكانة البشر محدثة الحاضرين موجهة العتاب لهم فجاءت خطبتها في اجواء مليئة بالظلم وانتهاك الحرمات.

فقد ارادت من هذه الخطبة العودة الى ما خصه القرآن الكريم على لسان نبيه صلى الله عليه وآله بحقهم فقد وصفت السيدة الزهراء - عليها السلام- القرآن العجيب فهو كتاب الله النور الواضح بقولها - عليها السلام-: - (كتاب الله الناطق والقران الصادق) (٣١) اذ تحدثت عنه واصفه اياه وصفا شاملا داعية الى سماعه من قوله تعالى: (هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدى وَرَحۡمَة لِّقَوۡم يُوقِنُونَ) (٣٢) وكذلك قوله تعالى): وَلَدَيۡنَا كِتَٰب يَنطِقُ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ (٣٣) (وقوله): وَهَٰذَا كِتَٰب مُّصَدِّق لِّسَانًا عَرَبِيّا) (٣٤).

وقولها - عليها السلام)-والنور الساطع (٣٥) (اشارة الى قوله تعالى (فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ) (٣٦) وقولها - عليها السلام- (والضياء اللامع (٣٧) (لذكر قوله تعالى): وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآء وَذِكۡرا لِّلۡمُتَّقِينَ) (٣٨). مستدله من ان القرآن الكريم هو من وضح الشرائع وجاء تفسيرها وتوضيحها من قبل النبي - صلى الله عليه وآله- مشيرة الى عدم تركه فقد جاء في حديث الثقلين)اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي (٣٩) (فملازمة القرآن الكريم جاءت موازية لملازمة وطاعة واتباع أهل البيت - عليهم السلام- متبعة خطبتها قائلة):



والصبر معونة على استحباب الاجر والامر بالمعروف مصلحه للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط وصلة الارحام منساة في العمر وممحاة للعدد والقصاص حقنا للدماء (٤٠) (اذا جاء هذا النص وفقا لقوله تعالى): وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)(٤١).

وجاء تداخل القرآن الكريم مع خطبة الزهراء - عليها السلام- واضحا فهو سمة واضحة في خطب أهل البيت - عليهم السلام- فقد دعت الى التقوى والالتزام بتعاليم الدين الإسلامي وعدم الانجرار وراء انحراف السلطة فجاء قولها-عليها السلام)-: فاتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واطيعوا الله فيما امركم به) (٤٢) مستوحى من قوله تعالى): ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ (٤٣) (.

ذاكرة قوله تعالى: (يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ (٤٤) (فقد دخلت السيدة الزهراء - عليها السلام- في صلب الموضوع مبينة انقلاب الحكم ضد أهل البيت - عليهم السلام- وتخاذل المسلمون اتجاههم موجهة خطابها حول الارث فهي التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله:(فاطمة بضعة مني فمن اغضبها فقد اغضبني (٤٥) (وقوله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة ان الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك (٤٦) (فهي سيدة نساء العالمين وجاء قوله تعالى) وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ (٤٧) (فإغضابها وايذاءها اغضاب وايذاء لله عز وجل ولرسوله الكريم - صلى

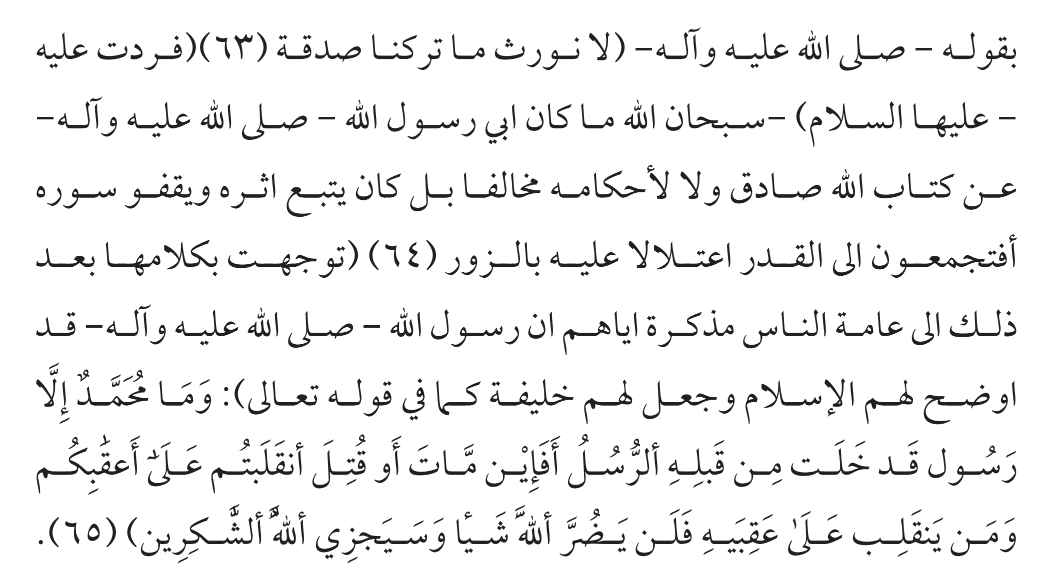
الله عليـه وآلـه-

وتعـد لإمامـة امـان للنـاس مـن الضعـف فقـط طالبـت - عليهـا السـلام- بطاعـة أهـل بيـت النبـوة(٤٨) ثـم تحدثـت عـن نسبها فقالـت: (ايهـا النـاس اعلمـوا اني فاطمـة وابي محمـد - ص - اقـول عـودا- وبـدا- ولا اقـول غلطـا- ولا افعـل شـططا- لقـد جاءكـم رسـول مـن انفسـكم عزيـز علية مـا عنتـم حريـص عليكـم بالمؤمنـين رؤوف رحيـم (٤٩) (موضحـة فيـه صفـات ودور الرسـول - صـلى الله عليـه وآلـه- معتمـدة عـلى قولـه تعـالى) لَقَـد جَآءَكُـم رَسُـول مِّـن أَنفُسِـكُم عَزِيـزٌ عَلَيـهِ مَـا عَنِتُّـم حَرِيـصٌ عَلَيكُـم بِألمُؤمِنِيـنَ رَءُوف رَّحِيـم (٥٠) (ومـن هـذا النـص طالبـت الزهـراء - عليهـا السـلام- بحـق الإمـام بالخلافـة) فـأن تعرفـوه وتعرفـوه تجدوه اي دون نسـائكم واخـي ابـن عمـي دون رجالكـم ولنعـم المعـزي إليـه (٥١)(وقولهـا عليهـا السـلام: (فجعل الله الايـمان تطهـير لكـم مـن الـشرك(٥٢) (اشـارت الى مـا سـيلقاه المسـلمون في ذلـك العـصر فهـو تذكـير لهـم بمسـؤولياتهم والتـي يكـون اولهـا المحافظـة عـلى الديـن والقيـم والمثـل الإسـلامية.

فقـد قدمـت - عليهـا السـلام- حقائـق تتصـل بالنبـي - صـلى الله عليـه وآلـه- وعلاقتـه وجهـاده مـع المسـلمين وفضلـه عـلى الإسـلام فقالـت): فبلـغ الرسـالة صادعـا بالنـذارة مائـلا عـن مدرجـة المشركـين خارجـا ثبجهـم اخـذا بالحظامهـم داعيـا الى سـبيل ربـه بالحكمـة والموعظـة الحسـنه (٥٣) (مذكـرة القـوم بـدوره - صـلى الله عليـه وآلـه- بإنقـاذ المجتمـع مـن الظـلام الى النـور ومذكـرة اياهـم بمواقفـه الجهاديـة مـن اجـل الديـن الإسـلامي فقـد اشـارت

الى الرسالة المحمدية وجهاده ضد المشركين حتى بلغ رسالة ربه(٥٤) اشارة الى قوله تعالى): أدعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلحِكمَةِ وَٱلمَوعِظَةِ ٱلحَسَنَةِ (٥٥) (وكذلك قوله: (فَٱصدَع بِمَا تُؤمَرُ وَأَعرِض عَنِ ٱلمُشرِكِينَ (٥٦)(مشيرة الى التفرقة والظلالة وما الت إليه امور البلاد وانحرافهم قائلة): وكنتم على شفا حفرة من النار مذقة وتقتاتون القد اذلة خاسئين تخافون ان يتخطفكم الناس من حولكم فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (٥٧) (فجاء قوله تعالى): وَكُنتُم عَلَىٰ شَفَا حُفرَة مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنهَا) (٥٨) ثم اكملت خطبتها مشيرا الى المهاجرين والانصار مبينه احقية الإمام علي - عليه السلام بالإمامة.

فقد ارادت - عليها السلام-اظهار جميع جوانب الأحداث التاريخية فقالت - عليها السلام-: (افي كتاب الله ان ترث اباك ولا ارث ابي لقد جئت شيئا فريا أفعن عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم اذ يقول وورث سليمان داوود) (٥٩) فجاء قوله تعالى (وَوَرِثَ سُلَيمَٰنُ دَاوُدَ (٦٠) (دليل على حقها في ارثها الذي اقره القرآن الكريم فهي تخاطب من انكر عليها حقها فقالت: (وقال فيما اختص خير يحيى بن زكريا اذ يقول رب هب لي من لدنك وليا يرثني ٠٠٠وقال يوصيكم وقال ان ترك خير الوصية (٦١) (فالنص القرآني له وقع خاص في النفوس ويحرك قلوب وعواطف الناس فقد هزت هذه الخطبة وضع السلطة واستمالت قلوب الانصار الى الإمام علي عليه السلام فقد استشهدت - عليها السلام- بالقرآن الكريم ردا على ما رووه أن لا ارث لها (٦٢) مؤيدا كلامه



بقوله – صلى الله عليه وآله- (لا نورث ما تركنا صدقة (٦٣)(فردت عليه – عليها السلام) -سبحان الله ما كان ابي رسول الله – صلى الله عليه وآله- عن كتاب الله صادق ولا لأحكامه مخالفا بل كان يتبع اثره ويقفو سوره أفتجمعون الى القدر اعتلالا عليه بالزور (٦٤) (توجهت بكلامها بعد ذلك الى عامة الناس مذكرة اياهم ان رسول الله – صلى الله عليه وآله- قد اوضح لهم الإسلام وجعل لهم خليفة كما في قوله تعالى): وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ) (٦٥).

بعد ان استولت الحكومة على جميع حقوق ال البيت – عليهم السلام- فقد ارادت الزهراء – عليها السلام- ان تكشف الحقيقة امام الناس فهي فرصة للأدلاء بما آلت إليه الأمور بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وآله- مبينة احقية الإمام علي – عليه السلام – بالإمامة قائلة: (انتم اعلم بخصوص القران وعمومه من ابي وابن عمي) (٦٦) وقولها): ابعدتم من هو احق بالبسط والقبض (٦٧)(

اشارة منها – عليها السلام- الى المواقف البطولية لرسول الله – صلى الله عليه وآله- جاعلة من فدك عنوانا للخلافة اذ عدت الخطبة الفدكية من محاسن الخطب وبدائعها عليها مسحة من نور النبوة ومنها عقبة من ارج الرسالة (٦٨) وجاء قوله تعالى:) وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) (٦٩).

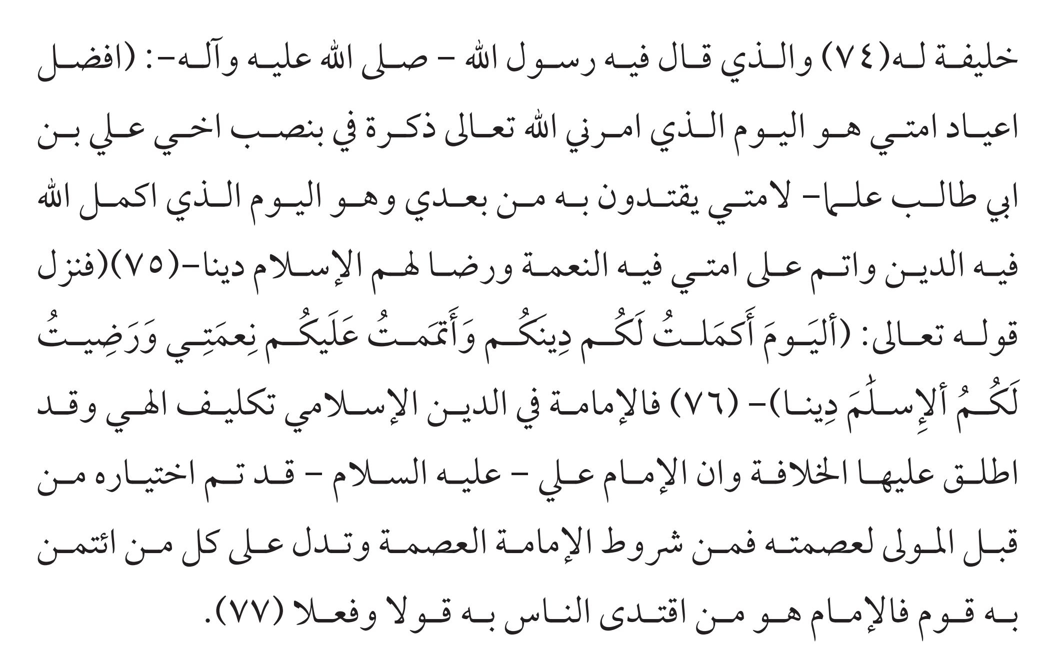
دلالةعلى قبح الفعل والقول الذي اتخذه القوم بعد وفاة النبي – صلى

الله عليه وآله- مذكرة اياهم بنكثهم البيعة للإمام علي - عليه السلام - واعراضهم عن بيعته فقالتعليها السلام (وشر ما منه اغتصبهم) (٧٠)مبدية تعجبا من خذلانهم لذو النسل المعروف والشخصية العريقة المجاهدة صاحبة التاريخ والمواقف بمن لا يقاس بهم شيء فقالت: (وعلى اية ذرية اقدموا واحتنكوا لبئس المولى ولبئس العشير وبئس للظالمين بدلا إستبدلو الله الذنابي بالقوادم والعجز بالكاهل (٧١) (وفي أخر خطبتها نباتهم بسوء العاقبة في الدنيا والاخرة.

المبحث الثاني / الولاية في اقوال الزهراء - عليها السلام-

للسيدة الزهراء - عليها السلام- مكانة عظيمة عند المسلمين لما لها من الشأن عند الله سبحانه وتعالى فهي ابنة خاتم انبياءه وسيدة نساء العالمين (٧٢) فهي مثال للمرأة المسلمة نشأت في بيت النبوة مهتمة بتعاليم الإسلام الصحيحة اذ حرص أهل البيت - عليهم السلام- على نقل هذا الاهتمام الى المسلمين وكان ذلك واضحا- في تعاليمهم وفي وصاياهم التي خصت لتربية الأمة على نبذ الظلم واقامة العدل والعمل به اذ اتخذت الزهراء عليها السلام - حادثة غدير خم طريق المعارضة بعد وفاة ابيها صلى الله عليه وآله- في مواجهة السلطة الحاكمة وجاءت مطالبتها صريحة بالعدل والأصلاح اذ عدت واقعة الغدير من اهم الوقائع التاريخية في حياة الأمة الإسلامية بعد قيام النبي - صلى الله عليه وآله- من خلالها عند عودته من حجة الوداع والتوقف في منطقة غدير خم (٧٣) بإعلان امر الهي وهو تنصيب الإمام علي عليه السلام والارشاد علية بأنه





خليفة له(٧٤) والذي قال فيه رسول الله - صلى الله عليه وآله-: (افضل اعياد امتي هو اليوم الذي امرني الله تعالى ذكرة في بنصب اخي علي بن ابي طالب علما- لامتي يقتدون به من بعدي وهو اليوم الذي اكمل الله فيه الدين واتم على امتي فيه النعمة ورضا لهم الإسلام دينا-(٧٥)(فنزل قوله تعالى: (أَليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ألإِسلَٰمَ دِينا)- (٧٦) فالإمامة في الدين الإسلامي تكليف الهي وقد اطلق عليها الخلافة وان الإمام علي - عليه السلام - قد تم اختياره من قبل المولى لعصمته فمن شروط الإمامة العصمة وتدل على كل من ائتمن به قوم فالإمام هو من اقتدى الناس به قولا وفعلا (٧٧).

فالإمامة رئاسة عامة في امور الدين والدنيا (٧٨) وقد اكد ذلك نبينا محمد ص بقوله: (ففي النبوة وفي علي الخلافة (٧٩) (ففي رواية سندها عن ابن عباس انه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول) من لقي الله تعالى وهو جاحد ولاية علي بن ابي طالب لقي الله وهو عليه غضبان ولا يقبل الله منه شيئا من اعماله) (٨٠).

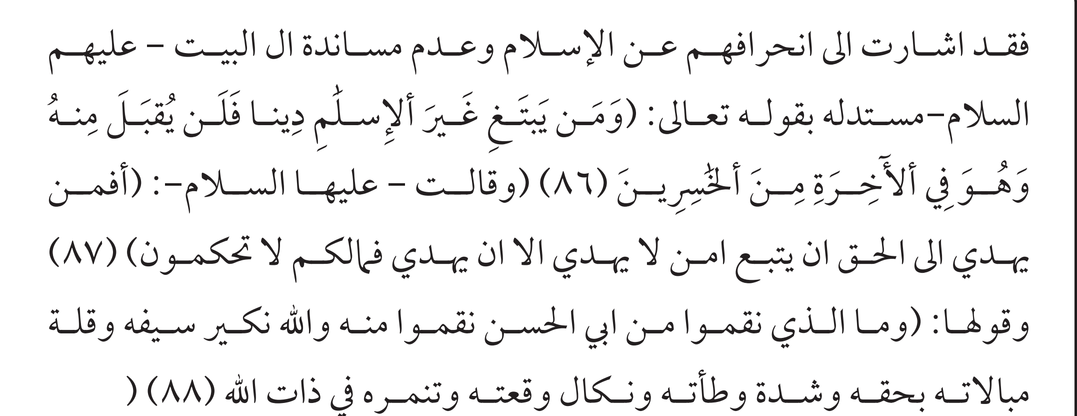
وبعد وفاة النبي - صلى الله عليه وآله- بويع لابي بكر في السقيفة رفضت الزهراء - عليها السلام- البيعة لما رأت فيه نقضا لبيعه الغدير والتي اكدت على استخلاف النبي - صلى الله عليه وآله-لأمير المؤمنين - عليه السلام - اذ سعت - عليها السلام- لنشر الإسلام والحفاظ على المسلمين من الانحراف عن طريق الدعوة والجهاد اذ قام الطغاة باقتحام البيت النبوي فخرجت مدافعة عن زوجها ناصرة له فقالت: (خلو

ابن عمي فو الذي بعث محمدا بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ولأضعن قميص رسول الله – صلى الله عليه وآله– على راسي ولأ صرخن الى الله (٨١)(بمعنى الدعاء الى الله تبارك وتعالى لانزال اشد العذاب بهم.

كما قالت – عليها السلام– في وصف ابيها – صلى الله عليه وآله– وزوجها – عليه السلام)–: ابوا هذه الأمة محمد وعلي يقيمان اودهم وينقذانهم من العذاب الدائم ان اطاعوهما ويبيحانهم النعيم الدائم ان وافقوهما (٨٢)(هنا جاء كلام الزهراء – عليها السلام– تاكيدا على الأمر العقائدي بان الإمام – – عليه السلام والائمة المعصومين من ذريته امتداد لخط النبوة فجاء قوله تعالى: (وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ) (٨٣)اي قرابتك من ابيك وامك؟فقد اخذ الإمام – عليه السلام من رسول الله– صلى الله عليه وآله– شهامته وبطولته في سبيل الله فكان مجاهدا في سبيل الله في كل حروبه) لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى(٨٤)(كما كان للزهراء – عليها السلام– خطبة اخرى بعد الخطبة الفدكية عملت من خلالها على اداء واجبها الرسالي في الدفاع عن امامة الإمام علي – عليه السلام – فقالت): وبعدا للقوم الظالمين ويحهم اي زحزحوها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الامين) (٨٥).

اذ تكلمت عن الواقع الذي آلت إليه حالة المسلمين بعد وفاة النبي – صلى الله عليه وآله– اذ عدت كلماتها محاضرة علمية تثقيفية لم تشمل على حق الإمام – عليه السلام في الخلافة وانما شملت اسمى درجات الفصاحة والبلاغة وجعلت من القرآن الكريم ما يزيد من بلاغتها بلاغة





فقد اشارت الى انحرافهم عن الإسلام وعدم مساندة ال البيت – عليهم السلام–مستدله بقوله تعالى: (وَمَن يَبتَغِ غَيرَ ٱلإِسلَٰمِ دِينا فَلَن يُقبَلَ مِنهُ وَهُوَ فِي ٱلأٓخِرَةِ مِنَ ٱلخَٰسِرِينَ (٨٦) (وقالت – عليها السلام–: (أفمن يهدي الى الحق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدي فمالكم لا تحكمون) (٨٧) وقولها: (وما الذي نقموا من ابي الحسن نقموا منه والله نكير سيفه وقلة مبالاته بحقه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله (٨٨) (

اشارة منها – عليها السلام– الى احقية الإمام – عليه السلام في خلافة رسول الله – صلى الله عليه وآله– فما كان كلامها الا لأداء الواجب الرسالي في الحفاظ على العقيدة من الضياع والانحراف ولبناء ودعم قواعد الدين الإسلامي.

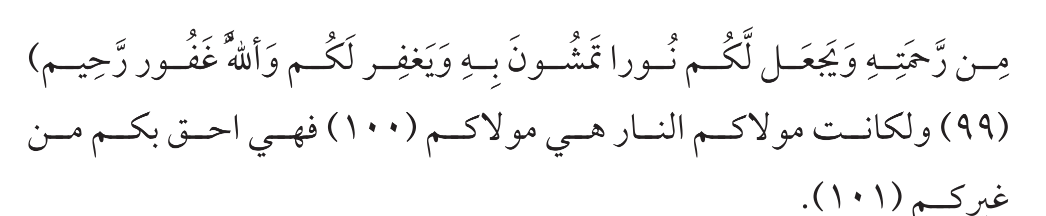
وما تكلمت الا بالقرآن وما يصدر عن الزهراء هو حجة علينا ففي رواية عن جابر الانصاري عن رسول الله – صلى الله عليه وآله– انه قال): ان الله جعل عليا وزوجته وابنائه حجج الله على خلقة وهم ابواب العلم في امتي فمن اهتدى بهم هدى الى الصراط المستقيم) (٨٩) من خلال ذلك نقف على حقيقة مهمة وهي عصمة الزهراء – عليها السلام– فالإمامة من الأصول الخمسة التي اكد عليها القرآن الكريم والسنة النبوية فارتبطت بالسيدة الزهراء – عليها السلام – فهي حجة الله على انبياءه فقد روي عن الإمام الحسن العسكري – عليه السلام – قوله: (نحن حجج الله على خلقة وجدتنا فاطمة حجة علينا (٩٠) (ولمنزلتها عند الله تعالى جاء قوله تعالى:) ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله

في الدنيا والاخرة (٩١) (فهذه الآية بينة مقدار الاذى الذي حل بالنبي ص- وذريته من بعده فهو القائل:)ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت((٩٢).

وقد حملت الزهراء - عليها السلام- دورها في التصدي للظلم وفضح اصحاب السقيفة حتى لايفسر سلوكها على انه رضا منها فجاء وقوفها خلف الباب عند هجوم القوم الذين طالبوا الإمام - عليه السلام - على البيعه وجاء تصرفها دلالة على مكانتها الرفيعة ولكي تبين عدم مراعاة حرمة البيوت (٩٣) وقالت - عليها السلام-: والله لاكلمتك ابدا والله لادعون الله عليك في كل صلاه (٩٤)اشارة منها - عليها السلام- الى ماحل لها من الظلم وسلب الحقوق وهتك حرمة البيت فجاء قوله تعالى: (سَأَلَ سَآئِلُ بِعَذَاب وَاقِع) (٩٥) وقوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرفَعَ وَيُذكَرَ فِيهَا ٱسمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلغُدُوِّ وَٱلأٓصَالِ)(٩٦) فهي دار مقدسة لطاما شرفها النبي - صلى الله عليه وآله- بجلوسة فيها والوقوف على بابها.

ثم استمرت الزهراء-عليها السلام- بتذكير القوم بمنزلتها وبمكانتها عن الله تعالى والتي جاءت من قول رسول الله - صلى الله عليه وآله - ان الله عز وجل يغضب لغضبك ويرضى لرضاك (٩٧) فقالت - عليها السلام-: والله ياابن الخطاب لو لا اني اكره ان يصيب البلاء من لا ذنب له لعلمت اني ساقسم على الله ثم اجده سريع الاجابة (٩٨) دلالة على عمق التربية ولكون الدعاء سلاح المؤمن ولزيادة لمحبتهم في قلوب الناس فقال تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤتِكُم كِفلَينِ





مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُور رَّحِيم) (٩٩) ولكانت مولاكم النار هي مولاكم (١٠٠) فهي احق بكم من غيركم (١٠١).

كما قالت - عليها السلام-: اني اشهد الله وملائكته انكما اسخطتماني ومارضيتماني ولئن لقيت النبي لاشكوكما إليه (١٠٢) فقالت - عليها السلام-: اما والله لو تركو الحق على اهله واتبعوا عترة نبيه لما اختلف بعد خلف حتى يقوم قائمنا التاسع من ولد الحسين - عليه السلام - (١٠٣) فجاء قول رسول الله صلى الله عليه وآله: لو علم الناس متى سمي أمير المؤمنين ماانكروا فضله وسمي أمير المؤمنين وادم بين الروح الجسد (١٠٤) فجاء قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَ‍َٔاب)(١٠٥) وقوله تعالى: (وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيرا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزا) (١٠٦) فكفى الله المؤمنين القتال بعلي - عليه السلام - (١٠٧).

فقد جسدت الزهراء - عليها السلام- دور المراة القيادية المسؤولة اذ ارادت اثبات الحق والمساهمه في بناء هيكلية الإسلام فهي قدوه في كل شيء فواجهت اطماع السياسة بقولها-: (أصبحت والله عاتقة لدنياكم قالية لرجالكم) (١٠٨) فهي انموذج للوعي فجاء دورها كبيرا في تدعيم قواعد الدين الإسلامي فذكرت المسلمين ان غضبها يعني غضب رسول الله - صلى الله عليه وآله- وان غضب رسول الله - صلى الله عليه وآله- يعني غضب الله عز وجل فكانت تريد اللقاء بابيها بعد ان تنكر الزمان

له شاكيه مظلوميتها وسلب حقها وحق زوجها أمير المؤمنين - عليه السلام - فاكملت خطبتها قائلة:(لاتصلي علي امه نقضت عهد الله وعهد ابي رسول الله في أمير المؤمنين وظلموا لي حقي واخذوا ارثي وخرقوا صحيفتي التي خاتمها لي ابي بملك فدك)(١٠٩). فجاء قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ)(١١٠).

ارادت الزهراء-عليها السلام- الحفاظ على سلامة العقيدة الإسلامية فهي دلالة على حب الايمان ومكارم الأخلاق فكيف لا وهي بنت الوحي وربيبة الرسالة وزوجة المرتضى وام السبطين - عليهما السلام- مذكرة القوم بفضل ابيها صلى الله عليه وآلهوزوجها - عليه السلام - على المسلمين جميعا وكيف انقذهم رسول الله - ص- من الظلالة الى الهدى

فهي القائلة:(ابوا هذه الأمة وعلي يقيمان اودهم وينقذانهم من العذاب الدائم ان اطاعوهما ويبرحانهم النعيم الدائم) (١١١)فقال تعالى: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ)(١١٢)فخرج رسول الله - ص- فقال: ان الله تعالى يقول: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ) ثم قال لعلي بن ابي طالب الى ولايتك (١١٣)

الخاتمة

١- جسدت الزهراء-عليها السلام-في خطبتها مفاهيم خطبة غدير خم التي القاها رسول الله - صلى الله عليه وآله-موضحة - صلى الله عليه وآله- قرائن خطبتها مع ما جاء في القران الكريم فهي بمنزلة البرهان



الالهي والتي تبين احقية الإمام علي - عليه السلام في الخلافة.

٢- استعملت - عليها السلام- اسلوب الايحاء قاطعة الطريق امام المحرفين لكلام الله.

٣- الدقة في اختيار الألفاظ ومعرفتها الواسعة بمعاني الكلمات اذ كانت كلماتها واسعة شاملة لمختلف جوانب الحياة فأثرت في النفوس.

٤- لقد وضحت ان بيعة الغدير هي الحق في ولاية أمير المؤمنين - عليه السلام بعدان نصبه رسول الله - صلى الله عليه وآله-.

٥- اوضحت اصول العقيدة وشخصت واقع المسلمين بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وآله- فقد ارادت من خطبتها استرجاع حقها المغصوب وبيان عدم مشروعية الحكم.

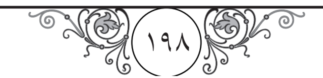
٦- تعد الخطبة معجزة خالدة منظمة خالية من المغالطة عذبة المنطق قوية الحجة عالية المستوى

٧- الغت السيدة الزهراء - عليها السلام - دروسا للمطالبة بالحقوق ولاسيما النساء حتى لاتترك حقها وان تتصدى للمطالبه به وان تجعل منها - عليها السلام- قدوة واسوة.

الهوامش

(١)الكليني الكافي ج ١ص ٤٥٨.

(٢)المصدر نفسهج٨ ص ٤٣٠.



(٣)المصدر نفسه ج٨ ص ١٦٥ .

(٤)المصدر نفسه ج٨ ص ٤٦٣ .

(٥) الحكيم اصول العقيدة ج ١ص ٨٩.

(٦) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة افاءها الله على رسوله. الحموي معجم البلدان ج٤ ص ٢٣٨.

(٧)سورةالاسراء / الآية (٢٦)..

(٨) ابن ابي الحديد شرح نهج البلاغة ج١٦ ص ٢١٠.

(٩)سورة الشعراء / الآية (٢١٤).

(١٠)الطبري تفسير الطبري ج١٠ ص ٧٤.

(١١) المجلسي بحار الانوار ج٢٣ ص ١٣٣..

(١٢)الحاكم النيسابوري المستدرك ج٣ ص١١٠.

(١٣) سورة المائدة / الآية (٣).

(١٤)المجلسي بحار الانوار ج ٢٩ص ٢٢٩.

(١٥)سورة ابراهيم / الآية(٧).

(١٦) سورة النحل / الآية (٨٩)..

(١٧) سورة الفرقان/ الآية (١)..

(١٨) المفيد المسائل السرورية ص ٨١.

(١٩) المتقي كنز العمال ج١ ص ٥٨٢..

(٢٠) المازندراني شرح الأصول ج٢ ص ٣٠٢..

(٢١) الشريف الرضي نهج البلاغه ج٢ ص ٩١.

(٢٢) الصدوق ثواب الاعمال ص٢٢.

(٢٣)سورة الحجر/ الآية (٩)..

(٢٤) الطبرسي الاحتجاج ج ١ ص ١٢٣.

(٢٥) سورة الانعام / الآية (١٠٣).

(٢٦) الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٢٣.

(٢٧) سورة ال عمران/ الآية (١٩٠-١٩١).

(٢٨) الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٢٣.

(٢٩) سورة ال عمران / الآية (٣٣)..

(٣٠)الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٢٣.

(٣١)المصدر نفسه ج١ ص ١٢٣.

(٣٢) سورة الجاثية / الآية(٢٠)..

(٣٣) سورة المؤمنون/ الآية(٦٢)..

(٣٤) سورة الاحقاف / الآية(١٢)..

(٣٥) الطبرسي الاحتجاج ج ١ ص ١٢٣.



(٣٦) سورة الاعراف / الآية (١٥٧).

(٣٧)الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٢٣.

(٣٨) سورة الانبياء / الآية(٤٨)..

(٣٩)المجلسي بحار الانوار ج٢٣ ص ١٣٣..

(٤٠)الطبرسي الاحتجاج ج ١ ص ١٣٣.

(٤١)سورة البقرة / الآية ١٧٩.

(٤٢)الطبرسي الاحتجاج ج ١ ص١٣٣.

(٤٣) سورة ال عمران / الآية ١٠٢).

(٤٤) سورة فاطر/ الآية (٢٨).

(٤٥) البخاري صحيح البخاري ج٤ ص ٢١٠.

(٤٦)الحاكم النيسابوري المستدرك ج٣ ص ١٥٤.

(٤٧) سورة التوبة / الآية (٦١).

(٤٨) البستاني ادب فاطمة ص٤٠.

(٤٩) ابن طيفور بلاغات النساء ص٢٤.

(٥٠) سورة التوبة / الاية (١٢٨).

(٥١) ابن طيفور بلاغات النساء ص٢٤٠.

(٥٢) المصدر نفسة ص٢٤٠.

(٥٣) الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٣٣.

(٥٤) البستاني ادب فاطمة ص ١٤.

(٥٥)سورة النحل / الآية (١٢٥).

(٥٦) سورة الحجر / الآية (٩٤).

(٥٧)ابن طيفور بلاغات النساء ص ٢٤.

(٥٨) سورة ال عمران / الآية(١٠٣).

(٥٩)ابن طيفور بلاغات النساء ص ٢٤.

(٦٠) سورة النمل / الآية (١٦).

(٦١) ابن طيفور بلاغات النساء ص٢٤.

(٦٢) الذهبي تذكرة الحفاظ ج٢ ص ٦٨٤.

(٦٣) المصدرنفسه ج ٢ ص ٦٨٤.

(٦٤) ابن طيفور بلاغات النساء ص ٢٤.

(٦٥) سورة ال عمران / الآية(١٤٤).

(٦٦) المجلسي بحار الانوار ج ٢٩ ص ٢٢٧.

(٦٧) المصدرنفسه ج ٢٩ ص ٢٢٧.

(٦٨)ابن عيسى كشف الغمة ج١ ص ٤٧٩.

(٦٩) سورة الشعراء / الآية(٢٢٧).



(٧٠) الطبرسي الاحتجاج ج١ ص ١٣٣.

(٧١) المصدرنفسه ج ١ ص ١٣٣.

(٧٢) الخوارزمي مقتل الحسين ج١ ص ٥١..

(٧٣) غدير خم:موضع بين مكة والمدينه بينه وبين الجحفة ميلان. ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان ج٤ ص ١٨٧.

(٧٤) ابن طاووس الطرائف ص ١٣٩.

(٧٥) الصدوق الأمالي ص ١٨٨-ص ١٩٧.

(٧٦) سورة المائدة / الآية (٣).

(٧٧) العاملي الانتصار ج٦ص ١٨٣.

(٧٨) الحلي نهج الحق ص ٤٣٩.

(٧٩) المغازلي مناقب ص ٩٣.

(٨٠) البحراني غاية المرام ج٣ص ٦١.

(٨١)ابن شهر اشوب المناقب ج٣ ص ٣٣٩.

(٨٢)الصدوق الأمالي ص٩.

(٨٣) سورة الاسراء/ الآية(٢٦)..

(٨٤) سورة النجم / الآية (٣١).

(٨٥) ابن طيفور بلاغات النساء ص ٢٤.



(٨٦) سورة ال عمران / الآية (٨٥).

(٨٧)ابن طيفور بلاغات النساء ص ٢٤.

(٨٨)المصدرنفسه ص٢٤.

(٨٩) الحاكم الحسكاني شواهد التنزيل ج١ ص٥٨٠.

(٩٠)المسعودي الاسرار الفاطمية ص١٥٣.

(٩١) سورة الاحزاب / الآية (٥٧).

(٩٢)المجلسي بحار الانوار ج٣٩ ص ٥٦.

(٩٣) مهدي الهجوم على بيت فاطمة ص ١٠٣.

(٩٤) مسلم صحيح مسلم ج٢ص ٧٢.

(٩٥) سورة المعارج / الآية (١).

(٩٦) سورة النور / الآية (٣٦).

(٩٧) الطبري ذخائر العقبى ص ٣٩.

(٩٨) المجلسي بحار الانوار ج٧ص ٢٤٩.

(٩٩) سورة الحديد / الآية (٢٨).

(١٠٠) التستري تفسير ص٢٣.

(١٠١) الازهري تهذيب اللغة ج١٥ ص ٣٢٣.

(١٠٢) البخاري صحيح البخاري ج٥ص ٥.

(١٠٣) المجلسي بحار الانوار ج٣٦ص ٣٥٢.

(١٠٤) الهمداني مودة القربى ص ١٠٤.

(١٠٥) سورة الرعد / الآية (٢٩).

(١٠٦) سورة الحزاب / الآية (٢٥).

(١٠٧) القندوزي ينابيع المودة ج١ص ٢٨٣.

(١٠٨) معاني الاخبار ج٢ص ٣٥٥.

(١٠٩) ابن عيسى كشف الغمة ج٢١ ص ٤٩٤.

(١١٠) سورة التوبة / الاية) ١١٩)

(١١١) الصدوق الامالي ص ٩

(١١٢) سورة طه/ الآية (٨٢).

(١١٣) الحاكم الحسكاني شواهد التنزيل ج١ص ٤٩٣.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

-الازهري محمد بن احمد الهروي (ت ٣٧٠ ه / ٩٨١م).

١- اللغة تح: محمد معوض دار احياء التراث العربي (بيروت: ٢٠٠١م).

-البخاري ابي عبد الله يمحمد بن اسماعيل بن ابراهيم ابن المغيرة بن





بردزبة (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٩م).

٢-صحيح البخاري دار الفكر للطباعة والنشر (د- م: ١٤٠١هـ/ ١٩٩١م).

-البحراني هاشم الموسوي التوبلي(١١٠٧هـ/ ١٦٩٥م).

٣- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام تح: علي عاشور من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية (د- م/ د- ت).

-التستري ابو محمد سهل بن عبد الله (ت ٢٨٣هـ/ ٩٨١).

٤- تفسير تح: محمد باسل دار الكتب العلمية منشورات محمد علي بيضون (بيروت: ٢٠٠٣م).

-ابن ابي الحديد (ت ٦٥٧هـ / ١٢٥٨ م).

٥- شرح نهج البلاغة: تح: محمد ابو الفضل ابراهيم مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع (د- م / د-ت).

-الحاكم الحسكاني عبيد الله بن عبد الله بن احمد (من اعلام القرن الخامس الهجري).

٦- شواهد التنزيل تح: محمد باقر المحمودي مؤسسة الاعلمي (بيروت ٢٠١٠م).

-الحموي ياقوت (ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م).

٧- معجم البلدان دار احياء التراث العربي (بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

-الحاكم النيسابوري ابي عبد الله (ت ٤٠٥هـ / ١٠١٤م).



٨- المستدرك دار المعرفة (بيروت: د- ت).

-الحلي الحسن بن يوسف بن المظهر (ت ٧٢٦ه / ١٣٢٥م).

٩- نهج الحق وكشف الصدق ط١(د- م: ١٤١٥ه).

-الخوارزمي الموفق بن احمد بن محمد المكي (ت٥٦٨ه/ ١١٧٣م).

١٠- مقتل الحسين ع تح: محمد السماوي ط١(د- م: ١٤١٨ه).

-الذهبي ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨ه/ ١٣٤٧م).

١١- تذكرة الحفاظ دار احياء التراث العربي (بيروت: د- ت).

-ابن شهر اشوب ابي عبد الله محمد بن علي (ت٥٨٨ه / ١١٩١م).

١٢- مناقب ال ابي طالب تح: لجنة من اساتذة النجف الاشرف المكتبة الحيدرية (النجف الاشرف: ١٣٧٦ -١٩٥٦م).

-الصدوق ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابوية (ت٣٨١ ه / ٩٩١م).

١٣- الامالي تح:قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ط١ (د-م: ١٤١٧ ه).

١٤- ثواب الاعمال وعقاب الاعمال منشورات الرحمن ط٢(قم: د- ت).

١٥- معاني الاخبارتصح: علي اكبر الغفاري استشارات اسلامي(د-م: د-ت).



-ابن طاووس رضي الدين ابي القاسم علي بن موسى الحلي(ت٦٦٤ ه/ ١٢٦٥م).

١٦- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف مطبعة الخيام (قم:١٣٩٩ه).

-الطبرسي ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب (ت٦٢٠ه/ ١٢٢٣م)

١٧- الاحتجاج تعليق: محمد باقر الخرسان منشورات طبع في مطابع النعمان (النجف الاشرف:١٣٨٦ه -١٩٦٦م).

-الطبري ابي جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ه/ ٩٢٣م).

١٨- جامع البيان في تفسير القران دار الكتب العلمية (د- م: د- ت).

١٩- ذخائر العقبى دار الكتب المعرفية (د- م: ١٣٥٦ه).

-ابن طيفور ابي الفضل بن ابي ظاهر(ت٣٨٠ه/ ٩٩٠م).

٢٠- بلاغات النساء منشورات مكتبة بصيرتي (قم: د- ت).

-ابن عيسى ابي الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح(ت٦٩٣ه/ ١٢٩٣م).

٢١- كشف الغمة في معرفة الأمة تعليق: هاشم الرسول المطبعة العلمية(تبريز: ١٣٨١ه).

-القندروزي سليمان بن ابراهيم (ت١٢٩٤ه/ ١٨٨٢م).

٢٢- ينابيع المودة لذوي القربى تح: سيد علي جمال اشرف الحسيني ط١ دار الاسوة للطباعة والنشر(د- م: ١٤١٦ه).

-الكليني ابي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت٣٢٩ه/ ٩٤١م).

٢٣- الكافي تصح: علي اكبر الغفاري دار الكتب الإسلامية ط٣ (د- م:١٣٨٨ه).

-المتقي علاء الدين علي(ت ٩٦٧ه / ١٥٦٨م).

٢٤- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ضبط: بكري حياتي مؤسسة الرسالة (بيروت: ١٤٠٩ه -١٩٨٩ م).

-المجلسي محمد باقر(ت ١١١١ه / ١٦٩٩م).

٢٥- بحار الانوار في تفسير المأثور للقران تنظيم كاظم المراد خاني ط١مؤسسة الطور للنشر (طهران:١٤١١ه).

-المازندراني محمد صالح(ت١٠٨١ه/ ١٦٧٠م).

٢٦- شرح الأصول تصح: علي عاشور دار احياء التراث العربي (بيروت: د- ت).

-مسلم ابي الحسن مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ه / ٨٧٤م)).

٢٧- صحيح مسلم دار الفكر (بيروت: د - ت).

-المسعودي محمد فاضل (ت٣٤٦ه / ٩٥٧م).

٢٨- الاسرار الفاطمية تقديم:علي العلوي رابطة الصداقة الإسلامية ١٤١(د- م: ١٩٩٢م).

-ابن المغازي ابي الحسن علي بن محمد الواسطي الجلابي الشافعي (ت



٤٨٣ ه - ١٠٩٢م).

٢٩- مناقب علي بن ابي طالب ع انتشارات سبط النبي ص ط١ (د- م: ١٤٢٤م)

-المفيد محمد بن محمد بن نعمان بن المعلم ابي عبد الله (ت٤١٣ه / ١٠٢٢م).

٣٠- المسائل السرورية (د- م: د- ت).

-الهمداني علي بن شهاب الدين (ت ٧٨٦ه/ ١٣٨٥م).

٣١- مودة القربى واهل الصبا تح: محمد جواد النجفي ط١ مركز دار الحكمة للدراسات الإسلامية مؤسسة النبراس للطباعة والنشر (د- م: د. -ت).

المراجع

-البستاني محمود.

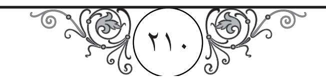
١- ادب فاطمة الزهراء -ع- مؤسسة تعليم اللغات (قم: د- ت).

-الحكيم محمد سعيد.

٢- اصول العقيدة (د- م: د- ت).

-الشريف الرضي ابو الحسن محمد الرضي بن الحسن الموسوي.

٣- نهج البلاغة ضبط ووضع فهرسته: صبحي الصالح ط٢ مطبعة



الوفا (قم: ٢٠٠٦م).

-العاملي علي الكوراني.

٤- الانتصار اهم مناظرات الشيعة في شبكات الانترنت.

-مهدي عبد الزهرة.

٥- الهجوم على بيت فاطمة -ع- مؤسسة الإمام الهادي -ع- (د- م: د- ت).



ثَقَافَةُ الْغَدِيْرِ عِلْمٌ إلهِيٌّ وَبِنَاءٌ حَضَارِيٌّ بِمَحَبَّةٍ وَسَلَامٍ

الْشَّيْخُ الْحُسَيْنِ أَحْمَد كَرِيْمُو

تَقْدِيْمٌ

إذا أراد الباحث أن يَحِيْرَ فما عليه إلا أن يقف على أعتاب الأمير عليه السلام..

وإذا أراد العالم النِّحرير أن يُدهشَ، فما عليه إلا أن يتأمل من بعيد في بحر علم الأمير عليه السلام..

لأن أمير المؤمنين عليه السلام بحر ذخَّار، متلاطم الأمواج، واسع الفجاج، بعيد الغور، مترامي الأطراف فهو المحيط الذي لا يُساحَلُ، والجمُّ الذي لا يُجافل، والفَخرُ الذي لا يُساجَل، ولكنه معطاءٌ لطالبيه، كريمٌ لراغبيه، مانحٌ لعاشقيه من دُرره المَصونة، ولآلئه المكنونة، ومنه نستمدُّ العونَ ليعطينا بعض المفاتيح لخزائن النور، لننشرَ منها ما رقَّ وراق، لتنيرَ الحياة، وتضيءُ الآفاق..

عِلْمُ الْإِمَامِ عَلِيّ عليه السلام

الإمام علي عليه السلام عنده مفاتِحُ العلم، وخزائن العلم، ومكامن العلم، فهو عيبة العلم بالمعنى الواسع الذي يمكن للإنسان أن يفهمه، أو

أن يستوعبه، وخزائنه متعددة، وأهمها ثلاث:

١- خَزَائِنُ إِلهِيَّة (الْقُرآنُ الْحَكِيمُ)..

الله تعالى هو العالم بالمطلق، فالعالم من أسمائه الذاتية، وهو الذي يُعطي علمَه لِمَنْ شاء من عباده المكرَّمين، وعلى رأسهم محمد وآله الطاهرين عليه السلام الذين كرَّمهم الله بالولاية العظمى، وفضَّلهم على الخلق بالرسالة الخاتمة والعلم اللَّدُنِّي، والإمام علي عليه السلام مِمَّنْ اختصَّهم الله بعلمه فكان عيبة علم الله، والعالم بكتاب الله، وفي الكتاب خزائن علم الله، قال تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[1].

وقال سبحانه: (وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[2].

فكل شيء في كتاب الله بيانه، والعالِم بكتاب الله هو عالِم بالأحكام والبيِّنات لكها بتعليم من الله تعالى من خلال تعليم تفسير وتأويل آيات القرآن الحكيم، وهل حواها إلا الأنزع البطين؟

فهو دون غيره الذي استشهده الرسول صلى الله عليه وآله بقوله تعالى: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)[3]

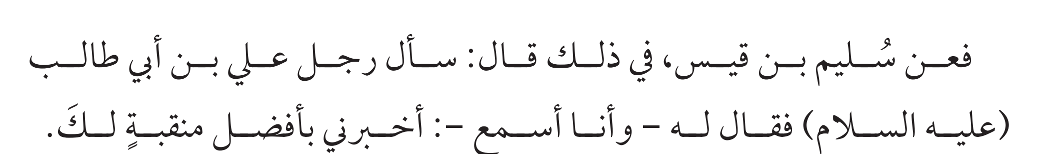
---

(١) (الأنعام: ٣٨)

(٢) (يونس: ٦١)

(٣) (الرعد: ٤٣)





فعن سُليم بن قيس، في ذلك قال: سأل رجل علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له - وأنا أسمع -: أخبرني بأفضلِ منقبةٍ لكَ.

قال: مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ، قالَ: وَمَا أنزلَ اللهُ فيكَ؟

قال: قوله: (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا..) إِيَايَ عَنَى بِمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الكِتَابِ)[1].

وعن أبي سعيد الخدري قال: سألتُ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن قول الله جلَّ ثناؤه: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ)[2] قال: ذَاكَ وَصِيُّ أَخِي سُلَيمَانُ بنَ دَاود، فقلتُ له: يا رسول الله فقول الله: (قُلْ كَفَى بِاللهِّ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)؟

قالَ: ذَاكَ أَخِي عَلِيُّ بْنَ أَبِي طَالِب)[3].

وعن ابن أبي عُمَير، عن ابن أذينة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ هُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين (عَليهِ السَّلَام)، وسُئل: عن الذي عنده علمٌ من الكتاب أعلم أم الذي عنده علمُ الكتاب؟ فقال: مَا كَانَ عِلْمُ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ عِنْدَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ

(١) (تفسير نور الثقلين للحويزي: ج٤ ص٨٠ وتفسير الميزان للطباطبائي: ج١١ ص٢٠٥ بحث روائي جميل حولها..)

(٢) (سورة النمل: ٤٠)

(٣) القندوزي؛ ينابيع المودة، الباب ٣٠: ص.١٠٣ الميزان، المجلّد ١١، الصفحة ٤٢٧. امالي الصدوق: ٣٣٧.

الْكِتَـابِ إِلّا بِقَـدْرِ مَـا تَأْخُـذُ بَعُوضَـةٌ بِجَنَاحِهَـا مِـنْ مَـاءِ الْبَحْـرِ)[1].

تلـك خزائـن علـم الإمـام علـيّ الإلهيـة ولا أحـد ينازعـه فيهـا أبـداً مـن هـذه الأمـة، ولا مـن غيرها..

٢- خَزَائِنٌ نَبَوِيَّة (الرَّسُولُ الْكَرِيمُ)..

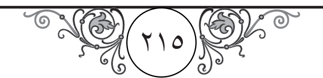
ورسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه هـو مدينـة علـم الله، وهـو المؤتمـن علـى خزائـن العلـم في الكتـاب وغـيره إن وجـد وذلـك بـما وهبـه الله مـن لدُنْـه، بحيـث جَمَـعَ لـه أطـراف العلـم ولم يُخْـفِ عنـه إلا علـم السـاعة..

وكل مـا علمـه أفضـاه لوصيـه وحبيبـه علـي بـن ابي طالـب عليـه السـلام طيلـة عمـره الشريـف، فـكان يُربِّيـه ويُغذِّيـه بالطعـام، والعلـم ليتكامل جسـدياً وروحيـاً منـذ أن كان فطيـماً كـما في خطبتـه القاصعـة، قـال عليـه السـلام: (وَقَـدْ كُنْـتُ أَدْخُـلُ عَـلَى رَسُـولِ اللهِّ (صـلى اللهّ عليـه وآلـه) كُلَّ يَـوم دَخْلَـةً وَكُلَّ لَيْلَـةٍ دَخْلَـةً، فَيُخْلِينِـي فِيهَـا أَدُورُ مَعَـهُ حَيْـثُ دَارَ، وَقَـدْ عَلِـمَ أَصْحَـابُ رَسُـوْلِ اللهِّ(صـلى اللهّ عليـه وآلـه) أَنَّـهُ لَمْ يَصْنَـعْ ذَلِـكَ بِأَحَـدٍ مِـنَ النَّـاسِ غَـيْرِي، فَرُبَّـمَا كَانَ فِي بَيْتِـي يَأْتِينِـي رَسُـولُ اللهِّ(صـلى اللهّ عليـه وآله)أَكثَـر ذَلِـكَ فِي بَيتِـي، وَكُنْـتُ إِذَا دَخَلْـتُ عَلَيْـهِ بَعضَ مَنَازِلِـهِ أَخْـلَانِي، وَأَقَـامَ عَنِّـي نِسَـاءَهُ فَـلا يَبْقَـى عِنْـدَهُ غَـيرِي؛ وَإِذَا أَتَـانِي لِلخَلْـوَةِ مَعِـي فِي مَنـزِلِي لَمْ تَقُـمْ عَنِّـي فَاطِمَـة وَلَا أَحَـدٌ مِـنْ بَنِـيَّ، وَكُنـتُ إِذَا سَـأَلْتُهُ أَجَابَنِـي، وَإِذَا سَـكَتُّ عَنـهُ وَفَنِيَـتْ مَسَـائِلِي ابْتَـدَأَنِي.

فَـمَا نَزَلَـتْ عَـلَى رَسُـولِ اللهِّ(صـلى اللهّ عليه وآلـه) آيَـةً مِـنْ القُـرآنِ إِلّا أَقْرَأَنِيْهَا،

---

(١) بحار الانوار / جزء ٣٥ / صفحة [٤٢٩] تفسير القمي: ٣٤٣.



وَأَمْلَاهَا عَلَيَّ، فَكَتَبْتُهَا بِخَطِّي وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنْسُوخِهَا، وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللهَّ أَنْ يُعطِيَنِي فَهْمَهَا وَحِفْظَهَا، فَمَا نَسِيْتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهَّ، وَلَا عِلْماً أَمْلَاهُ عَلَيَّ وَكَتَبْتُهُ، مِنْذُ دَعَا اللهَّ لِي بِمَا دَعَا.

وَمَا تَرَكَ شَيْئاً عَلَّمَهُ اللهَّ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَام، وَلَا أَمرٍ وَلَا نَهيٍ، كَانَ أَوْ يَكُونُ، وَلَا كِتَابٍ مُنزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، إِلَّا عَلَّمْنِيهُ وَحَفِظتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفاً وَاحِداً.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدرِي، وَدَعَا اللهَّ لِي أَنْ يَمْلَأَ قَلبِيَ عِلْماً وَفَهْماً، وَحُكْماً وَنُوراً، فَقُلتُ: يَا نَبِيَّ اللهَّ! بِأَبِي أَنتَ وَأُمِّي، مِنذُ دَعَوتَ اللهَّ لِي بِمَا دَعَوتَ لَمْ أَنْسَ شَيْئاً، وَلَمْ يَفُتْنِي شَيءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ، أَفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسيَانَ فِيمَا بَعدُ؟

فقالَ: لا، لَستُ أَتَخَوَّفُ عَلَيكَ النِّسيَانَ وَالجَهلَ)[1].

وعنه(عليه السلام): (إِنَّ رَسُولَ اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ العِلْمِ، يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ أَلفَ بَاب، وَلَمْ يُعْلِّمْ ذَلِكَ أَحَداً غَيْرِي)[2]

وقال(عليه السلام): إِنَّ رَسُولَ اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) عَلَّمَنِي أَلْفَ بَابٍ مِنَ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَمِمَّا كَانَ وَمِمَّا يَكونُ إِلى يَومِ القِيَامَةِ، كُلُّ بَابٍ

(١) الكافي: ١/ ٦٤/ ١، الخصال: ٢٥٧/ ١٣١، الغيبة للنعماني: ٨٠/ ١٠، كتاب سليم بن قيس: ٢/ ٦٢٤/ ١٠

(٢) الخصال: ٥٧٢/ ١ عن مكحول.

مِنْهَا يَفْتَحُ أَلْفَ بَاب، فَذَلِكَ أَلْفُ أَلْفُ بَاب حَتَى عَلِمْتُ عِلْمَ المَنَايَا وَالبَلَايَا وَفَصْلَ الخِطَاب)[1]

وفي روايات أخرى، أَلْفَ حَرْفٍ، أو أَلْفَ كَلِمَةٍ، أو غيرها مما يُبيِّن أن كل ما كان لدى رسول الله صلى الله عليه وآله أفضاه إلى وصيه في آخر لحظة من حياته الشريفة، وهذه خزائن النبوة الخاتمة..

٣- خَزَائِنُ وَلَائِيَّة (شَخْصَهُ الْعَظِيمُ)..

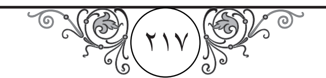
وأما في الخزائن الولائية والإمامية فهي محور بحثنا وحديثنا في هذه العُجالة، فيكفيه أنه الوحيد من أهل التوحيد كان يقول: (سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوْنِي)، فعن عامر بن واثلة: سمعتُ عليّاً عليه السلام قام فقال: (سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوْنِي، وَلَنْ تَسْأَلُوا بَعْدِي مِثْلِي)[2].

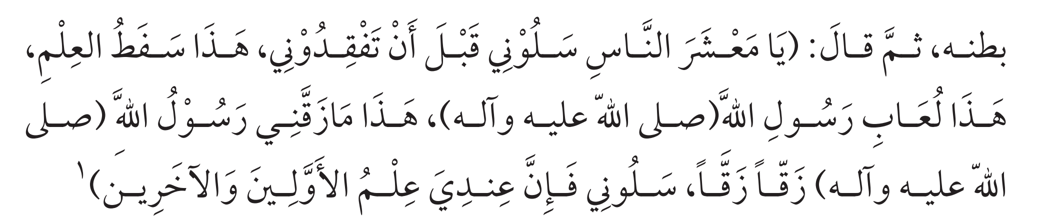
وعن الأصبغ بن نباتة: لَّما جلس عليّ(عليه السلام) في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) لابساً بُردةَ رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله)، منتعلاً نعل رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله)، متقلّداً سيفَ رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) فصعد المنبر فجلس(عليه السلام) عليه متمكّناً، ثمّ شبَّك بين أصابعه فوضعها أسفلَ

---

(١) الخصال: ٦٤٦/ ٣٠ وص ٦٤٣/ ٢٢، الاختصاص: ٢٨٣ وص ٣٠٥، بصائر الدرجات: ٣٠٥/ ١١ وص ٣٥٨/ ١٤

(٢) المستدرك على الصحيحين: ٢/ ٣٨٣/ ٣٣٤٢، السنّة لابن أحمد بن حنبل: ٢٧٨/ ١٤٤٣ نحوه، المناقب لابن المغازلي: ٥٨/ ٨٤؛ العمدة: ٤٦١/ ٩٦٧ تفسير الطبري: ٩/ الجزء ١٦/ ٣٤.




بطنه، ثمَّ قالَ: (يَا مَعْشَرَ النَّاسِ سَلُوْنِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوْنِي، هَذَا سَفَطُ العِلْمِ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللهِّ(صلى اللهّ عليه وآله)، هَذَا مَازَقَّنِي رَسُوْلُ اللهِّ (صلى اللهّ عليه وآله) زَقّاً زَقّاً، سَلُونِي فَإِنَّ عِندِيَ عِلْمُ الأَوَّلِينَ وَالآخرِينَ)[1]

وهذا ابن عبّاس تراه قد غَضِبَ مِمَّن قارنَ عِلمَهُ بِعِلمِ عَلِيٍّ، وقالَ في جَوابِهِ: (ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ عَلِيٌّ عَلَّمَنِي، كَانَ عِلْمُهُ مِنْ رَسُولِ اللهِّ(صلى اللهّ عليه وآله)، وَرَسُولُ اللهِّ(صلى اللهّ عليه وآله) عِلَّمَهُ اللهُّ مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، فَعَلَّمَ النَّبِيَّ (صلى اللهّ عليه وآله)، وَعِلمُ عَلِيٍّ مِنْ النَّبِيِّ، وَعَلْمِي مِنْ عِلْمِ عَلِيٍّ، وَعِلْمِي وَعِلْمُ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ كُلُّهُم فِي عِلْمِ عَلِيٍّ(عليه السلام) كَالقَطْرَةِ الوَاحِدَةِ فِي سَبْعَةِ أَبْحُر)[2]

هذه الخزائن العلمية أهَّلته ليكون الشخص الوحيد الناطق باسم الله ورسوله في هذا الكون، وذلك بجدارة شخصية، وهِبَات إلهية، وعطايا محمَّدية التي اجتمعت في هذا الشخص (الشاخص) وما اجتمعت لشخص آخر لا من قبله ولا من بعده، ولذا قال: (فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا، وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا)[3]

ما أعظم هذه الكلمة من أمير المؤمنين عليه السلام كتبها إلى معاوية في رسالة يُبيِّن له فيها حقائقهم النورانية، وما يُميِّزهم عن غيرهم من

(١) التوحيد: ٣٠٥/ ١، الأمالي للصدوق: ٤٢٢/ ٥٦٠، الاحتجاج: ١/ ٦٠٩/ ١٣٨؛ المناقب للخوارزمي: ٩١/ ٨٥، فرائد السمطين: ١/ ٣٤١/ ٢٦٣

(٢) الأمالي للمفيد: ٢٣٥/ ٦، الأمالي للطوسي: ١١/ ١٤، المناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٣٠

(٣) (نهج البلاغة: كتاب ٢٨)

البشر، وقد يستشكل البعض من هذه الكلمة ويستكبرُها، وهي كلمة قرآنية ولفتة راقية جداً، فعن سيدنا موسى الكليم يقول ربنا: (وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي)[1]

وقال تعالى عن نوح والسفينة: (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)[2] وهذه تكررت ثلاث مرات تصف السفينة أنها بعين الله، وتجري بعين الله أيضاً، كما في الآيات المختلفة.

وأما عن رسول الله صلى الله عليه وآله فهو بعين القدرة قال تعالى: (وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)[3]

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله بعين الله تعالى، فهذا يعني أن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً معه لأنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله كما في آية المباهلة المباركة، فهذا الشخص الذي صنعه الباري ليكون مثالاً، ومقياساً، ومعياراً لخَلْقِهِ فهو ميزان الله في خلقه، ومعياره في القيم والفضائل، ومثاله في الإنسانية ليكون حُجة الله عليهم جميعاً من آدم وحتى آخر نسمةً من ولده..

صنعه الباري تعالى، وصَاغَهُ رسول الله صلى الله عليه وآله وَصَقَلَ نَفْسَهُ القدسيَّة عمله، قال عليه السلام: (وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى لِتَأْتِيَ

---

(١) (طه: ٣٩)

(٢) (المؤمنون: ٢٧)

(٣) (الطور: ٤٨)



آمِنَـةً يَـوْمَ الْخَـوْفِ الأَكْبَرِ)[1]

الْعِلْمُ رَأْسُ الْفَضَائِلِ

إذا كان الإنسـان مـا يُميِّـزه إنسـانيته، وقِيَمَـه، وفضائلـه، فـإن العلـم يكـون فضيلـة القمَّـة لـكل الفضائـل فهي كالـرأس لجسـد الفضائـل والقيم الإنسـانية، وأمـير المؤمنـين عليـه السـلام كان يُجسِّـدُ تلـك الفضيلـة، وذلـك الـرأس العـالي للإنسـانية، ولـذا كان مرجعـاً للجميـع في كل شيء مـن علـم الدِّيـن والدنيـا لمعاصريـه، وصـدق الخليـل بـن أحمـد الفراهيـدي حيـث قيـل لـه: مـا الدليـل عـلى أنّ عليّاً(عليـه السـلام) إمـام الـكلّ في الـكلّ؟ قـال: (احتيـاجُ الـكلِّ إليـهِ واسـتغناؤُهُ عـن الـكلِّ)[2]

وقيـل لـه: مـا تقـول في عـليٍّ بـن أبي طالب(عليـه السـلام)؟: فقـال: مـا أقـول في حـقِّ امـرِئٍ كَتَمَـتْ مَنَاقِبَـهُ أَولِيَـاؤُهُ خَوْفَـاً، وَأعـدَاؤُهُ حَسَـدَاً، ثُـمَّ ظَهَـرَ مِـنْ بَـينِ الْكَتْمَـينِ مَـا مَـلأَ الخَافِقَـيْنِ)[3]

وهذا حاله لَمِنْ جاء بعدهم وإلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها..

ولـذا تـراه يجلس عـلى المنبر متمكّنـاُ ويشـبك بيديـه الكريمتـين تحت بطنـه الشريـف ويقـول: (سَـلُونِي قَبـلَ أَنْ تَفْقِـدُونِي.. عَـنْ طُـرُقِ السَّـمَاوَاتِ.. عَـن

(١) (نهج البلاغة: ك ٤٥ لعثمان بن حنيف)

(٢) (تنقيح المقال: ١/ ٤٠٣/ ٣٧٦٩)

(٣) (تنقيح المقال: ١/ ٤٠٣/ ٣٧٦٩، الرواشح السماويّة: ٢٠٣)

كِتَـابِ اللهِ وَالآيَـاتِ.. عَـن كُلِّ شَيءٍ يَخطُـرُ)[1].

سـلوه يـا أمـةَ الخيرِ عـن طُـرُقِ السَّماوات، فيقـوم جلـف مـن أجـلاف قريش(سـعد بـن أبي وقـاص) ليسـأله متهكّـماً: كـم شـعرة في رأسـه العفـن، ولحتـه الجربـاء؟.

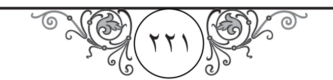
ويقـوم أعـرابي بـوال عـلى عقبيـه ليسـأله عـن راحلتـه التـي أضلَّهـا.. ولـذا قال(عليـه السـلام) لكميـل بـن زيـاد النخعـي: (هـاه إنّ هاهنـا لعلـماً جمّـاً- وأشـار بيـده إلى صـدره- لـو أصبـت لـه حملـة)[2]!

وقال(عليـه السـلام): (إنّ هاهنـا لعلـماً جمّـاً- وأشـار إلى صـدره- ولكـن

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤١ ص٣٢٨، وقال العلامة الأميني(ره):«لم أر في التاريخ قبل مولانا أمير المؤمنين من عرَّض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الأسئلة، ورفع عقيرته بجأش رابط بين الملأ العلمي بقوله:«سلوني»إلا صنوه النبي الأعظم،فإنه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يكثر من قوله:«سلوني عما شئتم»و قوله:«سلوني سلوني»و قوله:«سلوني،و لا تسألوني عن شئى إلا أنبئتكم به»،فكما ورث أمير المؤمنين علمه (صلى الله عليه وآله وسلم) ورث مكرمته هذه وغيرها، وهما صنوان في المكارم كلها، وما تفوه بهذا المقال أحد بعد أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا و قد فضح ووقع في ربيكة، وأماط بيده الستر عن جهله المطبق)

(٢) (نهج البلاغة: الحكمة ١٤٧، الإرشاد: ١/ ٢٢٨، الأمالي للمفيد: ٣/٢٤٩، كمال الدين: ٢/٢٩١، الخصال: ٢٥٧/١٨٦، خصائص الأئمّة(عليهم السلام): ١٠٥، الأمالي للطوسي: ٢٠/ ٢٣، الغارات: ١/ ١٥٠، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٢٠٦، شرح الأخبار: ٢/ ٣٧٠/ ٧٣٢، تحف العقول: ١٧٠؛ حلية الأولياء: ١/ ٨٠، تاريخ بغداد: ٦/ ٣٧٩/ ٣٤١٣)



طلّابه يسيرة، وعن قليل يندمون لو قد يفقدوني)[1]

وقدِمَ وفدٌ من أهل فلسطين على الباقر(عليه السلام)، فسألوه عن مسائل، فأجابهم ثم قال: (لم يجد جدّي أمير المؤمنين(عليه السلام) حَمَلةً لعلمه حتى كان يتنفّس الصُّعَدَاء، ويقول على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فإنّ بين الجوانح منّي علماً جمّاً، ها هاه ألا لا أجد من يحمله)[2]!

وفي قصّة يرويها ميثم التمّار، قال: أَصْحَرَ بِي مولاي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب(عليه السلام) ليلة من الليالي، حتى خرج من الكوفة وانتهى إلى مسجد جعفي، توجّه إلى القبلة وصلّى أربع ركعات، فلمّا سلّم وسبّح بسط كفّيه وقال: «إِلهِي كَيْفَ أَدْعُوكَ وَقَدْ عَصَيْتُكَ، وَكَيفَ لَا أَدْعُوكَ وَقَدْ عَرَفْتُكَ...» وأَخْفَتَ دعاءه، وسجدَ وعفَّرَ، وقال: العفو العفو، مائة مرّة، وقام وخرج واتّبعته حتى خرج إلى الصحراء، وخَطَّ لي خُطَّةً وقال: إِيَّاكَ أَنْ تَجَاوَزَ هَذِهِ الخُطَّةِ، ومضى عنّي.. وكانت ليلة دَهَمة (مظلمة)، فقلتُ: يا نفسي أسلمتِ مولاكِ وله أعداء كثيرة، أيّ عُذر يكون لك عند اللهّ وعند رسوله؟! واللهّ لأَقِفَنَّ أَثَرَهُ، ولأعلمنّ خبره، وإن كنت قد خالفت أمره، وجعلت أتّبع أثره، فوجدتُهُ(عليه السلام) مُطَّلِعَاً فِي الْبِئرِ إِلَى نِصْفَهُ يُخَاطِبُ الْبِئرَ والْبِئرُ تُخَاطِبُهُ، فَحَسَّ بِي، والْتَفَتَ(عليهِ السَّلام) وقالَ: مَنْ؟ قُلتُ: مَيْثَم.

فقالَ: يَا مَيثَم، أَلَمْ آمُرَكَ أَنْ لَا تَجَاوَزَ الخُطَّةَ؟ قُلتُ: يَا مَولَاي، خَشِيتُ

(١) (علل الشرائع: ٤٠/ ١، عيون أخبار الرضا: ١/ ٢٠٥/ ١)

(٢) (التوحيد: ٩٢/ ٦، والمناقب لابن شهرآشوب: ٢/ ٣٨)

عَليكَ مِنَ الأَعداءِ، فَلَم يَصْبِر لِذَلِكَ قَلبِي.. فقالَ: أَ سَمِعْتَ مِمَّا قُلتُ شَيئاً؟ قُلتُ: لَا يَا مَولَاي. فَقَالَ: يَا مَيْثَم

وَفِي الْصَّدرِ لَبَانَاتٌ إِذَا ضَاقَ لَهَا صَدْرِي
نَكَتُّ الأَرضَ بِالْكَفِّ وَأَبدَيْتُ لَهَا سِرِّي
فَمَهمَا تَنْبُتُ الْأَرضُ فَذَاكَ النَّبْتُ مِنْ بَذْرِي[1]

هكذا كان يعيش الإمام علي عليه السلام في تلك الأمة التي يُريدُ أن يرفعها بعلمه إلى السَّماء وهي تريد أن تتسافل إلى ما دون الماء، ولذا جاء جاهل آخر ليقول لنا: (أنَّ علياً وُلدَ قبلَ زمانهِ...)

وكأنه صار أعلم من رب العالمين، أو أحكم منه بشؤون الخلق وأسأله: لو جاءنا أمير المؤمنين (ع) الآن وطرح علينا نفس السؤال هل كان حالنا أفضل أيها الفيلسوف المُتَقَوِّل على الله؟

ولماذا لم تؤمن به أنت شخصياً وبقيتَ على دين آبائك وأجدادك المشركين، وتتفلسف على الخلق بأمير المؤمنين عليه السلام ؟

وسيأتي إلينا حفيده يوماً ليقول له القائلون: (ارْجِعْ يَا ابْنِ الْحَسَنْ مِنْ حَيْثُ جِئتَ)[2] فالناس ناس والزمان زمان، والتاريخ يُعيد نفسه،

---

(١) (المزار الكبير: ١٤٩ وص ١٥٣، المزار للشهيد الأوّل: ٢٧٠ وص ٢٧٥، واللبانات جمع اللبانة: وهي الحاجة من غير فاقة ولكن من هِمّة (لسان العرب: ١٣/ ٣٧٧)

(٢) (إذا قام القائم (عليه السلام) سار إلى الكوفة، فيخرج منها بضعة عشر ألفا يدعون البترية عليهم السلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت (فلا حاجة) لنا في بني فاطمة، فيضع فيهم السيف حتى يأتي على آخرهم)، معجم أحاديث المهدي: ح٨٤٧ الخوارج على



فالله الخالق حكيم في كل أمره ونهيه ولكن البشر القاصر لا يُدرك الحكمة فيتقوَّل على الله، ويُنَظِّر عليه أيضاً، لأنه جاهل بحقائق الأمور وأولها نفسه وجهله المركب..

فرسول الله صلى الله عليه وآله ولد في الزمان والمكان المناسب تماماً و(اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ)[1] وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام تلك الجوهرة التي صنعها الباري تعالى على عينه، وصاغها رسوله صلى الله عليه وآله في حِجره، فجاءت يتيمةً في دهره، وفريدةً في جمالها وكمالها ولكن الأمة كانت جاحدة لا تُقدِّرَها قدرَها، ولا تُعطيها حقَّها لتَنعُم بخيرها وبركتها..

فقريش الجاهلة قاومت النور لأنها أَلِفَتْ الظَّلام، وأَبَتْ العلم لأنه يقودها أبو الجهل، ورفضت التوحيد لأنها عشقت هُبل، فراحت تدبِّر أمرها للخلاص من فخرها، ولكن بعد محاولات كثيرة تيقنت أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله ممنوع بأمرين اثنين.

١- من السماء بجبرائيل؛ الذي يكرهونه لكره اليهود له..

٢- من الأرض بعمِّه عبد مناف أبو طالب عليه السلام ؛ ذلك العملاق الذي سخَّر حياته وكل ما لديه لخدمة وحماية فخر ولد آدم ابن أخيه وأحب الخلق إليه، ولذا ما إن أغمضَ عينيه عن هذه الدنيا

الإمام(عج)..

(١) (الأنعام: ١٢٤)

حتى اجتمعت قريش بقيادة الشيطان الرجيم ودبَّرت مكيدتها للتخلص من هذا النور الذي أضاء ظلامها وكاد أن يشرقَ الفجرُ فيها، وهم لا يريدون للفجر أن يأتي فيُصحِيهم من سكرتهم (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)[1]

وهنا ظَهَرَ الظَّهِيرُ القَويُّ، والفِدَائِيُّ الفَتِيُّ، شِبْلَ أَبِي طالب عليه السلام الأصغر عليٌّ عليه السلام الذي تربَّى في بيت النبي صلى الله عليه وآله منذ أن كان طفلاً كبيراً (وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ؛ وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْل، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْل)[2].

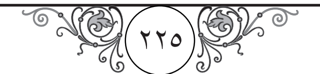
فقال له: يا علي نَمْ في مكاني، وبعد ثلاث إلحقْ بي بالفواطم إلى مدينة يثرب لنقيم دولة الحق المنتظرة على بركة الله تعالى..

يومها خسرت قريش وربحت يثرب، حيث إنتقل إليها النورُ، والعلمُ، والشَّرفُ، والدِّينُ مع هذا العظيم الذي اختاره الله سبحانه ليُخْرجهم من الظلمات إلى النور، ولكنه رفض دخول يثرب إلى أن يأتيَ وصيُّه وابنته الغالية دُرَّةُ الوجود وشرف الموجود، فاطمة الزهراء عليه السلام..

---

(١) (الحجر: ٧٢)

(٢) (نهج البلاغة: خ ١٩٢ القاصعة)



جاء عليٌّ عليه السلام ودخل ركب النور يثرب فتحولت إلى المدينة المنورة، وطيبة، بما غرس فيها من فضائل، وأضاء ليلها المظلم فسطعتْ شمسها، وأنبتتْ أرضها كل فضيلة، وقيمة، ومحبة، ولكن كان لوجود اليهود دوراً سلبياً جداً، إلا أنَّ القائدَ الحكيمُ استطاع أن يُحيِّدهم من البداية بوثيقةِ ومعاهدةِ العيشِ المشتركِ، وهي من أعظم وأقدم ما كُتِبَ في تاريخ البشرية، لو قدّرتها اليهود قَدْرها وأنّا لها ذلك وقد أدمنوا الغدر، والمكر، والفجور؟.

ولكن قريش الظالمة التي أخذت كل شيء من إرث وتراث بني هاشم الأكارم، وراح يخطر في عرصاتها متبختراً كلٌ من أبي الجهل، والوليد، والمغيرة وأمثالهم من جبابرة قريش، ولكن كان أشدُّهم فرحاً وجَذَلاً صخر بن حرب بن أمية أبو سفيان وزوجته هند الهنود آكلة الكُبُود..

وما أن توطَّد الحال في المدينة حتى راح الرسول القائد يحاول أن يحتكَّ بقريش الظالمة ليس ليقتصّ منها - وهو حقه المشروع - ولكن لعلهم يهتدون، ويصلهم النور ويخرجون من ظلمات الجهل وظُلَم الجاهلية، ولكن الأماني شيء والواقع شيء آخر قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَّ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[1]

ولشدَّة ما تأسف عليهم، قال له: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَّ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

(١) (القصص: ٥٦)

حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ)[1]

فاحتكَّ بهم في بدر الكبرى فكان عَليٌّ عليه السلام بطلها ونجمها الذي قتل نصف طغاتهم فيها..

وما إن رجعوا إلى المدينة منصورين مباركين حتى جاء الأمر من السماء (زوج النور من النور، علي من فاطمة)[2] لأن الباري زوَّجهم في البيت المعمور وبقي عليهم تنفيذه في الأرض.

تزوج النوران فامتزجا (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ)[3] وقبل الخروج إلى أُحُد كانت ولادة البُرعم الأول والسِّبط الأكبر الإمام الحسن المجتبى عليه السلام فكانت فرحة غامرة..

وخرج عليٌّ عليه السلام إلى أُحُد وهو يُكنَّى بأبي الحسن عليه السلام وهو الذي فتك ببني عبد الدار حملة لواء المشركين حيث قتل تسعة منهم واثنين من عبيدهم، وهو الذي صَمَدَ حين فرَّ الجميع عن رسول الله صلى الله عليه وآله الذي ضجت ملائكة السماء من عظيم مواساته وصبره وصموده وشجاعته ولذا قال جبرائيل عليه السلام: لَا فَتَى إِلَا عَلِيٌّ وَلَا سَيفَ إِلَا ذَا الفِقَار

وأما في يوم الأحزاب فقد كان نجمُها وصاحبُ نصرها بضربته التي

---

(١) (فاطر: ٨)

(٢) (بحار الأنوار: ج ٤٣ ص١٠٩)

(٣) (الرحمن: ٢٠)



كانت تَعدِلُ عبادة الثقلين، لأنها من يدِ الإيمان كله الذي برز إلى الشرك كله، فانتصر الإسلام بعلي الإيمان كما يؤكد عبد الله بن مسعود في قرأته: (وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ (بِعَلِيٍّ) وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا)[1]

يومها انقمعت قريش، وأُجليت آخر طوائف اليهود من المدينة فصارت المدينة واحة من النور وحديقة غنَّاء من كل الفضائل والقيم والآيات والأحكام والتشريعات، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام ذاك النَّجم الذي يرتفع على الثريا، ويسمو إلى درجات لا تدرك فهو الذي بنا الإسلام بذي فقاره، وأعطى الرسول القائد ذريَّته الطاهرة من كوثره فاطمة المطهرة الزكية، فصار (الحَسَنُ والحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّة)، فيصعدان على ظهره إذا سجد، ويرتفعان إليه في منبره إذا خطب، وكان يلاعبهما، ويحملهما كعدلين، ولا يسمح لأحد أن يؤذيهما بكلمة، أو نظرة لأنهما من ثمار الجنان خُلقا، وهما الإمتداد النوراني والرِّسالي لجدِّهما رسول الله صلى الله عليه وآله فكان يحبهما ويأمر بحبهما ولذا لا تجد لهما ذامّاً في أمته..

▯ عَلِيٌّ(ع) الْوَلِيُّ

الولاية العلوية هي أمر إلهي تكويني كان قبل تكوين هذا الكون على ما نصَّت به الروايات الشريفة التي تتحدَّث عن أول الخلق، وعالم الميثاق والنور والأظلة..

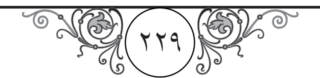
(١) (الأحزاب: ٢٥)

رَوَى اَلْخُوَارَزْمِيُّ فِي كِتَابِ اَلْمَنَاقِبِ، قَالَ: عَنْ عَبْدِ اَللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللهِ (صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): لَمَّا خَلَقَ اَللهُ آدَمَ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ عَطَسَ آدَمُ، فَقَالَ: اَلْحَمْدُ للهِ، فَقَالَ اَللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لَوْلاَ عَبْدَانِ أُرِيدُ أَنْ أَخْلُقَهُمَا فِي دَارِ اَلدُّنْيَا مَا خَلَقْتُكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، أَ يَكُونَانِ مِنِّي؟ قَالَ: نَعَمْ يَا آدَمُ، اِرْفَعْ رَأْسَكَ فَانْظُرْ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا عَلَى اَلْعَرْشِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اَللهُ، مُحَمَّدٌ نَبِيُّ اَلرَّحْمَةِ، وَعَلِيٌّ مُقِيمُ اَلْحُجَّةِ، مَنْ عَرَفَ حَقَّ عَلِيٍّ زَكَا وَطَابَ، وَمَنْ أَنْكَرَ حَقَّهُ لُعِنَ وَخَابَ، أَقْسَمْتُ بِعِزَّتِي أَنْ أُدْخِلَ اَلْجَنَّةَ مَنْ أَطَاعَهُ وَإِنْ عَصَانِي، وَأَنْ أُدْخِلَ اَلنَّارَ مَنْ عَصَاهُ وَإِنْ أَطَاعَنِي)[1]

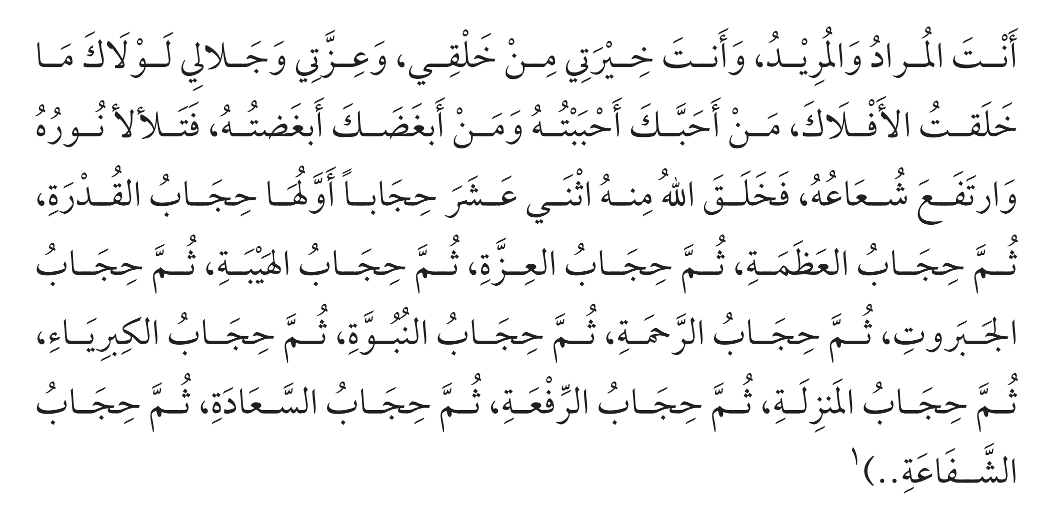
والرواياتُ في هذا الباب كثيرة وجميلة ورائعة ومتنوِّعة، وربما يجمعها الحديث القدسي: (يَا أَحْمَدُ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ، وَلَوْلَا عَلِي لَمَا خَلَقْتُكَ، وَلَوْلَا فَاطِمَة لَمَا خَلَقْتُكُمَا)

ويروي أبو الحسن البكري (العلامة المصري) في كتاب الأنوار: روي عن أمير المؤمنين أنه قال: كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ فَأَوَّلُ مَا خَلَقَ نُورَ حَبِيبِهِ مُحَمَّد (صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ) قَبْلَ خَلْقِ المَاءِ، وَالْعَرْشِ، وَالْكُرسِي، وَالسَّمَاوَاتِ، وَالْأَرْضِ، وَاللَّوحِ، وَالْقَلَمِ، وَالْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَآدَمَ وَحَوَّاءَ، بِأَربَعَةِ وَعِشْرِينَ وَأَربَعْمَائَةَ أَلْفَ عَامٍ، فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى نُورَ نَبِيِّنَا مُحَمَّد (صلى اللهُ عليهِ وآلِهِ) بَقِيَ أَلْفَ عَامٍ بَينَ يَدَي الله عزَّ وَجَلَّ وَاقِفاً يُسبِّحُهُ وَيَحْمُدُهُ وَالحَقُّ تَبَارَك وَتَعَالَى يَنظُرُ إليهِ، وَيَقُولُ: يَا عَبْدِي

(١) (المناقب للخوارزمي ص ٣١٨ ط قم. مائة منقبة: ١٠٦/ ٥٠، إرشاد القلوب: ٢٥٧، الفضائل لابن شاذان: ١٢٨ ؛ والخصال: ٥٨٣/ ٧ والأمالي للصدوق: ٧٥٦/ ١٠١٩)







أَنْتَ الْمُرادُ وَالْمُرِيْدُ، وَأَنتَ خِيْرَتِي مِنْ خَلْقِي، وَعِزَّتِي وَجَلالِي لَوْلَاكَ مَا خَلَقتُ الأَفْلَاكَ، مَنْ أَحَبَّكَ أَحْبَبْتُهُ وَمَنْ أَبغَضَكَ أَبغَضتُهُ، فَتَلألأ نُورُهُ وَارتَفَعَ شُعَاعُهُ، فَخَلَقَ اللهُ مِنهُ اثْنَي عَشَرَ حِجَاباً أَوَّلُهَا حِجَابُ القُدْرَةِ، ثُمَّ حِجَابُ العَظَمَةِ، ثُمَّ حِجَابُ العِزَّةِ، ثُمَّ حِجَابُ الهَيْبَةِ، ثُمَّ حِجَابُ الجَبَروتِ، ثُمَّ حِجَابُ الرَّحمَةِ، ثُمَّ حِجَابُ النُبُوَّةِ، ثُمَّ حِجَابُ الكِبرِيَاءِ، ثُمَّ حِجَابُ المَنزِلَةِ، ثُمَّ حِجَابُ الرِّفْعَةِ، ثُمَّ حِجَابُ السَّعَادَةِ، ثُمَّ حِجَابُ الشَّفَاعَةِ..)[1]

كان ذلك في عالم الأنوار، أو عالم الأشباح والأرواح، وأما في عالم الدنيا فالنبي تربَّى وعاش في حِمى وكفالة عمِّه أبي طالب عليه السلام، ولما تزوج وذهب إلى منزله أخذ عَلياً معه فعاش ودرج في بيت النبي صلى الله عليه وآله، فكان رفيقه، وأنيسه، وجليسه، ورجال مكة في الحانات وعند صاحبات الرايات يعبثون ويلهون سادرون في الغي والضلال..

وكان محمدٌ صلى الله عليه وآله في كل يوم يبني علياً جسدياً، ونفسياً، وروحياً (وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وليدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ... وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لي فِي كُلِّ يَوْم عَلَماً مِنْ أخْلاقِهِ، وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ)[2]

فربَّاه كل شبر بفكر، ونمّاه كل يوم بفضيلة، وغَذّاه بِحِكْمَةٍ، حتى صار

(١) (بحار الأنوار: ج ١٥ ص ٢٨)

(٢) (نهج البلاغة: خ ١٩٢ القاصعة)



معجـزة النبـي صـلى الله عليـه وآلـه البشريـة التـي تمـشي عـلى قدمـين، فلمحمـد صـلى الله عليـه وآلـه في الحقيقـة والواقـع معجزتـان (القـرآن الحكيـم، وعـليٌّ العظيـم) وعـلي قـرآن ناطـق.. ولـذا قال(عليـه السلام): (أنَـا الْحُجَّـةُ الْعُظْمَى، وَالآيَـةُ الْكُـبْرَى، وَالْمَثَـلُ الأَعْـلَى)[1]

وعنه(عليه السلام): (مَا للهِ نَبَأٌ أَعْظَمُ مِنِّي، وَمَا للهِ آيَةٌ أَكبَرُ مِنِّي)[2]

هــذا العمــلاق كان تحـت أنظـار قريـش منـذ أن أدركـت قصورهـا، وتقصيرهـا عـن أن تلحـق النبـي صـلى الله عليـه وآلـه بـأذى، فصبَّـت جـام حقدهـا وغضبهـا عـلى أبيـه سـيِّد البطحـاء أولاً، ثـم عليـه وهـو سـيِّد الأوصياء ورأس العـترة الطاهـرة، ولم تيـأس مـن خطتَّهـا ولكـن اسـتعملت كيـد اليهـود ومكرهـم، وسياسـة النَفَـس الطويـل لتصـلَ إلى مرادهـا التـي عـبَّرتْ عنـه هنـد الهنـود بعـد معركـة بـدر الكـبرى والفرقـان، حيـث قالـت لوحـشي وشـجَّعته لقتـل ثلاثـة (محمـد صـلى الله عليـه وآلـه، وعـلي عليـه السـلام، والحمـزة) فقتـل لهـا حمـزة يـوم أُحـد فأكلـت كبـده ومثَّلـتْ هـي وزوجُهـا أبـو سـفيان بـه[3]..

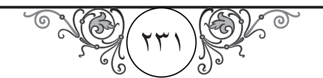
وقتلـت قريـش محمـداً صـلى الله عليـه وآله بعـد رزيَّة يـوم الخميـس وإصراره عـلى كتابـة الوصيـة المنقـذة.. ثـم تركـوه مُسـجًّى بـين أهلـه يبكونـه وذهبـوا إلى سـقيفة بنـي سـاعدة يتآمـرون عـلى خلافتـه ليُخرجوهـا مـن أهلـه المنكوبـين به، وينزعوهـا مـن معدنهـا حيـث غرسـها الله فيهـم.. وفعلـوا فِعلتهـم، وبايعـوا

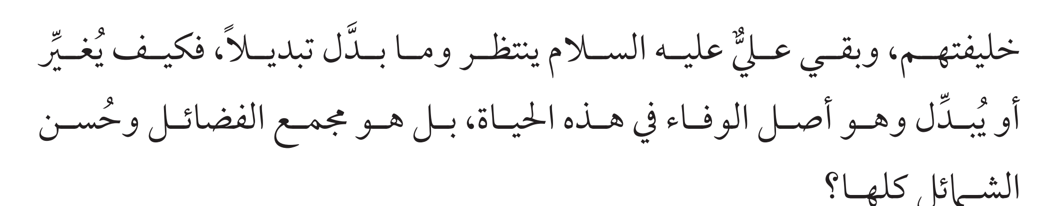
---

(١) (الأمالي للصدوق: ٩٢/ ٦٧ عن الأصبغ بن نباتة)

(٢) (تفسير القمّي: ٢/ ٤٠١، تأويل الآيات الظاهرة: ٢/ ٧٥٨/ ٢)

(٣) (بحار الأنوار: ج ٢٠ ص ٩٧، والأغاني لأبي الفرج: ج١٥ ص١٩٤)





خليفتهـم، وبقـي عـليٌّ عليـه السـلام ينتظـر ومـا بـدَّل تبديـلاً، فكيـف يُغـيِّر أو يُبـدِّل وهـو أصـل الوفـاء في هـذه الحيـاة، بـل هـو مجمـع الفضائـل وحُسـن الشـمائل كلهـا؟

ولكـن رجـال قريـش احتـاروا في أمرهـم فكيـف السـبيل إليـه وهـو الأسـد الخـادر في عرينـه لا يُقـارب، أو كيـف الوصـول إليـه وهـو أمنـع مـن عقـاب الجـو (يَنْحَـدِرُ عَنِّـي السَّـيْلُ، وَلا يَرْقَـى إِلَيَّ الطَّـيْرُ)[1]؟ وهـو النجـم الـذي لا يُطـال، يقول(عليـه السـلام): (كُنـتُ فِي أَيَّـامِ رَسُـولُ اللهَّ(صَـلى اللهّ عليـه وآلـه) كَجُـزءٍ مِـنْ رَسُـولُ اللهَّ(صَـلى اللهّ عليـه وآلـه)، يَنْظُـرُ إِلَيَّ النَّـاسُ كَـمَا يُنْظَـرُ إِلَى الْكَوَاكِـبِ فِي أُفُـقِ السَّـمَاءِ، ثُـمَّ غَـضَّ (أَنْقَـصَ) الدَّهـرُ مِنِّـي، فَقُـرِنَ بِي فُـلَانُ وَفُـلَانُ، ثُـمَّ قُرِنْـتُ بِخَمسَـةٍ أَمْثَلُهُـم عُثـمَانَ، فَقُلْـتُ: وَا ذَفْـرَاه!..)[2]

ويقول(عليـه السـلام): (لَقَـد قَبِـضَ رَسُـولُ اللهَّ(صَـلى اللهّ عليـه وآلـه) وَإِنَّ رَأسَـهُ لَعَـلَى صَـدْرِي، وَلَقَـد سَـالَتْ نَفْسُـهُ فِي كَفِّـي، فَأَمْرَرْتُهَـا عَـلَى وَجْهِـي، وَلَقَـدْ وَلِيـتُ غُسْـلَهُ(صَلى اللهّ عليـه وآلـه) وَالْمَلَائِكَـةُ أَعْـوَانِي، فَضَجَّـتْ الـدَّارُ وَالْأَفْنِيَـةُ؛ مَـلأٌ يَهْبِـطُ، وَمَـلأٌ يَعْـرِجُ، وَمَـا فَارَقَـتْ سَـمْعِي هَيْنَمَـةٍ مِنهُـم، يُصَلُّـونَ عَلَيـهِ حَتَـى وَارَينَـاهُ فِي ضَرِيحِـهِ.. فَمَـنْ ذَا أَحَـقُّ بِـهِ مِنِّـي حَيَّـاً وَمَيِّتَـاً؟)[3]

وذلـك لأن الإمـام عليّ(عليـه السـلام) مـن رسـول الله: (أَنَـا مِـنْ رَسُـولِ اللهَّ(صـلى اللهّ عليـه وآلـه) كَالْعَضُـدِ مِـنَ الْمَنْكَـبِ، وَكَالْـذِّرَاعِ مِـنَ الْعَضُـدِ،

(١) (نهج البلاغة: خ٣ الشقشقيقية)

(٢) (شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣٢٦/ ٧٣٣)

(٣) (نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧، غرر الحكم: ١٠١٤٥)

وَكَالكَـفِّ مِـنَ الـذِّرَاعِ، رَبَّـانِي صَغِـيرَاً، وَآخَـانِي كَبِـيرَاً)[1]

أو قولـه: (أَنَـا مِـنْ رَسُـولِ اللهَّ كَالضَّـوءِ مِـنَ الْضَّوءِ(كَالصِّنـوِ مِـنَ الصِّنـوِ)، وَالـذِّرَاعِ مِـنَ العَضُـدِ)[2]

أو قولـه عليـه السلام: (أَنَـا مِـنْ أَحْمَـدَ كَالضَّـوءِ مِـنَ الضَّـوءِ)[3](أَو كَحِـسِّ النَّفْـسِ بالنَّفْـسِ وَكَشُـعَاعِ الشَّـمسِ مِـنَ القِـرصِ) هكـذا كان أمـير المؤمنـين مـن رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه روح ونـور واحـد في جسـدين..

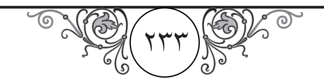
ورغـم ذلـك كانـت الخُطـة تقتـضي؛ أن تُقصيـه عـن دوره، ومكانـه، وولايتـه لابـن عمِّـه رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه بـأيِّ طريقـة، وبـأيِّ أسـلوب وعـلى هـذا اتَّفـق رجـالُ قريـش وملؤُهـا بقيَّـة الأحـزاب، وتصـدَّى لذلـك الأبعَـدون كابـن أبي قحافـة، ولكـن بقيـادة وتوجيـه مـن الأمويـين.. ولـذا تراهـا بعـد عقـد مـن الزمـن وصلـت إلى بنـي أميـة وهـم شرُّ الخلـق والخليقـة، وأبغـض الأحيـاء إلى رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه، فعَـنْ عَبْـدِ اللهَّ بْـنِ الزُّبَـيْرِ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهَّ (صـلى الله عليـه وآلـه): (وَشَرُّ قَبَائِـلِ الْعَـرَبِ: بَنُـو أُمَيَّـةَ، وَبَنُـو حَنِيفَـةَ، وَثَقِيـفٌ)[4]، وعـن أبي بـرزة، قـال: (كَانَ أَبْغَـضُ الْأَحْيَـاءِ - أَوْ الْنَّـاسِ-

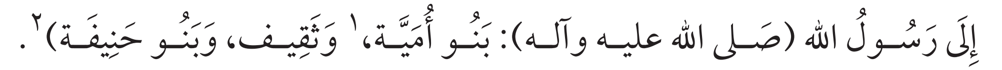
(١) (شرح نهج البلاغة: ٢٠/ ٣١٥/ ٦٢٥)

(٢) (نهج البلاغة: الكتاب ٤٥)

(٣) (الأمالي للصدوق: ٦٠٤/ ٨٤٠، بشارة المصطفى: ١٩١، روضة الواعظين: ١٤٢)

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٦/ ١٩١، رقم ٣٠٥٩٠)، وابن عدى (٦/ ١٧٣، ترجمة ١٦٥٧ محمد بن الحسن بن الزبير الأسدى)، وقال: حدث عنه الثقات من الناس ولم أر بحديثه بأسا. وأخرجه أيضًا: أبو يعلى (١٢/ ١٩٧، رقم ٦٨٢٠)



إِلَى رَسُولُ اللهِ (صَلى الله عليه وآله): بَنُو أُمَيَّة،[1] وَثَقِيف، وَبَنُو حَنِيفَة)[2].

والمتتبع للتاريخ الإسلامي، وحتى القارئ العادي له يجد أن الإمام عليٌّ عليه السلام هو الأجدر بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده، ولكن رجال قريش قالوا: (لَا تَجْتَمِعُ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فِي بَنِي هَاشِم أَبَدَاً)[3]، فحاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله جُهدهم طيلة عشرين سنة، ورضخوا للنبوة مقهورين بعد الفتح، ولكن قطفوا كل الثمار، واستأثروا بكل المكتسبات التي حققها الرسول صلى الله عليه وآله، وصادروا الأموال المنقولة، وغير المنقولة من أهل بيته، كأول إجراء لهم ليشغلوا سيِّدهم عليه السلام بلُقمة العيش ولا يُفكر إلا بطعام نفسه، وعياله وكأن (الترامب) كان يقودهم..

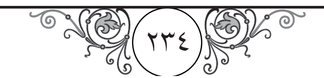
أعلنوها حرباً على أهل البيت عليه السلام ولكن باسم الإسلام،[4] وبأحاديث رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله فتذرَّعوا بأقوال الرَّسول

(١) أخرج البخاري في تاريخه و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه عن عمر بن الخطاب في قوله: (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة و بنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، و أما بنو أمية فمتعوا إلى حين.

(٢) اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد: ج٨ ص٢٨ باب ١٩ ح ٧٥٢٢، رواه أبو يعلى الموصلي وأحمد بن حنبل والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) بحار الانوار / جزء ٣٦ / صفحة [١٥٧] عن بريدة الأسلمي أن النبي صلى الله عليه وآله قال لبعض أصحابه: (سلموا على علي بإمرة المؤمنين)، فقال رجل من القوم: لا والله لا تجتمع النبوة والخلافة في أهل بيت أبدا)..

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام: (وَلُبِسَ الِإسْلامُ لُبْسَ الفَرْوِ مَقْلُوباً) نهج البلاغة: خ ١٠٧)



ليُقصوا آله عن المكان الذي وضعهم الله ورسوله فيه، لا سيما الذي بايعوه طائعين غير مكرهين جميعاً، وكل المسلمين بعد حَجَّة الوداع في وادي غدير خم وبقوا ثلاثة أيام يبايعونه حتى بايعته النساء وقال له زعيمهم: (بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِب أَصْبَحتَ مَولَايَ وَمَولَى كُلْ مُسْلِم)[1]..

وعبد الله بن عباس، قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخذ عليهم الميثاق لأمير المؤمنين (عليه السلام) مرتين: الأُولى حين قال: أَتَدْرُونَ مَنْ وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: صَالِحُ المُؤمِنين - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عَلِيِّ بنَ أَبِي طَالِب (عليه السلام) - وَقَالَ: هَذَا وَلِيُّكُمْ مِنْ بَعْدِي..

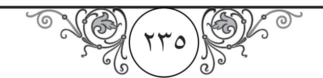
والثانية يوم غدير خم، يقول: مَنْ كُنْتُ مَولَاهُ فَعَلِيٌّ مَولَاه، وكانوا قد أسروا في أنفسهم وتعاقدوا أن لا يرجع إلى آل محمد هذا الأمر، ولا يُعطوهم الخُمُس، فأطلع الله نبيه (صلى الله عليه وآله) على أمرهم، وأنزل عليه هذه الآية،[2] (أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ)[3]

---

(١) (لقد أورد العلّامة الأميني (رحمه الله) هذه الروايات الثلاثة بتفاصيلها في الجزء الأوّل من كتابه «الغدير» في الصفحات ٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢ كما ورد في كتاب «إحقاق الحق» في الجزء السادس والصفحة ٣٥٣ أن نزول الآية كان في حادثه غدير خم نقلا عن أبي هريرة من طريقين، كما نقلها عن أبي سعيد الخدري من عدة طرق).

(٢) (بحار الأنوار: ج ٣٦ / ص ١٥٨)

(٣) (الزخرف: ٧٩)



نعم، هو مولاهم، ووليهم، وواليهم، ولكن لا سُلطة له عليهم، ولا حُكم، فهم الخلفاء لأن ابن عمِّه الرَّسول، قال: (الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش)[1]، وقال: (النَّاسُ مَع قُرَيْش وَقُرَيش أَئِمَّةُ الْعَرَب)، وقال: (لَا تَسُبُّوا قُرَيْشَاً)، وقال: (مَنْ أَبْغَضَ قُرَيْشَاً أَبْغَضَهُ اللهُ)، وقال: (مَنْ أَرَادَ هَوَانَ قُرَيْش أَهَانَهُ اللهُ)، وغيرها كثير من الروايات التي تفخِّم قريش وقريش هو قصي بن كلاب أو جَدُّه.

ولكن ألم يكن أهل البيت الأطهار عليه السلام من قريش؟

ألم يكن علي بن أبي طالب عليه السلام سيِّد العترة من عَلْيَاءِ قريش؟ فلماذا سبُّوا أهل البيت وسيِّدهم على المنابر لأكثر من أربعين سنة، ألا تشملهم تلك الأحاديث الشريفة؟

نعم؛ سمعوها وعرفوها جيداً وحتى هذا الحديث اقتطعوه واتخذوه عِضين كما كانوا يفعلون بآيات رب العالمين، فأخذوا الصَّدر وتركوا بقية الحديث: (الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْش؛ غُرِسُوا فِي هذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِم، لاَ تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ)[2]

فالسُلطة القرشية احتجت على الأنصار في السقيفة المشؤومة بالقُرشية، فأعطتهم الأنصار قيادها في غفلة منها كلَّفتها كثيراً في وقعة الحَرَّة، وجاؤوا جميعاً إلى بيت عليٍّ عليه السلام يطلبون منه البَيعة، وعندما أبى

(١) (جمع الحافظ ابن حجر طرقه في كتاب (لذّة العيش بجمع طرق حديث الأئمّة من قريش)

(٢) (نهج البلاغة: خ١٤٤)

الرُّضوخ جاؤوا بالحَطَبِ الجَذْلِ، والحقد القديم وأرادوا أن يحرقوا البيت عليهم، وتصدَّت لهم لبوةُ الرسول صلى الله عليه وآله لأن في البيت أسد خادر بالوصية مقيد، وأشبالٌ تتوسَّد، فكانت أولُ شهيدة لسلطة قريش العتيدة، روحي فداها ولهفي لمعرفة قبرها وثراها..

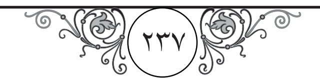
هكذا بنا الإمام علي عليه السلام صرح الدِّين بسيفه ذي الفقار مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ولما قويَ واستكمل البنيان جاء الملأ من قريش واستوطنوا المكان، وسكنوا وتمكَّنوا فيه وطردوا أهله منه عنوة وقوة، وجهاراً نهاراً، ولذا كان يشكو متأسفاً، ويقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْش، فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي، وَقَالُوا: أَلاَ إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ، وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً، أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً)[1]

والباني لا يهدم، والذي يربِّي لا يقتل، والذي يغرس لا يقلع، ولا يقطع لأنه هو الذي تعب وشقي، وجُرح، وجاهد في سبيل إكمال الدِّين، وتمام الرِّسالة، كما قال تعالى يوم غدير خم: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا)[2]

فأكمل الدِّين بالولاية، وأتمَّ النِّعمة بالإمامة، وأخذهم جميعاً بالبَيعة، ولكن نكثوا بيعتهم، وخانوا أمانتهم، واحتلوا الدِّين ببغيهم وأقصوا الأمير عن إمارته فراح يعمل في البساتين ليأكل ويُطعم أهله وأطفاله

(١) (نهج البلاغة: خ٢١٧)

(٢) (المائدة: ٣)



لمدة ربع قرن من الزمن، وا لهفَ نفسي عليه..

فتعاوروها، وتداولوها بينهم من تَيمٍ، إلى عَدِي، إلى أن وصلت إلى البيت الأموي الذي لا حقَّ لهم فيها، ولا تجوز لهم، لأن النبي صلى الله عليه وآله أخرجهم، ورب العالمين أبعدهم، قال تعالى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا)[1]

يروي ابن نما إن الإمام الحسين عليه السلام، قال لمروان: (إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بُلِيَتْ الأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثلَ يَزِيدَ، وَلَقَد سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) يقولُ: الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سُفيَانَ)[2]، فغضب مروان بن الحكم من كلام الحسين، ثم قال: والله! لا تفارقني، أو تبايع ليزيد بن معاوية صاغراً، فإنكم آل أبي تراب قد ملئتم كلاماً وأشربتم بغض آل بني سفيان، وحقَّ عليكم أن تبغضوهم، وحق عليهم أن يبغضوكم.

فقال له الحسين (عليه السلام): (وَيْلَكَ يَا مَروَانَ! إِلَيكَ عَنِّي فَإِنَّكَ رِجْسٌ، وَإِنَّا أَهلُ بَيتِ الطَّهَارَةِ الْذِينَ أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله)، فَقَالَ: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)[3]، فنكّس مروان رأسه لا ينطق بشيءٍ، فقال له

(١) (الإسراء: ٦٠)

(٢) (الفتوح لابن الأعثم: ج ٥: ١٧، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي ١: ١٨٤)

(٣) (الأحزاب: ٣٣)

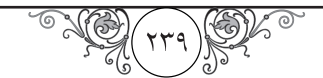
الحسين (عليه السلام): (أَبْشِرْ يَا ابنَ الزَّرْقَاءَ بِكُلِ مَا تَكْرَه مِنْ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وآله) يَومَ تُقْدِم عَلَى رَبِّكَ فَيَسْأَلُكَ جَدِّي عَنْ حَقِّي وَحَقَّ يَزِيد)[1].

فغباء رجالات السلطة من قريش أوصلوها إلى أبناء الشجرة الملعونة في القرآن، وليس ذلك فقط بل تسافلوا أكثر لأنها وصلت إلى الأوزاغ أبناء الحكم، الملعون المطرود من المدينة وولده (خيطُ باطل)[2] مروان (الوَزْغُ بنُ الوَزغ، المَلعُونُ بنُ المَلعُون)[3] عليه اللعنة وعلى مَنْ يخرج من صلبه إلى قيام يوم الدِّين برواية معاوية نفسه، وروى في المعجم الكبير عن أبي قبيل: إنّ ابن موهب أخبره أنّه كان عند معاوية بن أبي سفيان، فدخل عليه مروان، فكلّمه في حوائجه، فقال: اقضِ حاجتي يا أمير (المواطنين)، فوَاللهَّ إنّ مؤنتي لعظيمة، إنّي أصبحتُ أبا عشرة، وأخا عشرة، وعمّ عشرة، فلمّا أدبرَ مروان، وابن عبّاس جالس مع معاوية على سريره،

(١) (الفتوح لابن الأعثم: ج ٥: ١٨، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: ج ١: ١٨٥)

(٢) (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص١٥١) الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٧، الاستيعاب: ٣/ ٤٤٤/ ٢٣٩٩

(٣) (وروى الحاكم (٥) في المستدرك عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال: كان لا يولد لأحد مولود إلا أتى به النبي (صلى الله عليه وآله) فيدعو له، فادخل عليه مروان بن الحكم فقال: (هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون)، ثم قال: صحيح الإسناد) ثم روى عن عمرو بن مرة الجهني - وكانت له صحبة - أن الحكم بن أبي العاص استأذن على النبي (صلى الله عليه وآله) فعرف صوته فقال: (ائذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم، يسرفون في الدنيا ويضيعون في الآخرة، ذوومكر وخديعة)



فقال معاوية: أنشدك اللهَّ يابن عبّاس، أما تعلم أنّ رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) قال: (إذَا بَلَغَ بَنُو الحَكَم ثَلاثِينَ رَجُلاً اتّخَذُوا مَالَ اللهَّ بَينَهُم دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَكِتَابَهُ دَغَلاً، فَإذا بَلَغُوا تِسعَةً وَتِسعينَ وَأربَعُمَائَة كَانَ هَلاكُهُم أَسرَعُ مِنْ لَوْكِ تَمْرَة)؟ قال ابن عبّاس: أللهمّ نعم؛ قال معاوية: أنشدُكَ اللهَّ يابن عبّاس، أما تعلم أنّ رسول اللهَّ(صلى اللهّ عليه وآله) ذكر هذا، فقال: أَبُو الجَبَابِرَة الأَربَعَة؟ قال ابن عبّاس: أللهمّ نعم)[1].

ويصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (أمَا إنَّ لَهُ إمْرَةً كَلَعْقَةِ الكَلْبِ أَنفَهُ، وَهوَ أَبو الأَكبُش الأربَعَة،[2] وَسَتَلقَى الأُمَّةَ مِنهُ وَمِنْ وِلْدِهِ يَوْمَاً أَحمَرَ)[3].

وعنه(عليه السلام) لمروان بن الحكم يوم الجمل وقد بايعه: (يابْنَ الحَكَمْ، فَلَقَد كُنتَ تَخَافُ أنْ يَقَعَ رَأسُكَ فِي هَذِهِ البُقعَةِ؟! كَلّا أَبَى اللهُّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ حَتَى يَخرُجَ مِن صِلبِكَ طَوَاغِيتُ يَملِكُونَ هَذِهِ الرَّعِيَّة)[4].

وعنه عليه السلام: (لَيَحمِلَنَّ رَايَةَ ضَلالَةٍ بَعدَمَا يَشِيبُ صَدغَاهُ، وَلَهُ

(١) (المستدرك على الصحيحين: ٤/ ٥٢٧/ ٨٤٨١، مسند أبي يعلى: ٦/ ٦٣/ ٦٤٣٠، مقتل الحسين للخوارزمي: ج١ ص١٧٣، سير أعلام النبلاء: ٢/ ١٠٨/ ١٤)

(٢) (الأكْبُش الأربعة بنو عبدالملك؛ الوليد، وسليمان، ويزيد، وهشام، ولم يلِ الخلافة من بني أُميّة ولا من غيرهم أربعة إخوة إلّا هؤلاء (شرح نهج البلاغة: ٦/ ١٤٧).

(٣) (نهج البلاغة: الخطبة ٧٣؛ ربيع الأبرار: ٤/ ٢٤٢، تذكرة الخواصّ: ٧٨)

(٤) (إرشاد القلوب: ٢٧٧، مشارق أنوار اليقين: ٧٦ والخرائج والجرائح: ١/ ١٩٧/ ٣٥)

إِمْـرَةٌ كَلحْسَـةِ الكَلْـبِ أَنْفَـهُ)[1]

هـذا الـوزغ الملعـون صـار أمـيراً للمواطنـين، فـأي سـفالة هـذه وأي غبـاء ارتكبتـه السـلطة القرشـية؟

هـذا التسـافل والتهـاوي في الأمـة، كان الوحيـد الخبـير، والعـالم، والمطَّلـع عليـه هـو أمـير المؤمنـين الإمـام عـلي عليـه السـلام ولكـن مـا الحيلـة في أمـة جعلـت قدوتهـا بنـي إسرائيـل شـبراً بشـبر وذراعـاً بـذراع؟.

قـال رسـول الله فيـما رواه الفريقـان: (وَالْـذِي نَفـسِي بِيَـدِهِ لَتَرَكَبُـنَّ سُـنَنَ مَـنْ كَانَ قَبلَكُـم حَـذوَ النَّعـلِ بِالنَّعـلِ، وَالقَـذَّةِ بِالقَـذَّةِ،[2] لَا تُخْطِئُـونَ طَرِيَقَهُـم، وَلَا يُخطِئَكُـم سُـنَنُ بَنِـي إِسرَائِيـل)[3].

وبنظـرة فاحصـة، ولمحـة لواقعنـا المعـاصر نجـد كـم هـو التسـافل الـذي لم يبـقَ أسـفل منـه، وربـما وصـل بنـا الأمـر إلى أدنـى الأرض، وأدنـى الأخـلاق، والقيمـة، وحتـى الإنسـانية، فـما رأيـك في واقعنـا المـذري، وعصرنـا الرقمـي، والحضـارة تطـرق بـاب المريـخ علـواً، وتفـك الجينـوم البـشري دقَّـةً، ونحـن نقتـلُ بعضنـا بعضـاً عيانـاً، وينحـر القـوي الضعيـف ويفتخـر بذلـك أيضـاً، ويقتـلُ الأخ أخـاه، والأعجـب الأغـرب أن يذبـح الولـد أمَّـه أمـام كامـرات العـالم وهـو يهلـل ويكـبر كـما حصـل في الرَّقـة السـورية، لأنهـا مشركـة وهـو

---

(١) (الطبقات الكبرى: ٥/ ٤٣، تاريخ دمشق: ٥٧/ ٢٦٣)

(٢) (قال الميداني: «حَذْو القُذَّةِ بالقُذَّة» أي مثلًا بمِثل؛ يضرب في التسوية بين الشيئين (مجمع الأمثال: ١/ ٣٤٧/ ١٠٣٠)

(٣) (تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٢ ص٦١ بحث روائي)



مؤمن بأبي بكر البغدادي.؟

هذا التسافل في الأمة جعل برنارليفي اليهودي المتطرف قائداً للربيع العِبْري، وصار الحاخام أدرعي يقف على رُبى الجولان ويُفتي للعرب والسوريين، ضد السوريين، اللبنانيين، والعراقيين، والإيرانيين، ويدمِّر البلاد والعباد لنشر الحرية والديمقراطية الغربية، والحياة الأمريكية الإسرائيلية بين أبناء الأمة، والأمة تصدقه وتكذِّب نفسها وأهل الصلاح فيها..

كما أنهم أحدثوا جامعة إسلامية في تل أبيب لتُخرِّجَ الدُّعاة والمفتين كما في ليبيا، والقادة كالزرقاوي وأمثاله، حيث جاء إلى هذا البلد الطيب، بلد علي والحسين عليه السلام اليهودي(سايمون إليوت أو إليوت شيمون، أو شمعون) مندوباً من الموساد لكي يُعلن نفسه أميراً للمواطنين باسم أبو بكر البغدادي كما فضحه الأمريكان أنفسهم[1]..

فالواقع السياسي المذري الذي نعيشه اليوم، والفتنة التي نصطلي بنارها، ما هي إلا نتيجة طبيعية لسلوك السلطة القرشية التي أبعدت، ثم أقصَت أهل القضية، وأهل الرِّسالة، وأهل القرآن، أهل البيت الأطهار عليه السلام الذين جعلهم الله جعلاً أئمةً، واختارهم الله على علم على العالمين، وعيَّنهم أئمة للخلق أجمعين، فحَرَفَتْ المسار حيث اختارت لنفسها وظن رجلها أنهم وفِّقوا بما فعلوا، ولكن لقصر نظره، وقلَّة علمه، قال ذلك وليته يعود ليرى ماذا حلَّ بالأمة الإسلامية بفعلته

(١) مواقع كثيرة على الشبكة العنكبوتية تبين ذلك..

الشنيعة، ومنعه رسول الله صلى الله عليه وآله بفظاظته من كتابة الوصية يوم الخميس..

فمن أبي بكر القرشي - وما هو بقرشي - إلى أبي بكر البغدادي - وما هو بغدادي - والأمة يتلاعب بها اليهود كما يتلاعبون بالكرة، كما قال لهم أبو سفيان يوم تمَّ تنصيبُ عثمان الأموي من قبل قريش: (يا عثمان، إنّ الأمر أمر عالميّة، والملك ملك جاهليّة، فاجعل أوتاد الأرض بني اُميّة)[1]، وقال: (يا بني اُميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، فوَالذي يحلف به أبو سفيان(فما هناك جنّة ولا نار)، ما زلتُ أرجوها لكم، ولتصيرنَّ إلى صبيانكم وراثةً)[2]

نعم؛ جعل عثمان أوتاد الأرض - كما أمره سيِّد أهله أبو سفيان - وحكامها من بني أمية ولكن النتيجة الطبيعية هو ما نعيشه اليوم من مأساة حقيقية على كل المستويات الحياتية، حتى طمع فيها الأبعد فصار السلطان عبد الحميد قديماً وأردغان حديثاً يُطالب بالخلافة ويريد أن يكون أميرٌ للمواطنين، وأين هؤلاء من قريش، والدِّين، والإسلام العظيم؟.

السلطة القرشية الجاهلية (الذي كان يحلف بآلهتها أبو سفيان) رضخت

(١) (الأغاني: ٦/ ٣٧٠، تاريخ دمشق: ٢٣/ ٤٧١ وفيه:(اللهمّ اجعل الأمر أمر جاهليّة، والملك ملك غاصبيّة، واجعل أوتاد الأرض لبني اُميّة)

(٢) (مروج الذهب: ٢/ ٣٥١ تاريخ الطبري: ١٠/ ٥٧، الاستيعاب: ٤/ ٢٤١/ ٣٠٣٥ وفيهما ذيله، شرح نهج البلاغة: ١٥/ ١٧٥/ ٢٧)



وخضعت للأمر الواقع بعد أن كسر شوكتهم رسول الله صلى الله عليه وآله بيمينه الإمام علي عليه السلام وذا فقاره فنطقت بالشهادة مكرهة كما اعترف سيدها أبو سفيان يوم جاء به العباس بخفيَةٍ على بغلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: (يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأنِ لَكَ أَنْ تعلَمَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلاّ اللهّ؟

فقال: بأبي أنت وأمّي ما أوصلك، وأكرمك، وأرحمك، وأحلمك، واللهّ لقد ظننتُ أنْ لو كان معه إله لأغنى يوم بدر و يوم أحد..

فقال صلى الله عليه وآله: وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَلَمْ يَأنِ لَكَ أَنْ تَعلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِّ؟

فقال: بأبي أنت وأمّي أمّا هذه فإنّ في النفس منها شيئاً، قال العبّاس: فقلتُ له: ويحك اشهد بشهادة الحقّ قبل أن يضربَ عنقك، فتشهّد(مكرها مجبوراً مقهوراً مرغماً)..

فقال (صلى الله عليه وآله) للعباس: انْصَرِفْ يَا عَبَاسَ فَاحْبِسْهُ عِنْدَ مَضِيقِ الوَادِي حَتَى تَمُرَّ عَلَيهِ جُنُودُ الله؛ قال: فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي، ومرَّ عليه القبائل قبيلَة قبيلة وهو يقول: مَنْ هؤلاء، وأقول أسلم، وجهينة، وفلان حتى مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرى منهم إلا الحُدُق فقال: مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل؟ قلتُ: هذا رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المهاجرين والأنصار، فقال: يا أبا الفضل لقد أصبح ملك

ابن أخيك عظيماً! فقلت: ويحك إنها النبوة، فقال: نعم إذا)[1] فالرجل لا يعرف معنى في حياته إلا الملك، فلا نبوة ولا جنة ولا نار ولا حساب ولا عقاب، فهذه مفاهيم لا يُدركها لأنه لا يُؤمن إلا بهُبل واللآت والعُزى ومناة الثالثة الأخرى..

فأقرُّوا بالشهادة الأولى والثانية ليحقنوا دماءهم، ويدخلوا في الأمة قهراً فيكون لهم ما لها وعليهم ما عليها، ولكن الشهادة الثالثة كانت هي المعضلة التي قصمت ظهر قريش فلا قرّت ولا استقرت، ولم يشهدوا بها أبداً.. فعن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جدّه (عليهم السّلام): أنّ رسول اللهّ (صلّى اللهّ عليه وآله)، قال لعليٍّ (عليه السّلام): أَنْتَ الَّذِي احْتَجَّ اللهُّ بِكَ فِي ابْتِدَائِهِ الخَلْقَ حَيثُ أَقَامَهُم أَشْبَاحاً، فَقَالَ لَهُم: أَلَسْتُ بِرَبِّكُم؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهّ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: وَعَلِيٌّ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ؟ فَأَبَى الخَلْقُ جَمِيعاً اسْتِكْبَاراً وَعَتُوّاً عَنْ وِلَايَتِكَ إِلَّا نَفَرٌ قَلِيلٌ، وَهُم أَقَلُّ القَلِيلِ وَهُم أَصْحَابُ اليَمِينِ)[2].

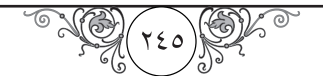
ولذا أخرجهم الباري من دائرة الإيمان الضيقة إلى دائرة الإسلام الواسعة: (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)[3]

---

(١) (تفسير مجمع البيان للطبرسي: ج١٠ ص٤٢٢، بحار الأنوار: ج ٢١ ص١٠٤، السيرة لابن هشام: ج ٢ص ٤٠٣)

(٢) (بحار الأنوار: ج ٢٤ ص٢، آمالي الشيخ: ١٤٦. اليقين: ٨٠)

(٣) (الحجرات: ١٤)



فلم يدخل الإيمان (وهو علي بن أبي طالب عليه السلام) كما في قول رسول الله صلى الله عليه وآله له في غزوة الأحزاب، وذلك عند مبارزته(عليه السلام) عمراً: (بَرَزَ الْإِيْمَانُ كَلُّهُ إِلَى الْشِّرْكِ كُلِّهِ)[1]

وقال عنه صلى اللهّ عليه وآله: (لَمُبَارَزَةُ عَلِيٍّ بنُ أَبِي طَالِب لِعَمرو بنِ عَبدِ وِدِّ يَومَ الْخَنْدَق أَفْضَلُ مِنْ أَعمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَومِ القِيَامَةِ)[2]، وقال عنه(صلى اللهّ عليه وآله) يومها: (لَضربَةُ عَلِيٍّ لِعَمروٍ يَومَ الخَندَق تَعْدِلُ عِبَادَةَ الثَّقَلَين)[3]

هذا كان يوم، ومبارزة، وضربة من أمير المؤمنين عليه السلام فما بلك بستين سنة ليلها ونهارها كان في سبيل الله، وخدمة لدين الله، وكتابه القرآن الحكيم، فأين الآخرين من ذلك كله؟

ورجال السلطة القرشية شهدوا ذلك وسمعوه بآذانهم، وبايعوه بأيمانهم ولكن أبت قلوبهم ونفوسهم إلا أن يشهدوا للرسول بالرسالة لأن فيها مصلحة لهم وأبوا أن يشهدوا لأميرهم بالشهادة الثالثة، وهذا واقع الأمة يشهد لهم بذلك، ومآسيها ومصائبها كلها من ذلك..

(١) (كنز الفوائد: ١/ ٢٩٧، الطرائف: ٣٥، إرشاد القلوب: ٢٤٤، تأويل الآيات الظاهرة: ٢/ ٤٥١/ ١١ عن حذيفة، عوالي اللآلي: ٤/ ٨٨/ ١١٣ وفيه «الكفر» بدل «الشرك»؛ شرح نهج البلاغة: ١٩/ ٦١)

(٢) (المستدرك على الصحيحين: ٣/ ٣٤/ ٤٣٢٧، تاريخ بغداد: ١٣/ ١٩/ ٦٩٧٨، شواهد التنزيل: ٢/ ١٤/ ٦٣٦، المناقب للخوارزمي: ١٠٧/ ١١٢، الفردوس: ٣/ ٤٥٥/ ٥٤٠٦، وينابيع المودّة: ١/ ٤١٢/ ٥؛ إرشاد القلوب: ٢٤٥)

(٣) (عوالي اللآلي: ٤/ ٨٦/ ١٠٢)

مِسْكُ الْخِتَامِ: فِكْرُ وَثَقَافَةُ الْغَدِيرِ

الغدير - في الحقيقة - جوهرة الفكر الإسلامي، ودُرَّةُ العقيدة الإلهية..

وذلك لأن إظهار مسألة الولاية العظمى في يوم ١٨ ذي الحجة في منطقة غدير خم هي بلورة لتلك المسألة التي تعتبر القمَّة للقيمة، والفضيلة، والعدالة في الحياة برمَّتها..

في الغدير تبلورت مسألة القيادة والسيادة..

في الغدير توضَّحت قضية الهداية والولاية..

في الغدير تبيَّنت الأمة قيادتها وسياستها وبايعت على السَّمع والطاعة، وأولهم بخ بخ للأمير عليه السلام ومَنْ أبى جاءه حجرٌ من سجيل رمته بها الأبابيل، وبذلك عصم الله رسوله من الناس كما وعده في الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[1]

فالغدير - أيها الكرام - مسألة في غاية الأهمية إذ أنها بلورت، واختصرت، وتضمَّنت خلاصة رسالات السماء من آدم، وحتى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله..

في الغدير تلبى طلب إبراهيم الخليل عليه السلام بالولاية: (قَالَ: وَمِنْ ذُرِّيَّتِي)[2]..

(١) (المائدة: ٦٧)

(٢) (البقرة: ١٢٤)



وفيه بشَّر موسى الكليم، وعيسى المسيح عليه السلام وبلِّغ الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله بعد أن أخذ الضمان بالعصمة من الناس، المنافقين، والمرجفين، والموتورين في بدر وخيبر وحُنين..

فالغدير؛ هو الحق الصُّراح، الذي لا باطل فيه..

الغدير؛ هو العدل والقسط، الذي ينفي الظلم والجور..

الغدير؛ هو القرآن والدِّين، في أجلى وأتقى وأنقى ما يُتصور..

الغدير؛ هو الإسلام العظيم، بكل تشريعاته، وأحكامه، وبكل عباداته، وقيمه، وأخلاقه..

الغدير؛ تأصيل لكل أصيل في هذه الحياة..

الغدير؛ فكر مسؤول، وعقل مجبول بأنوار الوحي..

فالغدير؛ خلاصة رسالات السماء لأهل الأرض.. وفيه تبلور الحق، والعدل، والدِّين، ولذا تراه مرَّاً لا يحتمله إلا نبي مرسل، أو ملك مقرب، أو رجل امتحن الله قلبه للإيمان..

فالغدير؛ فكر وعقيدة، وقرآن وسُنَّة، ولذا اجتمعت عليه شياطين الإنس والجن لتغييبه وطمسه عن هذه الحياة الدنيا.. والغدير مسألة المسائل وأم المشاكل وربما يصدق قول القائل (الشهرستاني): (مَا سُلَّ سَيْفٌ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قَاعِدَةٍ دِينِيَّةٍ مِثْلَ مَا سُلَّ عَلَى الْإِمَامَةِ)[1].

(١) (الملل والنحل للشهرستاني: ج ١ ص ٣٠)

فـما أحوجنـا لثقافـة الغديـر، وفكـر وعلـم الأمـير في هـذا العـصر الـذي تعملقــت فيــه الحضــارة المادـيــة وتغطــرس أصحابهــا بثورتهــم الرقميــة، وغزوهـم الفضـاء، ولكنهـم يجهلـون أنـه كان أميرنـا منـذ أربعـة عـشر قرنـاً يقـف عـلى منبر الكوفـة ويقـول: (سَـلُونِي عَـنْ طَـرَقِ السَّـمَاوَاتِ فَـإِنِّي أَعْلَمُ بِهَـا مِـنْ طُـرُقِ الْأَرْضِ)[1]

والعـالم اليـوم راح يتحسـس النـور، ويبحـث عـن ذاك الظهـور المقـدَّس لأمـير المؤمنـين عليـه السـلام بـين عـرب الجاهليـة ويحـاول انصافـه بعـض الـشيء، فيعتمـد كلماتـه الحكيمـة كشـعارات، وكتبـه الراقيـة كمصـاردر فكريـة إنسـانية، حيـث يجـدون كل مـا يُبهرهـم في تراثـه الـذي حـاول بنو أمية طمسـه، والأمـة دفنـه خوفـاً وحسـداً، ولكـن يأبـى الله إلا أن يتـمَّ نـوره، ويُظهـر علمـه عـلى العالمـين..

فـما أحوجنـا – نحـن الأمـة الإسـلامية – بـل مـا أحـوج العـالم برمتـه لـذاك الشـخص العمـلاق، وذاك الفكـر الخـلَّاق الـذي كان يتمتـع بـه أمـير المؤمنـين عليـه السـلام، وللثقافـة التـي عـاش بهـا في الأمـة..

وأمــا أنتــم – يــا أصحــاب الولايــة – فقــد دخلتــم الحصــن الحصــين، ولذتـم بولايـة أمـير المؤمنـين عليـه السـلام وجاهدتـم، وكافحتـم، ونافحتـم، وصبرتـم عـلى كل أنـواع الأذى طـوال أربعـة عـشر قرنـاً مـن الزمـن فقدَّمتـم القرابـين تلـو القرابـين، إبتـداء مـن يـوم عاشـوراء المأسـاة الخالـدة، وحتـى مجـزرة سـبايكر الشـنيعة، ولم تتوقفـوا ولم تقـصِّروا عـن رفـد المسـيرة الولائيـة

(١) (بحار الأنوار: ج ٣٩ ص١٠٨)



بـكل أسـباب البقـاء والقـوة والاسـتمرار.

وهـا أنتـم ترفعـون الرايـة الغديريـة مـن العتبـة الحسـينية وهـذا توفيـق إلهـي حقـاً، لأن المسـيرة تحتـاج إلى مـاء المذهـب المَعـين، وإلى دمـاء الشـهداء كالحسـين عليه السـلام..

عَاشُورَاءُ ثَقَافَةٌ وَحَضَارَةٌ

أما عاشوراء فهي حادثه فريدة، ومأساة وحيدة في هذه الدنيا الدنية..

وهـي ليسـت المأسـاة اليتيمـة في الدَّهـر لسـبب بشـاعتها، وشـناعتها، وأسـلوب ارتكابها فقـط، بـل لأن قائدهـا وسـيدها وقطـب رحاهـا كان وحيـد زمانـه، وفريـد أوانـه، إنـه خامـس خمسـة هـم غايـة الوجـود، أو هـم أثـافي الكـون، وقواعـد وعلَّـة الإيجـاد لـه..

فالإمـام الحسـين عليـه السـلام هـو خامـس أصحـاب الكسـاء، وهـم أهـل البيـت الذيـن أذهـب الله عنهـم الرِّجـس وطهرهـم مـن كل دنـس.. ولـذا فهـم فخـر الوجـود وأشرف الموجـودات..

والإمـام الحسـين عليـه السـلام صاحـب عاشـوراء ومدارهـا وقطـب رحاها كان يُمثـل أهلـه الكـرام الأطهـار الأخيـار جميعـاً (رسـول الله محمـد، وأمـير المؤمنـين عـلي، وسـيدة النسـاء فاطمـة، والمجتبـى الحسـن (عليهـم أفضـل الصـلاة وأزكـى السـلام)

فالإمـام الحسـين عليـه السـلام صَفـوة الصَّفـوة، وخِـيرة الخِـيَرة مـن آل الله

وعـترة رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه..

هـو الـذي قامـت عليـه مأسـاة عاشـوراء فقـام بـه الدِّيـن واسـتقام بـه الإسـلام العظيـم إلى اليـوم..

والمسـألة الداهيـة هـي ليسـت بشـخص الحسـين عليـه السـلام فقـط وذاك الشـخص النـوراني الربـاني، بـل بشـاخصه ودوره في الحيـاة والأمـة.. ألا وهـو الإمـام، والحُجـة عـلى الخلـق..

الحسـين عليـه السـلام كان إمـام.. أي أنـه كان صاحـب الولايـة في عـصره.. صاحـب الإمامـة الربانيـة، والولايـة الإلهيـة بـكل أقسـامها تكوينـاً وتشريعـاً وعرفـاً..

الحسـين عليـه السـلام كان ولي الله، وإمـام الأمـة الإنسـانية.. وهنـا يلتقـي بأبيـه أمـير المؤمنـين الإمـام عـلي عليـه السـلام.. وهنـا تلتقـي عاشـوراءه بيـوم الغديـر الأغـر.. فهـما يمثـلان قضيـة واحـدة بوجهـين مختلفـين لعـين الناظـر..

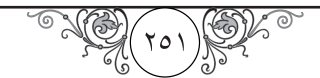
فهما جوهر ومظهر.. نور وشعاع..

فهما حقٌّ وحقيقة.. دين وعقيدة وثقافة..

فالولاية (الغديرية) جوهر، وعاشوراء مظهر..

الولاية نور ومنار، وعاشوراء شعاع وضياء، ثورة وثوار..

الولايـة الغديريـة أصـل وعـود، وعاشـوراء لحـاء وغطـاء لهـذا العـود.. و(يبقـى العـودُ مـا بقـي اللحـاءُ) كـما قـال أبـو تمـام قديـماً..



وكما تعلمون أحبتي أن العود الأصل لا يظهر بل يختفي تحت اللحاء، ومظهره وحياته هي في هذا اللحاء لأنه ينقل عَبره جميع مقومات الحياة إلى الشجرة المباركة الطيبة، وأوراقها الخضر الطرية الناعمة..

فقضية الغدير كامنة في عاشوراء..

وقضية عاشوراء قائمة في الغدير النَّمير..

ولذا قلتُ: أن الغدير أصل وعقيدة وإيمان.. وأما عاشوراء فهي المظهر والثقافة الإيمانية التي تعيشها الأمة، وتُظهرها في حياتها، فيراها الآخرون عليها بكل ما فيها من عادات، وتقاليد، وعبادات، وممارسات تلوِّن حياتها، وتصبغها بصبغتها العاشورائية، فتكون صبغتنا كربلائية.. وعقيدتنا غديرية، وهذا فخرنا نحن الشيعة الإمامية..

هنا أصل القضية في كلا وجهيها كما أراها بنظري الكليل القاصر..

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين..

واقعة الغدير شبهات وردود

هادي عباس محمد

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله الطيبين الطاهرين.

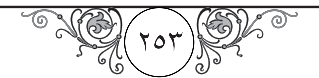
يوم الغدير كان يوماً مميزاً، فقد جاء الحسم فيه والشدّة في الخطاب الرباني لرسول الله صلَّى الله عليه وآله بهذا الحسم غير المعهود في خطابه له: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، فنحن نعرف أنَّ خطاب الله تعالى لرسوله صلَّى الله عليه وآله أرقُّ خطاب وأحناه: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[2] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، لكنَّه في هذا اليوم خاطبه بحسم خاصٍّ فقال: ﴿بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، وما ذاك إلَّا لأنَّ هذا اليوم مركزيٌّ في تبليغ الرسالة، والعمل الذي ستقوم به، به يكمل الدين، وبدونه يبقى ناقصاً وتضيع فائدة جهودك في تبليغه!!

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة طه، الآية: ٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.



خطة البحث:

اقتضى الموضوع أنْ أطرح مجموعة الشبهات التي تكلم بها القوم وأفنّدها بالدليل من كتبهم، وهذه الشبهات هي:

الشبهة الأُولى: لو كان هناك ثمّة نصٌّ على عليٍّ عليه السلام لاحتج به.

الشبهة الثانية: لو كان هناك نصٌّ فإنَّ الصحابة أكبر من أنْ يتصور في حقهم أنَّهم يخالفون النبيَّ صلَّى الله عليه وآله!!

الشبهة الثالثة: لو كان هناك نصٌّ فلماذا بايع عليٌّ عليه السلام الثلاثة برضاه!!

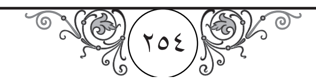
الشبهة الرابعة: إنَّ حادثة الغدير منسوفة من الأساس، وذلك أنّ علياً عليه السلام لم يكن مع النبيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله في خروجه إلى الحجّ من المدينة.

ثمَّ الخاتمة وفيها أهم نتائج البحث.

ثمَّ المصادر والمراجع التي وثقت منها في بحثي.

الشبهة الأولى: أهم هذه الشبهات هي: لو كان هناك ثمة نصّ على عليٍّ عليه السلام لاحتجَّ به، وما سكت عنه

لنعلم أَوَّلاً أنّ الثابت أنّ علياً عليه السلام قد احتجّ بحديثِ الغدير



في أكثر من موطن[1]، وما ترك موضعاً يبين فيه أحقيته بولاية الأمر والاحتجاج بحديث الغدير إلّا ووضحه، ومن ذلك:

الحديث الأول:

ما رواه الإمام أحمد في مسنده والنسائي في الكبرى، وابن حبان في صحيحه: (عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، قَالَ: جَمَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ النَّاسَ فِي الرَّحَبَةِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: **«أَنْشُدُ اللهَ كُلَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ مَا سَمِعَ، لَمَّا قَامَ»**، فَقَامَ ثَلَاثُونَ مِنَ النَّاسِ، وَقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ: فَقَامَ نَاسٌ كَثِيرٌ فَشَهِدُوا حِينَ أَخَذَهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: **«أَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟»**، **قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»**، قَالَ: فَخَرَجْتُ وَكَأَنَّ فِي نَفْسِي شَيْئًا، فَلَقِيتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَمَا تُنْكِرُ؟ قَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ ذَلِكَ لَهُ)[2].

لقد جمع أمير المؤمنين الناس ليذكرهم بأحقيته بإمرة المسلمين وولايته عليهم بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ورغم هذا وجدنا من ينكر على

---

(١) سأحتج من كتب القوم.

(٢) مسند أحمد: ٣٢/ ٥٦، برقم (١٩٣٠٢). النسائي في الكبرى: ٧/ ٤٤٢، برقم (٨٤٢٤). ابن حبان في صحيحه: ١٥/ ٣٧٦، برقم (٦٩٣١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٠٤، رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرَ فِطْرِ بْنِ خَلِيفَةَ، وَهُوَ ثِقَةٌ، وقد أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١١٣١).





الإمام عليه السَّلام ويذهب للتأكد من طرفٍ آخر، فكيف وصل أمرُ التعتيم على حديث الولاية وواقعة الغدير، وهذا لعمري هو الإقصاء بعينه.

الحديث الثاني:

ما رواه الإمام أحمد (عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: اسْتَشْهَدَ عَلِيٌّ النَّاسَ فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يَقُولُ: اللهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»، قَالَ: فَقَامَ سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا فَشَهِدُوا)[1].

واضح أنَّ هذه الرواية غير الرواية الأُولى، ومكانها مختلف، فالراوي هنا هو زيد بن أرقم وهناك أبو الطفيل، وفي رواية أبي الطفيل ثلاثون رجلاً، وهنا اثنا عشر رجلاً.. فهما مكانان مختلفان.

الحديث الثالث:

ما رواه ابن أبي شيبة في المصنف، والبزار في المسند (عَنْ زَيْدِ بْنِ يُثَيْعٍ قَالَ: بَلَغَ عَلِيًّا أَنَّ أُنَاسًا يَقُولُونَ فِيهِ: قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**أَنْشُدُ اللهَ رَجُلًا وَلَا أَنْشُدُهُ إِلَّا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه سَمِعَ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه شَيْئًا، إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ مِمَّا يَلِيهِ سِتَّةٌ وَمِمَّا يَلِي سَعْدَ بْنَ وَهْبٍ سِتَّةٌ، فَقَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه قَالَ: «مَنْ

---

(١) مسند أحمد: ٣٨/ ٢١٩، برقم (٢٣١٤٤).



كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[١].

وهذا مكانٌ ثالث يختلف عن الأوليين لاختلاف الراوي واختلاف العدد، والذي شهد له عليه السلام هو سعد بن وهب، وظاهر من هذه الأحاديث أنه عليه السَّلام ما كان يترك مكاناً يستطيع فيه إظهار حقِّه في الخلافة إلَّا وأعلنه وأشهد عليه.

الحديث الرابع:

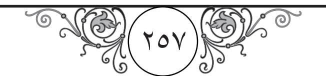
ما رواه البزار في مسنده: (عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَنْشُدُ النَّاسَ، يَقُولُ: «**أَنْشُدُ امْرَأً مُسْلِمًا سَمِعَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ غَدِيرِ خُمٍّ، إِلَّا قَامَ**»، فَقَامَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، فَقَالُوا: أَخَذَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِ عَلِيٍّ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ أَلَسْتُ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلًى لَهُ فَهَذَا مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»)[٢].

وهذا مكان رابع أيضاً لاختلاف الراوي واختلاف العدد.. وإقرار الناس له عليه السلام بأحقية الأمر دون غيره، وللعلم لو كان الأمر يتعلق بالنصرة والمحبة لما احتاج للاستشهاد بهم؛ لأنَّه بين محبيه ومناصريه، وإنَّما أشهدهم على الخلافة بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٣٦٨، برقم (٣٢٠٩١). البزار في مسنده: ٣/ ٣٤، برقم (٧٨٦). النسائي في الكبرى: ٧/ ٤٣٩، برقم (٨٤١٩).

(٢) مسند البزار: ٢/ ٢٣٥، برقم (٦٣٢).



الحديث الخامس:

ما رواه الطبراني في الكبير: (عَنْ رِيَاحِ بْنِ الْحَارِثِ النَّخَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامْ، فَجَاءَ رَكْبٌ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَيْهِمُ الْعَمَائِمُ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مَوْلَانَا، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامْ: «**أَنَا مَوْلَاكُمْ وَأَنْتُمْ قَوْمٌ عَرَبٌ؟**»، قَالُوا: نَعَمْ سَمِعْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**»)(١).

وفي هذا دليلٌ واضح على أنَّ الناسَ قد فهموا معنى الولاية المقصودة من الحديث لا كما يقول القوم إنَّها النصرة والمحبة!! ولكن أبى المناوئون إلَّا تحريف المعاني فيقول أحدهم: (كونه كالأب، فيجب على الأُمَّة احترامه وتوقيره وبرَّه، وعليه أنْ يشفق عليهم ويرأف بهم رأفة الوالد على الأولاد)(٢).

وفي هذه الأحاديث حسبٌ وكفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فهذه خمسة أماكن مختلفة أعلن فيها أمير المؤمنين أحقيته بأمر الناس دون غيره ممَّن استأثر به مخالفاً أمر نبيِّ الأُمَّة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

الشبهة الثانية: لو كان هناك نصٌّ فإنّ الصحابة أكبر من أن يتصور في حقهم أنهم يخالفون النبيَّ (صلى الله عليه وآله)!!

---

(١) المعجم الكبير، للطبراني: ٤/ ١٧٣، برقم (٤٠٥٣).

(٢) شرح الطيبي على المشكاة: ١٢/ ٣٨٨٩.

أمَّا كون الصحابة كانوا لا يعلمون أنّ الولاية بمعنى خلافة الأمر بعد النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فهذا باطل وأحاديث القوم تشهد بذلك فهذا حديث رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (واللفظ له)، والبزار في مسنده، والطبراني في الأوسط: (عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْأَوْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: دَخَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ الْمَسْجِدَ فَاجْتَمَعْنَا إِلَيْهِ فَقَامَ إِلَيْهِ شَابٌّ فَقَالَ: أَنْشُدُكَ بالله أَسَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه يَقُولُ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ**» فَقَالَ: نَعَمْ فَقَالَ الشَّابُّ: أَنَا مِنْكَ بَرِيءٌ أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ عَادَيْتُ مَنْ وَالَاهُ وَوَالَيْتُ مَنْ عَادَاهُ، قَالَ: فَحَصَبَهُ النَّاسُ بِالْحَصَى)[1].

والأكثر من ذلك تحذير النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وفي أكثر من موطن من انقلابهم بعده ورجوعهم عن دينهم القهقرى، ويشهد لذلك الكم الهائل من الروايات وفي كتب السنة، بل ومن الصحيح، ومن ذلك:

الحديث الأول:

ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما: (عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى الله حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾، ثُمَّ إِنَّ أَوَّلَ مَنْ**

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة: ٦/ ٣٦٩، برقم (٣٢٠٩٢). مسند البزار: ١٧/ ١٠٢، برقم (٩٦٥٩). الطبراني في الأوسط: ٢/ ٢٤، برقم (١١١١). قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٩/ ١٠٥، عن حديث الطبراني: رجاله ثقات.



يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ أَلَا إِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، فَيُقَالُ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»)(١).

الحديث الثاني:

ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما: (عَنْ عَبْدِ الله(٢) عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِه قَالَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»)(٣).

قال البغوي: (قال أبو حازم: فسمعني النعمان بن عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت: نعم، فقال: أشهد على أبي سعيد لسمعته، وهو يزيد فيها، (فأقول: «**إنَّهم منِّي**»، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: «**سحقاً سحقاً، لمن غيَّر بعدي**»)(٤).

فقوله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِه (إنَّهم منِّي) دليل على أنَّهم من قريش،

---

(١) صحيح البخاري: ٦/ ٩٧، برقم (٤٧٤٠). صحيح مسلم: ٨/ ١٥٧، برقم (٧٣٨٠).

(٢) ابن مسعود.

(٣) صحيح البخاري: ٨/ ١١٩، برقم (٦٥٧٩). صحيح مسلم: ٧/ ٦٨، برقم (٦١١٨).

(٤) شرح السنة: ١٥/ ١٧١.

ومعلـومٌ أنَّـه لم يرتـدّ أحـدٌ مـن قريـش، وبهـذا يندفـع القـول إنَّهـم مـن ارتـدّ بعـد النبـيِّ صَـلَّى الله عَلَيْـهِ وَآلِـه.

وقـال الكرمـاني في شرح الحديـث: (قولـه في بعـض الروايـات (أصيحـابي) مصغـر الأصحـاب وهـو تقليـل عددهـم ولم يـرد بـه خـواص أصحابـه الذيـن لزمـوه وعرفـوا صحبتـه فقـد صانهـم الله تعـالى وعصمهـم مـن التبديـل، وليس المـراد مـن الارتـداد الرجـوع عـن الديـن، إنَّـما هـو التأخـر عـن بعـض الحقـوق والتقصير فيـه، ولم يرتـد أحـد مـن أصحابـه والحمـد لله وإنَّـما ارتـد قـوم مـن جفـاة الأعـراب مـن المؤلفـة قلوبهـم ممَّـن لا بصـيرة لـه في الديـن وذلـك لا يوجـب قدحـاً في الصحابـة المشـهورين)[1].

ولكـي يخـرج القـوم مـن هـذا المـأزق قالـوا بأنَّهـم مشـمولون بالشـفاعة وقـد يعذبـون قليـلاً في النـار، قـال ابـن الملقـن: (قـال الـداودي: وليـس هـذا بـما يحتـم بـه للمختلجـين بدخـول النـار؛ لأنَّـه قـد يحتمـل أنْ يختلجـوا وقتًـا فيلحقهـم مـن هـول ذلـك (اليـوم) وشـدَّته مـا شـاء الله، ثـمَّ يتلقاهـم الله بـما شـاء مـن رحمتـه، ولا يـدلُّ قولـه: «**سـحقًا سـحقًا**» أنَّـه لا يشـفع لهـم بعـد؛ لأنَّ الله سـبحانه وتعـالى قـد يلقـي لهـم ذلـك في قلبـه وقتًـا ليعاقبهـم بـما شـاء إلى وقـت يشـاء، ثـمَّ يعطـف قلبـه عليهـم؛ فيشـفع لهـم)[2].

الحديث الثالث:

(١) الكواكب الدراري: ١٧/ ١٠٦.

(٢) التوضيح: ٣٢/ ٢٧٤.

وقد أخرج الإمام أحمد، والطبري في تفسيره، والسمرقندي في تفسيره، والحاكم في مستدرك الصحيحين وصححه، وابن الأعرابي أيضاً: (عَنْ عَلِيٍّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]، قَالَ: «**رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه الْمُنْذِرُ، وَالْهَادِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»)[2]، وفي رواية ابن الأعرابي: «**وَعَلِيٌّ الْهَادِي، بِكَ يَا عَلِيُّ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ**»[3].

وقد فسّر الطبري وغيره الهادي بالإمام والقائد، فقال: (ولكلِّ قوم إمام يأتمُّون به وهادٍ يتقدمهم، فيهديهم إمَّا إلى خيرٍ وإمَّا إلى شرٍّ)[4].

فقضية إمامته عليه السلام وتقدمه على الناس أصبحت قضية معروفة ومتداولة لا ينكرها إلَّا من أراد أنْ يحجب شمس الضحى بغربال.

الشبهة الثالثة: لو كان هناك نصٌّ فلماذا بايع عليٌّ عليه السلام الثلاثة برضاه!!

الثابت عندنا في جميع مصادرنا التي تعرضت للموضوع أنَّ بيعة عليٍّ عليه السلام وشيعته لأبي بكر كانت بالإجبار والإكراه! ومع ذلك يحاول المخالفون أنْ يتمسكوا بها!

مع أنَّك لو سألتهم عن الحكم الشرعي لمن باع بيته بالإجبار تحت

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ٣٠٦، برقم (١٠٤٠). تفسير الطبري (جامع البيان): ١٦/ ٣٥٧. تفسير السمرقندي: ٥/ ٢٧٢. الحاكم في المستدرك وصححه: ٣/ ١٤٠، برقم (٤٦٤٦). قال ابن حجر في فتح الباري: ٨/ ٣٧٦، إسناده حسن.

(٣) ابن الأعرابي في معجمه: ٣/ ١٠٧٩، برقم (٢٣٢٨).

(٤) تفسير الطبري: ١٦/ ٣٥٣. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب): ١٩/ ١٣.

تهديد السلاح؟ لقالوا إنَّ البيع باطل!

فكيف يبطل البيع بالإجبار، وتصح البيعة على حكم المسلمين وهي أعظم وأهم من بيع بيت، وألف بيت؟![1].

لنعلم أوّلاً أنَّ الأنصار عموماً امتنعوا عن مبايعة أبي بكر، ولكنَّهم انساقوا مع التيار خوف سلطة القرشيين، وبقيَ قسمٌ كبير منهم على رفضهم منهم سعد بن عبادة وأهل بيته.

ولم يبايع كبار الصحابة وخيرتهم، مثل: عمّار، وأبي ذرّ، وسلمان، والمقداد بن الأسود الكندي، وغيرهم، وامتنع بنو هاشم بأجمعهم وعلى رأسهم البيت النبويّ عليٌّ وفاطمة عليهما السَّلام واعتصم الجميع في بيت عليٍّ عليه السَّلام، فلو كانت بيعة أبي بكر حقّاً لما تخلّف عنها عليٌّ عليه السَّلام، وتخلّفه عنها شاهد بطلانها لقوله صلّى الله عليه وآله: «**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وِالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ كَانَ**»[2]، وفي امتناع أبي ذرّ شاهد آخر لقول النبيِّ صلّى الله عليه وآله: «**مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلاَ أَقَلَّتِ الغَبْرَاءُ أَصْدَقَ مِنْ أَبِي ذَرٍّ**»[3]، فلو كان قد بايع لقلنا: إنَّ الحقَّ مع أبي بكر لامتناع الكذب عليه على وفق الحديث، وما دام لم يبايع فهذا معناه أنّه لا يسمح للسانه

---

(١) ينظر: الاحتجاج، للطبرسي: ص/ ٥٣.

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/ ٢٣٥، برقم (١٢٠٣١).

(٣) مسند الإمام أحمد: ١١/ ٧٠، برقم (٦٥١٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/ ٣٨٧، برقم (٣٢٢٦٥)، وابن ماجه في سننه: ١/ ٥٥، برقم (١٥٦)، والترمذي في سننه: ٦/ ١٤٥، برقم (٣٨٠١).



أنْ ينطق مكذّباً بالحقّ وبإعطاء الخلافة لغير أهلها كأبي بكر، فإنّه إذا نطق بالبيعة، فبداعي الصدق لا بُدَّ أنْ يلتزم بها، ومن باب آخر فإنّه بداعي الصدق سيلتزم بولائه لعليٍّ عليه السَّلام فهو يقرّ بحقِّه، وما دام أبو ذرّ التزم جانب أمير المؤمنين عليه السَّلام ولم يبايع أبا بكر، فقد صار مصداقاً ودليلاً لثبوت حقِّ الخلافة لمن لا يقبل الحجّة إلَّا بدليل خارج عن شخص الإمام عليٍّ عليه السلام.

ثانياً: لو بايع أغلب من حضر في المدينة لرجل، لا يعني أحقّية ذلك الرجل بالخلافة والقيادة، ولا سيما إذا علمنا بمعرفتهم بعدم استحقاق من بايعوه، بل علمهم باستحقاق من تركوا بيعته في يوم السقيفة - نعني: الإمام عليّاً عليه السلام - وإنَّما بيعتهم لا تخرج عن كونها نفاقاً، أو بغضاً، أو حسداً، أو ارتداداً عن الحقّ، أو إغراءً، أو تخويفاً، أو عن عقد الماضي، أو طلباً لمصالح المستقبل، إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة.

وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السَّلام قوله: «**اللّهمّ إنِّي أستعديك على قريش ومن أعانهم، فإنّهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي**»[1].

ثالثاً: إنَّ انقلاب الأُمَّة عن مبايعة أمير المؤمنين عليه السَّلام والتزامهم بأمر نبيّهم قد سبقه انقلابات كثيرة في حياته صلّى الله عليه وآله.

فقد انقلبت الأُمَّة يوم أُحد، وتمنّت الرجوع إلى الشرك طلباً للسّلامة

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي: ٢٦/ ١٧٩. مجمع الأمثال، للميداني: ٣٢٠.

حتّى قال الله تعالى: ﴿أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾[1][2].

وأثبت القرآن الكريم انقلابهم يوم حُنين بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾[3][4]، مشيراً إلى انقلابهم على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وتركهم نصرته، وهذا معلوم.

وثبت انقلابهم خلال مسيرهم إلى حنين وقد طلبوا من النبيِّ صلّى الله عليه وآله أنْ تكون لهم شجرة ذات أنواط، تقليداً لبعض مشركي العرب حتى أغضبوه غضباً شديداً وتوعدهم أنَّهم سيسلكون مسالك عدّة بعد وفاته كما سلكت اليهود[5].

رابعاً: ما علم بحصول البيعة، وبالكيفية المعروفة التي حسمت بها

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) ينظر: تفسير السمعاني: ١/ ٣٦٣-٣٦٥. تفسير البغوي: ١/ ٣٥٨.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٢٥.

(٤) ينظر: تفسير الثعلبي: ٥/ ٢٣. تفسير السمعاني: ٢/ ٢٩٨.

(٥) روى الإمام أحمد في مسنده: ٣٦/ ٢٢٥، برقم (٢١٨٩٧). ابن أبي شيبة: ٧/ ٤٧٩، برقم (٣٧٣٧٥). الترمذي في سننه (واللفظ له): ٤/ ٣٥، برقم (٢١٨٠): (عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَآله: سُبْحَانَ الله هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ)، قال الترمذي: حديث حسن صحيح.



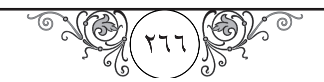
الخلافة لأبي بكر في السقيفة، وفي غياب صاحب الحقّ الإمام عليٍّ عليه السَّلام الذي كان منشغلاً بتغسيل ابن عمِّه رسول الله صلّى الله عليه وآله وتكفينه وتجهيزه، ومعه عميد بني هاشم عمّه العبّاس وباقي أهل البيت، وإنهاء الموضوع في ظرف لم يسمح للإمام عليٍّ عليه السَّلام بالحركة الفعلية والاعتراض الميداني الآني.

إنّ وقوع البيعة وإنْ كان مرغوباً من الناحية الشكلية لتصويرها مؤطّرة بالتأييد الشعبي، وإن كانت بحقيقتها مشروعاً حزبياً، فالأمر كان ماضياً على كلِّ حالٍ سواء أ بايع الناسُ، أم لم يبايعوا.

وخيرُ دليل على ذلك تسنّم عمر المنصب ليس على أساس البيعة، واتّبعه الناس رغم أنّها آلت إليه بوصية ممّن سبقه عليه، وكذا عثمان بن عفّان إنّما جاءه المنصب لا بالبيعة ولا بالوصية، إنّما بأُسلوب آخر هذه المرّة، وهي الشورى المدّعاة، واتّبعه المسلمون أيضاً!

والعجيب أنّ عليّاً عليه السَّلام بويع له بالولاية في زمن الرسول صلّى الله عليه وآله، ولم تنفذ من الناحية الظاهرية بعد رحيله صلّى الله عليه وآله!! ممّا يدلّل على أنّ المقاييس التي حكمت الوضع الإسلامي ليست هي نفسها التي أرادها الرسول صلّى الله عليه وآله، فمن بايعوه لم يتّبعوه، ومن حصل على الخلافة ببيعة مدعاة أو نصٍّ أو شورى - وهذه الثلاثة لا تمنح لصاحبها حقّاً ما حسب المقياس الإسلامي الصحيح.

والذي يبدو أنّ المخالفين يعرفون جيداً أنَّ البيعة بالإكراه والإجبار باطلة



شرعاً، وأنَّ كلَّ تصرف أُجبر عليه الإنسان كالعدم، فلا يصير المبايع جبراً خليفةً شرعياً! وإنَّ بيعة أبي بكر قد تمت بالخلسة في أَوّلها، ثمَّ بالتهديد بقوّة السيف؛ ولذا وصفها عمر بأنَّها فلتة[1]!

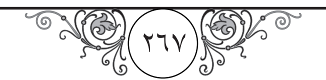
الشبهة الرابعة: إنَّ حادثة الغدير منسوفة من الأساس، وذلك أنَّ علياً عليه السَّلام لم يكن مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله في خروجه إلى الحجّ من المدينة الذي مرَّ في طريقه بغدير خم، لأنَّ غدير خم إنَّما هو بالجحفة؟

وهذا الكلام مردود بما في صحيحي البخاري ومسلم: (عن جابرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله أَهَلَّ وَأَصْحَابُهُ بِالْحَجِّ وَلَيْسَ مَعَ أَحَدٍ مِنْهُمْ هَدْيٌ غَيْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه وَطَلْحَةَ وَكَانَ عَلِيٌّ قَدِمَ مِنْ الْيَمَنِ وَمَعَهُ الْهَدْيُ فَقَالَ: أَهْلَلْتُ بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه...) وذكر تمام الحديث[2].

وسأنقل نصّ ما قاله الطحاوي الحنفي في شرح مشكل الآثار: (حدثني

(١) روى أحمد بن حنبل وغيره في حديث السقيفة: (عن ابْنِ عَبَّاسٍ... قال عمر: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ: لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ، بَايَعْتُ فُلانًا، فَلا يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلْتَةً، أَلا وَإِنَّهَا كَانَتْ كَذَلِكَ، إِلَّا أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَقَى شَرَّهَا، وَلَيْسَ فِيكُمُ الْيَوْمَ مَنْ تُقْطَعُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ، أَلَا وَإِنَّهُ كَانَ مِنْ خَبَرِنَا حِينَ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه: أَنَّ عَلِيًّا وَالزُّبَيْرَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُمَا، تَخَلَّفُوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، وَتَخَلَّفَتْ عَنَّا الْأَنْصَارُ بِأَجْمَعِهَا فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ...)، مسند أحمد: ١/ ٤٥٢، برقم (٣٩١). ابن أبي شيبة في المصنف: ٦/ ٤٥٢، برقم (٣٢٨٦٨). البزار في مسنده: ١/ ٢٩٩، برقم (١٩٤).

(٢) صحيح البخاري:٣/ ٤، برقم (١٧٨٥). صحيح مسلم: ٤/ ٣٩، برقم (٣٠٠٩).



عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري في أُناس معي قال: قدم عليٌّ بن أبي طالب من سعايته فقال له النبيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه: «**بمَ أهللت يا عليّ؟**»، قال: «**بما أهل النبيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه**»، قال: «**فأهد وامكث حراماً كما أنت**»، فكان جوابنا له في ذلك بتوفيق الله عزَّ وجلَّ وعونه: أنّ علياً عليه السَّلام كما ذكر لم يكن مع النبيِّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه في خروجه إلى الحجّ من المدينة الذي كان مروره فيه بغدير خم، ولكنَّه قد كان معه في إقباله من مكة إلى المدينة في طريقه الذي كان مروره فيه بغدير خم، فقد يحتمل أنْ يكون ما قاله له النبيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه هناك كان في رجعته من حجّه، وإنَّما يكون ذلك محالاً كما ذكرت لو كان في الحديث أنَّ النبيَّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه قال له هذا في القول في خروجه إلى مكة متوجهاً له، وقد وجدنا بحمد الله ونعمته في ذلك حديثاً صحيح الإسناد يخبر أنَّ ذلك القول الذي كان من رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه لعليٍّ عليه السَّلام بغدير خم إنَّما كان في رجوعه إلى المدينة من حجّه لا في خروجه منها إلى حجّه)[1].

وللعلم لم يكن الأمر ليستقيم لو كان حديث الغدير عند خروجه صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه، ولم يكن ليحقق غايته الربانية فإنَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وآلِه خرج بالحجاج من أهل المدينة فقط، والناس من باقي الأمصار زرافاتٍ ووحداناً، أمَّا عند رجوعه فقد رجع معه الجميع فيتحقق مبدأ جمع الناس عند الرجوع أولى من الذهاب.

(١) شرح مشكل الآثار: ٥/ ١٥.

الخاتمة:

كان عنوان البحث (واقعة الغدير، شبهات وردود) بيّنتُ فيه أهم الشبهات التي أثارها القوم حول يوم الغدير، وقمت بتفنيد هذه الشبهات، وقد استنتجنا من خلال البحث:

١- إنّ الإمام عليّاً عليه السَّلام لم يبقَ ساكتاً مكتوف الأيدي حيال ما تمَّ من مؤامرة لسلبِ الحقِّ أهله، فكان يُطرق على مسامع القوم ما جرى يوم الغدير كلَّما سنحت الفرصة.

٢- إنّ الصحابة بأجمعهم أقروا بالولاية لعليٍّ عليه السَّلام حتى قاموا بتهنئته، ومع هذا أنكروا لغايات في النفوس.

٣- إنّ مبايعة أمير المؤمنين للثلاثة لم تكن عن رضا ورغبة، بل كانت قهراً وإجباراً، وكانت مقاومة الإمام لهذا الاغتصاب سلميّة حفاظاً على وحدة الأُمَّة.

٤- تفنيد القول بأنَّ الإمام عليّاً عليه السَّلام لم يكن مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله يوم الغدير، وأقررنا بأنَّه لم يكن معه حال ذهابه للحجِّ ولكنَّه كان معه عند عودته وهذا أدعى لاجتماع الناس وحصول المبتغى من التبليغ.

وصلَّى الله على محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع:





الاحتجاج، الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات: محمّد باقر الخرسان، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م.

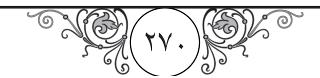
تفسير القرآن، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبار (ت:٤٨٩هـ)، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ

التوضيح لشرح الجامع الصحيح، ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن عليٍّ بن أحمد الشافعي المصريّ (ت:٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، أبو جعفر محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

الجامع الكبير، سنن الترمذي، أبو عيسى محمّد بن عيسى (ت:٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله (صلَّى الله عليه وآله) وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت:٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت (الطبعة السلطانية)، ط١، ١٤٢٢هـ



/ ٢٠٠٢م

سنن ابن ماجة، القزويني، أبو عبد الله محمّد بن يزيد (ت: ٢٧٥ هـ)، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

السنن الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت: ٣٠٣هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م

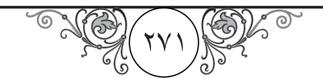
شرح السنة، البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود بن محمّد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمّد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م

شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت: ٧٤٣هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله بن مُحَمَّد الحسيني (ت: ٦٥٥هـ). تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٨١هـ

فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت:٨٥٢هـ) تحقيق: محبّ الدين الخطيب، محمّد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م

الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي، شيرويه بن شهردار بن شيرو



يه بن فناخسرو، أبو شجاع الهمذاني (ت: ٥٠٩ هـ)، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أحمد بن محمّد بن إبراهيم، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧ هـ) تحقيق: الإمام أبي محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م

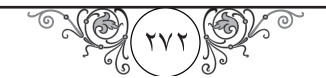
الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، الكرماني، محمّد بن يوسف بن عليّ بن سعيد، شمس الدين (ت: ٧٨٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م

مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمّد النيسابوري (ت: ٥١٨هـ)، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت: ٩٧٣هـ) دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م

المستدرك على الصحيحين، النيسابوري، أبو عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم (ت:٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م

مسند أحمد، الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.



مسند البزار، البزار، أبو بكر أحمد بن عمر (ت:٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ عبد الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (صلَّى الله عليه وآله)، (صحيح مسلم) مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت.

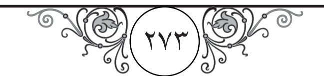
مشكل الآثار، الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمّد بن سلامة بن سلمة الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمّد بن أبي شيبة الكوفي (ت:٢٣٥هـ)، تحقيق: كمال الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

معالم التنزيل (تفسير البغوي)، أبو محمّد الحسين بن مسعود الفراء (ت:٥١٦هـ) تحقيق: خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

المعجم، ابن الأعرابي، أحْمَد بن مُحَمَّد بن زِيَاد الْبَصْرِيّ، أَبُو سعيد (ت: ٣٤٠هـ) تحقيق: عبد المحسن بن إبراهيم، مطبعة دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م

المعجم الأوسط، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت: ٣٦٠هـ)،



تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمّد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

المعجم الكبير، الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد أيوب (ت:٣٦٠هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، نشر مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

مفاتيح الغيب المسمّى التفسير الكبير (تفسير الرازي)، فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسين (ت:٦٠٦هـ)، قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.

٦- محور الدراسات المهدوية

- الإمام المهدي عليه السلام في خطبة الغدير.
- واقعة الغدير وإمامة المهدي عليه السلام.
- الغدير وثقافة الإنتظار.

واقعة الغدير وأثرها في تنمية روح انتظار ظهور الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

أ. د. مرتضى عباس فالح حسن السلمي

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى وآله الطاهرين... وبعد..

إنّ موضوعات التنمية من الموضوعات المهمة التي لها من الرواج اليوم مالها ! فضلاً عن ذلك فإن هذا الموضوع قد طرق في القرآن الكريم مثلما في الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحج، وغير ذلك، وفي كلام الرسول (صلى الله عليه وآله) ولاسيما في خطبة الغدير، وفي كلام أهل بيته الطاهرين (صلى الله عليه وآله)، وفي تراثنا الخالد من خطب وأمثال، وشعر، وغير ذلك.

إنّ مصطلح التنمية ودلالته اللغوية على النماء والزيادة كان ذات معانٍ متعددة بحسب متعلقها[(١)]، وقد ذكر السيد محمد صادق الخرسان[(٢)] ما جاء في تقرير للأمم المتحدة بأن التنمية البشرية تعني توسيعاً لحريات

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ابن فارس: ٥/ ٤٧٩.

(٢) ينظر: الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والتنمية البشرية – التراحم إنموذجاً، ص١٠.



البشر فيما يختارونه من حياة لائقة متنامية في ذلك[١].

ويلاحظ ان معنى ودلالات التنمية في مفهوم الإسلام يعني تطويراً وإنماءً للطاقات البشرية وصولاً بها الى الأفضل فالأفضل[٢]، وهذا بطبيعة الحال يفترض أن يأخذ دوره المهم في كل جانب نوعيٍّ من أخلاق الإنسان وسلوكياته الفضلى[٣]، ليحقق الأهداف التي تسعى إليها التنمية في ترك الآثار الإيجابية في الآخرين بخلاف المجتمعات الغربية مثلاً والتي تهدف الى زيادة دخل الفرد على الصعيد المادي غالباً وهذا ما ترك أثره في حصول الفوضى والتناقض بين فئات متنوعة من المجتمعات غير الإسلامية[٤]؛ فالعلاج لم يكن للجوهر والنوع في الإنسان، مع توفير الرعاية والأجواء الملائمة لذلك، بما يرقى بالطاقات البشرية الى أعلى درجات التفوق في ذلك الصفو النوعي لأخلاق وجهود البشر لتحقيق تغييرٍ نوعيٍّ يعود بالخير كله عليهم.

من هنا أتت فكرة البحث بالكتابة في بيان (واقعة الغدير وأثرها في تنمية انتظار ظهور الإمام الحجة المنتظر (عج)) وذلك على وفق ما يأتي:
المبحث الأول: واقعة الغدير مائدة الإمامة والتمسك بالولاية والانتظار لظهور الإمام الحجة (عج)، وهنا بيان للواقعة قرآنياً وفي ضوء خطبة

---

(١) ينظر: تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ٢٠١١م، ص١.
(٢) ينظر: الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): ١٠.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.
(٤) ينظر: الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): ٢٢-٢٣.

الرسـول في غديـر خـمّ.

أمـا المبحـث الثـاني: أثـر واقعـة الغديـر في التنيـة الذاتيـة لـروح انتظـار وظهـور الإمـام الحجـة (عـج)، ويتلـوهُ المبحـث الثالـث: أثـر واقعـة الغديـر في التنميـة الاجتماعيـة لـروح انتظـار ظهـور الإمـام الحجـة (عـج)، يشـتمل عـلى مبـادئ تسـاعد عـلى تنميـة العمـل الاجتماعـي فضـلاً عـن التعـاون عـلى الـبرّ والتقـوى وبيـان أثـر ذلـك في انتظـار ظهـور الإمـام المنتظـر (عـج)، ثـم الخاتمـة، فقائمـة المصـادر والمراجـع

إن هـذا كلـه يمكـن القـول فيـه انـه قـراءة تأويليـة لواقعـة الغديـر وبيـان آثارهـا المبـاشرة وغـير المبـاشرة في اثبـات وجـود الإمـام صاحـب العـصر والزمـان (عـج) وتنميـة روح الأمـل عنـد الإنسـانية لانتظـار ظهـوره المبـارك وهـذا يحتـاج الى تنميـة الجوانـب الروحيـة والأخلاقيـة ومِـنْ ثـمَّ النـماء في الجـزاء والأجـر في الداريـن لذلـك الإنسـان المتـأسّي بالرسـول المختـار وآلـه الأطهـار (صلـوات الله تعـالى عليهـم أجمعـين).

المبحث الأول

واقعة الغدير مائدة الإمامة والتمسك بالولاية والإنتظار لظهور الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

للتنمية تعاريف متعددة ومتقاربة في المعنى.



جمعت في المعنى اللغوي: ((نمى المال ينمي ونماء وكثر))[1]، وتعني إصطلاحاً: الانتقال بالمجتمع من الوضع الثابت الى وضع أعلى وأفضل وما تصل إليه من استثمار الطاقات الكامنة وتوظيفها للأفضل فضلاً عن وتوسيع القدرات التعليمية وتوفير فرص ملائمة لزيادة الخبرات.

وترتبط بها التنمية البشرية، إذ تعني: ((توسيع لحريات البشر وإمكانياتهم فيعيشون الحياة التي يختارونها وينشدونها. يتجاوز حدود الاحتياجات الاساسية الى الكثير من الغايات الاخرى الضرورية ليعيش حياة لائقة))[2].

مما يدفع الإنسان ان يحسن عمله ليتقدم نحو الإمام فهي تبني الإنسان وتربي شخصيته ذاتياً[3].

ولو قرأنا آيات من سورة المائدة، ومنها قوله تعالى: ((الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً)) [سورة المائدة: الآية ٣]. ستلاحظ كيف أنَّ الذين كفروا قد يئسوا وضعفت شوكتهم بعد قوة عقيدة الإسلام وإنْ كانت في نفوس القليلين إلاّ أنّهم الفئة القليلة المنتصرة بإذن الله تعالى. وتلخيص الهدف الإلهي هنا هو إيجاد المجتمع المثالي في كل شيء يرضاه تعالى وهذا المجتمع هو المجتمع الإسلامي.

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج١٠، ٣٧٩.

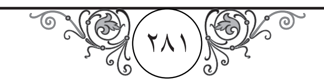
(٢) تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ص١.

(٣) يُنظر: التنمية البشرية: حسون البطاط، ص ١٣.

وقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)) [سورة المائدة: الآيات ٥٤-٥-٥٦]. تتحدث عن صفات من يتبع الله ورسوله وهم الذين اقتدوا خير اقتداء بهما وبالعمل على وفق ما اراد الله تعالى سيكونون خير الناس إيماناً وسلوكاً وأسوةً حسنة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله).

ويأتي قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)) [سورة المائدة: الآية ٦٧]. وهي آية البلاغ بعد استعراض ما كان قد حصل في الأمم السابقة وما أنزل عليهم من التوراة والإنجيل، وفضلاً عن أعمالهم السيئة، لبيان ما هي فائدة الدين الحقّ في إصلاح المجتمع وسعادته.

ويأتي قوله تعالى: ((وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ)) [سورة المائدة: الآية ١١١]. والمتعلقة بإيمان الحواريين بالله وبرسوله وأنهم مسلمون، ثم قوله تعالى: ((إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) [سورة المائدة: الآية ١١٢]. التي



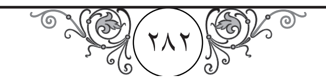


بينت طلبهم المائدة من اتباع النبي (عليه السلام) فتأتي الآية: ((قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)) [سورة المائدة: الآية ١١٣]. تفسير طلبهم المائدة بأنهم يريدون أن يأكلوا منها وان يعيشوا مطمئنيّ القلوب، وليتيقنوا التصديق برسولهم، فيشهدون على تلك المائدة المنوّعة بهذه المطالب.

ثم تأتي الآية: ((قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)) [سورة المائدة: الآية ١١٤]. لتبين فلسفة المائدة الحقيقية (المعنوية) وهي مائدة (الإمامة) بعد ذكر المائدة (المادية) في الآية: ((قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)) [سورة المائدة: الآية ١١٣]، وكيف امتداد زمن تلك المائدة وكيف أنها عيد للأولين والآخرين.

فتأتي الآية: ((قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ)) [سورة المائدة: الآية ١١٥]. بتحذير الله تعالى من عصيان الناس بعد هذه المائدة المنوعة مادياً ومعنوياً.

وفي الآية ١١٩ من سورة المائدة: ((قَالَ اللّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) يظهر كيف ينفع الصدق الحقيقي أهله باتباع منهج الولاية الحقة، وكيف سيعود ذلك على الناس بالنفع في الدنيا والاخرة في ظل رضوان الله عليهم وتنعمهم في نعيم الدنيا

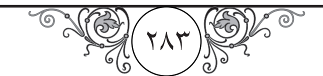


والاخرة، وبذلك يكون الفوز العظيم... ثم الختام بالآية ١٢٠ من سورة المائدة: ((لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) ببيان ملكه تعالى لكل شيء وهو سبحانه القادر على كل شيء... وفي توفيق الناس للخير كله في حالة اختيارهم للمنهج الحق.

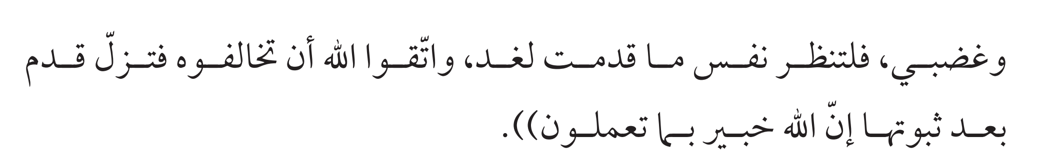
إن هذه الآيات المباركة وذكر الولاية ومفاهيمها بهذا الشكل والمضمون يُعدّ مصدراً رئيساً لتنمية روح الإنتظار للإمام صاحب العصر والزمان (عج)؛ كونه يمثّل الامتداد الطبيعيّ لولاية وإمامة أمير المؤمنين (ع).

مع كل ما هو موجود من عناصر الراحة والدعة إلّا أن الراحة الحقيقية هي في وجود الإمام؛ لأنه سبب في الرزق المادي والمعنوي، وسبب في بقاء الخلق في أحسن صور البقاء سلامة من كل شيءٍ، وكذلك فإن وجود الإمام مفتاح لكل أمر ويسر لكل عسر وفرج لكل ضيق كيف لا؟! وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير إلى أهمية الإمام بشكل عام وأهمية الإمام علي بشكل خاص وهو أب ومصدر رئيس للمعنى العام للإمام وأهمية وجوده.

نجد هنا الرسول صلى الله عليه وآله يشير الى هذه المعاني المباركة، فهو القرآن الناطق الذي صدح بما أمر به الله تعالى في واقعة الغدير، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وآله: ((معاشر الناس: فضِّلوا عليّاً فإنّه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى، بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من ردّ عليَّ قولي هذا ولم يوافقه، ألا إنّ جبرئيل خبّرني عن الله تعالى بذلك ويقول: من عادى عليّاً ولم يتولّه فعليه لعنتي







وغضبي، فلتنظر نفس ما قدمت لغد، واتّقوا الله أن تخالفوه فتزلّ قدم بعد ثبوتها إنّ الله خبير بما تعملون)).

((معاشر الناس: إنّه جنب الله الذي ذكر في كتابه فقال تعالى: ((أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ))[1]. ((معاشر الناس: تدبّروا القرآن وافهموا آياته، وانظروا الى محكماته، ولا تتّبعوا متشابهه، فوالله لن يبيّن لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلّا الذي أنا آخذ بيده ومصعده إليّ -وشائل بعضده- ومعلمكم أنّ من كنت مولاه فهذا علي مولاه))[2].

من صور تنمية روح الانتظار للإمام المخلّص اننا ننتظر مَنْ يحافظ على كمال الدين ويُصلح ما أفسده الناس فيه، وبذلك نفوز الفوز العظيم وإلّا فإننا من الذين حبطت أعمالهم ومن الخاسرين، وإلى ذلك يشير الرسول صلى الله عليه وآله بقوله: ((معاشر الناس: إنما أكمل الله عزّ وجلّ دينكم بإمامته، فمن لم يأتمّ به وبمن يقوم مقامه من ولدي من صلبه الى يوم القيامة والعرض على الله عز وجلّ، فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم ينظرون))[3].

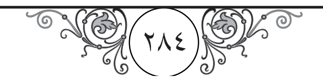
إن عصر الإمام المهدي (عج) هو عصر خالٍ من الحسد والبغض والحقد، انه عصر التقوى والإخلاص، فكيف لا نتوق شوقاً الى ذلك

---

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) الاحتجاج: الطبرسي، ١/ ١٤٦.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٤٨.



العصر؟! الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الغدير بقوله: ((معاشر الناس: ذريّة كلّ نبيّ من صلبه وذرّيّتي من صلب عليّ. معاشر الناس: إنّ إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، فانّ آدم أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز وجلّ، فكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله، ألا إنّه لا يبغض عليّاً إلّا شقيّ ولا يتوالي عليّاً إلّا تقيّ ولا يؤمن به إلّا مؤمن مخلص، وفي عليّ والله نزلت سورة ﴿و﴾ العصر: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ))[1] إلى آخرها))[2].

وكذلك في قوله صلى الله عليه وآله: ((معاشر الناس: النور من الله عز وجل فيّ مسلوك، ثم في علي ثم في النسل منه الى القائم المهديّ الذي يأخذ بحقّ الله وبكل حقّ هو لنا، لأن الله عز وجلّ قد جعلنا حجّة على المقصّرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والآثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس: أنذركم أنّي رسول الله قد خلت من قبلي الرّسل أفإن متّ أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين، ألا وإنّ عليّاً ﴿هو﴾ الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده ولدي من صلبه))[3].

---

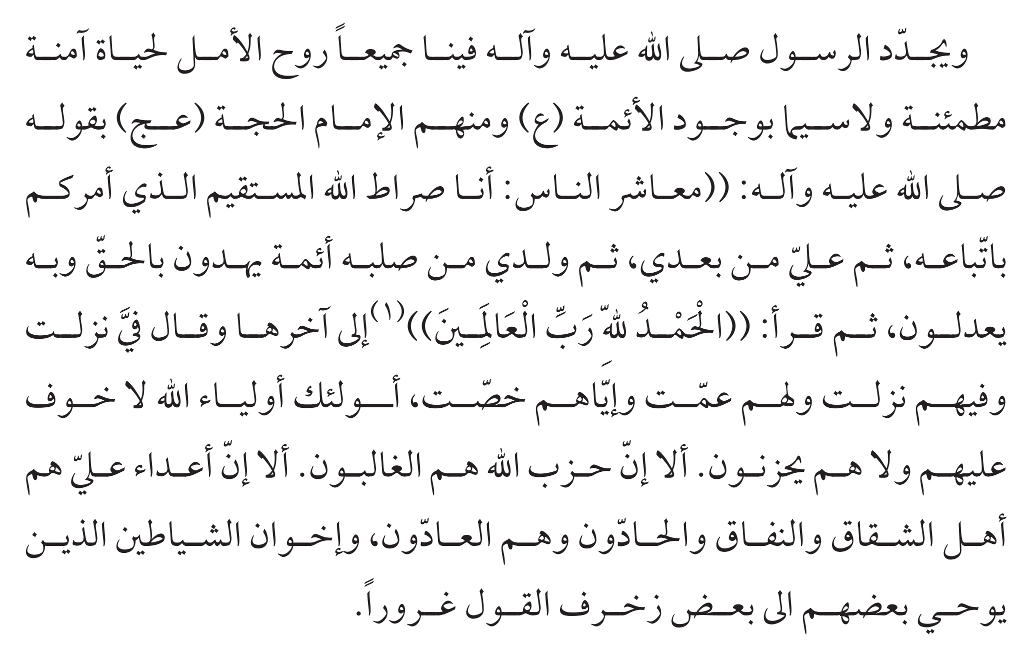
(١) العصر: ١-٢.

(٢) الاحتجاج: ١/ ١٤٩.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٥٠.







ويجدّد الرسول صلى الله عليه وآله فينا جميعاً روح الأمل لحياة آمنة مطمئنة ولاسيما بوجود الأئمة (ع) ومنهم الإمام الحجة (عج) بقوله صلى الله عليه وآله: ((معاشر الناس: أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتّباعه، ثم عليّ من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحقّ وبه يعدلون، ثم قرأ: ((الْحَمْدُ للهِّ رَبِّ الْعَالَمِينَ))[١] إلى آخرها وقال فيَّ نزلت وفيهم نزلت ولهم عمّت وإيّاهم خصّت، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. ألا إنّ حزب الله هم الغالبون. ألا إنّ أعداء عليّ هم أهل الشقاق والنفاق والحادّون وهم العادّون، وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً.

ألا إنّ أولياءهم الذين ذكرهم الله في كتابه فقال عزّ وجل: ((لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللهَّ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَّ وَرَسُولَهُ))[٢] إلى آخر الآية.

ألا إنَّ أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجلّ فقال: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ))[٣].

ألا إنّ أولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين، وتتلقّاهم الملائكة بالتسليم أن: ((طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ))[٤].

(١) الفاتحة: ٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) الأنعام: ٢٨.

(٤) الزمر: ٧٣.



ألا إنّ أولياءهم الذين قال ﴿لهم﴾ الله عز وجلّ: ((يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ))[1].

ألا إنّ أعداءهم يصلون سعيراً.

ألا إنّ أعداءهم الذين يسمعون لجهنّم شهيقاً وهي تفور ولها زفير.

ألا إنّ أعداءهم الذين قال الله فيهم: ((كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا))[2].

ألا إنّ أعداءهم الذين قال الله عزّ وجلّ: ((كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ))[3].

ألا إنّ أولياءهم الّذين يخشون ربّهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير.

معاشر الناس: شتّان ما بين السعير والجنة، عدوّنا من ذمّه الله ولعنه، ووليّنا من مدحه الله وأحبّه))[4].

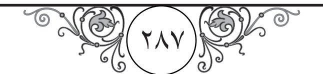
إن الحياة السعيدة هي مطلب ومقصد الإنسانية جمعاء، وهذه إنما تتحقق بوجود مَنْ أراده الله تعالى لذلك ليجعل الناس ينعمون بنعمه

(١) وهو متخذ من قوله تعالى: ((فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ)) - غافر: ٤٠.

(٢) الأعراف: ٣٨.

(٣) الملك: ٨-٩.

(٤) الاحتجاج: ١/ ١٥٣.



وتوفيقه ورضوانه الذي يتحقق في عصر الإمام صاحب الزمان (عج) الذي يذكره الرسول صلى الله عليه وآله في خطبته المباركة في غدير الإمامة، فيقول صلى الله عليه وآله: ((ألا إنّ خاتم الأئمة منا القائم المهدي -صلوات الله عليه-

ألا إنّه الظاهر على الدّين.

ألا إنّه المنتقم من الظالمين.

ألا إنّه فاتح الحصون وهادمها.

ألا إنّه قاتل كلّ قبيلة من أهل الشرك.

ألا إنّه المدرك بكل ثار لأولياء الله عزّ وجلّ.

ألا إنّه الناصر لدين الله.

ألا إنّه الغرّاف في بحر عميق.

ألا إنّه يَسِمُ كلّ ذي فضلٍ بفضله وكلّ ذي جهل بجهله.

ألا إنّه خيرة الله ومختاره.

ألا إنّه وارث كلّ علم والمحيط به.

ألا إنّه المخبر عن ربّه عزّ وجلّ والمنبّه بأمر إيمانه.

ألا إنّه الرشيد السّديد.

ألا إنّه المفوّض اليه.

ألا إنّه قد بَشَّرَ به من سلف بين يديه.

ألا إنّه الباقي حجّة ولا حجّة بعده، ولا حقّ إلّا معه، ولا نور إلّا عنده.

ألا إنّه لا غالب له ولا منصور عليه.

ألا وإنّه وليّ الله في أرضه، وحكمه في خلقه، وأمينه في سرّه وعلانيته))[1].

معاشر الناس: قد بيّنت لكم وأفهمتكم، وهذا عليّ يفهمكم بعدي.

ألا وإنّي عند انقضاء خطبتي أدعوكم الى مصافقتي على بيعته والإقرار به، ثم مصافقته بعدي.

ألا وإنّي قد بايعت الله وعليّ قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز وجل: ((فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ))[2].

إن الحياة لا تكون لها قيمة إلّا بوجود الإمام المعصوم (ع)، فيوضح الرسول صلى الله عليه وآله ذلك: ((ألا وإنّ رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أن تنتهوا الى قولي وتبلّغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته، فإنّه أمر من الله عزّ وجلّ ومنّي، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلّا مع إمام معصوم))[3].

حتى أنهى الرسول صلى الله عليه وآله الإشارة الى ذلك وغيره بقوله صلى الله عليه وآله: ((معاشر الناس: من يطع الله ورسوله وعليّاً والأئمة

(١) الاحتجاج: ١/ ١٥٥.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الاحتجاج: ١/ ١٥٧.



الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً.

معاشر الناس: السّابقون ﴿السّابقون﴾ الى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين، أولئك هم الفائزون في جنات النعيم.

معاشر الناس: قولوا ما يرضى الله به عنكم من القول، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن يضرّ الله شيئاً، اللهم اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله رب العالمين))[1].

هذا دستور إلهي وجّه به الله تعالى نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله ليكون للناس عامّة وللمسلمين خاصة أماناً وسلاماً وتوفيقاً لخير الدنيا والآخرة.

المبحث الثاني

أثر واقعة الغدير في التنمية الذاتية لروح انتظار ظهور الإمام المهدي (عج)

لا يخفى على كلِّ عاقل أن ما نعانيه وسنعانيه من صعوبات وأحزان خضم الأمواج المتلاطمة من الذنوب والمعاصي والتفكير السلبي والحياة التعيسة إنما جاء بسبب ابتعاد الأمة عن بيعة الغدير وأمنها وأمانها العظيم، فلقد تركنا الغذاء الروحي واتجهنا للركض وراء الشهوات فكان أننا ولأول

نشعر أننا ضائعون حتى لا نعرف نفوسنا، فتكاثرت الذنوب والهموم

(١) الاحتجاج: ١/ ١٦٠.

وعتمة العقول والقلوب، ولا بد هنا من العمل على تربية الضمائر وإنماء الأمور الإيجابية لنكون أهلاً لنعيم ظهور الإمام الحجة (عج) من خلال[1]:

١- تربية الأبوين للطفل تربية سليمة وإغداق المحبة له.

٢- تفعيل الوازع الديني الموافق للفطرة.

٣- إشاعة روح المحبة للسلام بعيداً عن العدوانية أو الإرهاب الفكري الذي يهمش الآخر أو لا يعترف بوجوده.

٤- التعامل الاجتماعي والقيام بالخدمات الاجتماعية مثل زيارة المرضى أو مساعدة الفقير.

٥- تنمية حب العمل الجماعي.

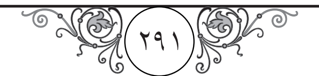
٦- اجتناب الذنوب والمعاصي بل وعدم التفكير بها.

وهذا يوجب الاهتمام بخطوة أخرى وهي التنمية الإيمانية فـ ((يجب لتقوية الإيمان أن نجعل الله غاية كل فعل أو حتى مجرد القصد إليه. والإيمان لا يمكن أنْ يأتي من عامل واحد أو طريق واحد... ونمو أو زيادة الإيمان له شروط أهمها:

١- العقيدة الصحيحة. فمن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه...

٢- الاعتقاد اليقيني. فأصحاب الاعتقاد المشكوك أو المهزوز بالشبهات

(١) يُنظر: التنمية البشرية: ص٥١.





لا يورث الإيمان ولا يدعو له.

٣- العمل بهذا الاعتقاد لأن عدم ظهور العمل بالإيمان دلالة على عدم ترسخ الإيمان في القلب.

٤- الرغبة في ثواب الله والخوف من عقابه))[١].

وهناك أمور تبعث على إحياء روح الإنسانية وتجديد الأمل فيها في الإنسان منها:

- الكرم: يقول سيد قطب: (إن الامتناع من الإنفاق في سبيل الله يؤدي الى موت روح الإنسانية في الفرد بسبب البخل)[٢]، والرحمة بالمستضعفين، وقضاء حوائج المحتاجين، معونة المظلوم والدفاع عنه، كف الأذى عن الناس، الابتعاد عن مدمرات الإنسانية من قبيل العنف والإرهاب، والعدوانية، الابتعاد عن الأنانية، إنصاف الناس من نفسك، تطبيق العدالة، حسن الخلق، والابتعاد عن الأمراض الأخلاقية والروحية من قبيل: الحقد، والبغض، والنفاق، والحسد، وسوء الظن))[٣].

أثر التنمية الذاتية في قضية انتظار الإمام المهدي (عج):

أشار السيد محمد باقر الصدر الى هذا الموضوع من خلال ما يأتي:

أولاً: يشير سماحته (قدس سره) إلى أنّ فكرة الإمام المهدي (عج) قديمة

(١) المصدر نفسه: ص١١٧.

(٢) في ظلال القرآن: ١ / ٢٧٦.

(٣) التنمية البشرية: ص١٧.

حتى أقدم من الإسلام وأوسع منه، إذ البشرية عانت ما عانت من ظلم وظروف صعبة جعلت الناس تترقب يوماً يظهر فيه منقذ لهم من ذلك، وأما الإسلام فهو مع ذلك، فإنه أوضح صفات الإمام (عجل الله فرجه الشريف) وعلامات ذلك الظهور الميمون، وأضاف الى فكر الناس ان ذلك الإنسان ما زال حياً حتى يوم الظهور، ويرى ويسمع ما يحصل لنا وقدر له عدم الإعلان عن نفسه(١).

ثانياً: يشير سماحته إلى أنّ فكرة ظهور الإمام المنتظر (عجل الله فرجه الشريف) شابها تساؤلات أو شكوك كثيرة من الناس ليس من ورائها الدافع الفكري فقط، بل يضيف (قدس سره) وجود دافع شعوري او نفسي بمعية الواقع المرير والمسيطر عالمياً وضالة أية فرصة لتغييره من الجذور(٢).

وهناك عدة نقاط مهمة تفيد الاهتمام بقضية الإمام الحجة (عج) وإنّ التنمية الذاتية سابقة الذكر تساعدنا كثيراً على الاهتمام بدقة وبوعي مثمر في انتظار ونصرة الإمام الحجة (عج)، لقد ساعدت واقعة الغدير وخطبتُها على إمكانية الإجابة على تلك التساؤلات وساعدت على الإعداد الذاتي للفرد ومن هذه التساؤلات:

١- هل بإمكان إنسان العيش قروناً طويلة؟

---

(١) ينظر: المدرسة القرآنية، السيد محمد باقر الصدر، ٣٠٠-٣٠١.

(٢) ينظر: تاريخ الغيبة الصغرى: السيد محمد الصدر، ١/ ١٧-١٨.



يجيب السيد محمد الصدر على ذلك على وفق ثلاثة معانٍ لكلمة الإمكان هي: ((الإمكان العملي والعلمي، والمنطقي أو النفسي))، فـ ((الإمكان العملي يعني ممكن ذلك العيش من الناس جميعاً تقريباً، وأما الإمكان العملي، فهناك أشياء قد لا تحدث عملياً لي أو لك ولكن العلم لا يمنع من حصولها في كثير من الأمور. والإمكان المنطقي أو الفلسفي، إذ لا يوجد لدى العقل قوانين قبلية تبرر رفض الشيء والحكم باستحالته، ولا شك إنّ امتداد عمر الإنسان الآف السنين ممكن منطقياً، فذلك ليس مستحيلاً من وجهة نظر تجريدية وكإمكان عملي لا يكون ذلك، لأنّ العلم بوسائله وأدواته الحاضرة فعلاً والمعاصرة لا تستطيع أن تمدد عمر الإنسان مئات السنين، وكإمكان علمي فلا يوجد علمياً اليوم ما يبرر رفض ذلك من الناحية النظرية. وباختصار إن طول عمر الإنسان وبقاءه قروناً متعددة امر ممكن منطقياً وعلمياً ولكنه لا يزال غير ممكن عملياً، إلا ان اتجاه العلم سائر في طريق تحقيق هذا الإمكان عبر طريق طويل))[1].

وفضلاً عما تقدم فالسيد (قدس سره) يطرح مسألة كيف يسبق الإسلام - الذي صمم عمر القائد المنتظر - حركة العلم في مجال التحويل للممكن منطقياً الى ممكن عملياً كسبق من سبق العلم في اكتشاف دواء ذات السحايا أو دواء السرطان، وكذلك كان جوابه أنّ الإسلام سبق العلم في مجالات عدة كسبق الشريعة الإسلامية ككل لحركة العلم والتطور

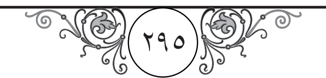
---

(١) تأريخ الغيبة الصغرى، ١/ ٢٣-٢٤.

الطبيعي للفكري الإنساني، فضلاً عن كشف رسالة السماء أسراراً من الكون لم تكن تخطر على بال إنسان، ثم جاء العلم ليثبته، ومثال آخر ((أسراء الرسول صلى الله عليه وآله من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى))، وهذا الإسراء على وفق القوانين الطبيعية ثم الاستفادة منها (أي القوانين) بشكل لم يتح للعلم تحقيقه، إلاّ بعد مئات السنين، فلماذا لا يكون ذلك الممكن للإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف). وفضلاً عن ذلك، فقد عاش نبي الله نوح (عليه السلام) في قومه ألف عام إلاّ خمسين سنة، وهذا ممكن للإمام الحجة (عج)[1].

٢. وفضلاً عما تقدم من تعطيل القوانين الطبيعية، فهو (قدس سره) أشار الى مخالفة قانون الطبيعة في انتقال الحرارة من الجسم الأكثر الى الأقل وذلك من خلال ((الاستدلال بمعجزة حماية إبراهيم (عليه السلام) وكيف فلق البحر لموسى (عليه السلام) وكيف شبه للرومان إنّهم قبضوا على عيسى (عليه الإسلام) وكيف خرج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله) من دار؟ وهي محفوفة بحشود قريش؟ وكيف لم ير هؤلاء والرسول (صلى الله عليه واله وسلم) يمشي بينهم؟ ويقول سماحته (قدس سره) أنه كلما توقف الحفاظ على حياة حجة الله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمته التي أُعد لها، تدخلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز ذلك، وبخلاف ذلك أي إذا كان الشخص قد انتهت مهمته التي

(١) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٣٤-٣٧.



أعـد لهـا ربانيـاً فإنّـه سـيلقى حتفـه ويمـوت أو يستشـهد عـلى وفـق مـا تقـرره القوانـين الطبيعيـة))[1].

٣. لمـاذا كل هـذا الحـرص مـن الله سـبحانه وتعـالى على هـذا الإنسـان بالذات (أي الإمـام الحجـة) (عجـل الله فرجـه الشريـف) فـما فائـدة هـذه الغيبـة الطويلة ومـا المـبرر لها؟

يشـير السـيد محمـد الصـدر (قـدس سره) الى أننـا نؤمـن بـأنّ الأئمـة الإثنـي عـشر (عليهـم السـلام) مجموعـة فريـدة لا يمكـن التعويـض عـن أي واحـد منهـم، والنـاس هنـا يريـدون تفسـيراً اجتماعيـاً، فأجـاب سـماحته (قـدس سره)[2]: ((أنـه لمـا كانـت رسـالة اليـوم الموعـود تغيـير عـالم ملـئ بالظلـم والجـور تغيـيراً شـاملاً بـكل قيمـه الحضاريـة، فـلا بـد مـن شـخص يتصـف بشـعور نفسي كبـير للغايـة تجاه ذلـك العـالم بحيـث يتناسـب ذلـك الشـعور مـع حجـم التغيـير نفسـه، ويتطلـب كذلـك أن يكـون ذلـك الشـخص ليس مـن مواليـد ذلـك العـالم الذيـن نشـيئوا في تلـك الحضـارة المـراد تقويضهـا واسـتبدالها بحضـارة العـدل والحـق، لأنّ مـن ينشـأ في ظـل حضـارة راسـخة تعمـر الدنيـا بسـلطانها وقيمهـا، يعيـش في نفسـه الشـعور بالهيبـة تجاههـا لأنّـه ولـد وهـي قائمـة، ونشـأ صغـيراً وهـي جبـارة ومـن المخالـف أن يكـون هنـاك شـخص يتوغـل في التاريـخ وعـاش الدنيـا قبـل أن تعـرف تلـك الحضـارة

(١) ينظر: قراءة في قضية التأويل عند الشهيد محمد باقر الصدر: د. مرتضى عباس فالح: ص٢٣٤؛ يُنظر: تأريخ الغيبية الصغرى، ١/ ٣٩-٤٠.

(٢) ينظر: قراءة في قضية التأويل عند الشهيد محمد باقر الصدر: ص٢٣٥.

النـور، ورأى الحضـارات الكبـيرة سـادت العـالم الواحـدة تلـو الأخـرى، ثـم تداعـى وانهـارت وهـو رأى ذلـك بعينـه وعاشـه بنفسـه وصـولاً الى ذلـك اليـوم الموعـود))[1].

وذلـك الشـخص عـاش وهـو ومؤمـن بـأن كل حضـارة سـتزول متـى تصـل الحضـارة الموعـودة في يومهـا المأمـول عـلى خـلاف (جـان جـاك روسـو) الـذي كان ينظـر الى الملكيـة بنظـرة كان يرعبـه فيهـا التصـور بـأن فرنسـا تبقـى بـدون ملـك[2].

وفضـلاً عـما تقـدم فهـذه المعـاصرة للحضـارة التـي واكبهـا تمـده بالرصيـد الفكـري والمعـرفي، وكذلـك، فـان اعتـماد الإسـلام كأسـاس للتغيـير، فذلـك طبيعـي، إذ إنّ ذلـك الأمـر يتطلـب قائـداً قريبـاً مـن مصـادر الإسـلام الأولى وتغـذى مـن الحضـارة الإسـلامية النقيـة بخـلاف الأفـكار المشـوبة مـن حضـارات أخـرى، ولكـي يضمـن عـدم تأثـير القائـد المدخـر بالحضـارة التـي أعـد لاسـتبدالها لا بـد أن تكـون شـخصيته قـد بنيـت بنـاءً كامـلاً في مرحلـة حضاريـة سـابقة هـي أقـرب مـا تكـون في الـروح العامـة، ومـن ناحيـة المبـدأ الى الحالـة الحضاريـة التـي يتوجـه اليـوم الموعـود الى تحقيقهـا بقيادتـه[3].

ويتبـع النقـاط السـابقة بنقطـة مهمـة جـداً وتُعـدّ كذلـك في تنميـة الـذات المؤمنـة ولاسـيما بالإمامـة وبالأخـص قضيـة غيبـة الإمام الحجـة (عـج) وانتظار

---

(١) تأريخ الغيبة الصغرى، ١/ ٤٦-٤٩.

(٢) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٥٠.

(٣) ينظر: المصدر السابق، ١/ ٥٢-٥٣.



ظهـوره الميمـون (عـج)

٤. كيف نؤمن أن الإمام الحجة موجود (عجل الله فرجه الشريف)؟

وهـذه النقطـة تكمّـل أهميـة النقـاط السـابقة في الأهميـة وجوابهـا إنّـه مـع مـا جـاء في أحاديـث الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) وروايـات أهـل البيـت (عليهـم السـلام) ممـا يؤكـد عـلى ذلـك. والتركيـز هنـا عـلى الإمـام الثـاني عـشر (الإمـام الحجـة) لـه مبرراتـه التـي تتلخـص عنـد السـيد محمـد باقـر الصـدر بدليلـين همـا:

دليـل إسـلامي والآخـر علمـي: فالدليـل الإسـلامي يقـوم أو يتمثـل في مئات الروايات الـواردة عـن الرسـول (صـلى الله عليـه وآلـه) والأئمـة (عليهم السـلام) التـي تـدل عـلى تعيـين المهـدي (عجـل الله فرجـه) وكونـه مـن أهـل البيـت ومـن ولـد فاطمـة ومـن ذريـة الحسـين وانـه التاسـع مـن ولـد الحسـين وان الخلفـاء اثنـا عـشر. وهـذا موجـود في كتـب الصحـاح خاصـة وكتـب الحديـث الأخـرى عامـة. والبخـاري واحـد مـن رواة الحديـث وصاحـب (صحيـح البخـاري) وقـد عـاصر الأئمـة (عليهـم السـلام) كلاً مـن الإمـام الجـواد والإمامـين الهـادي والعسـكري (عليهـم السـلام)، وهـذا فيـه مغـزى كبـير. أمّـا الدليـل العلمـي وهـي مـدة الغيبـة الصغـرى، وامدهـا سـبعون سـنة تقريبـاً وهـي تمهيـد للقواعـد الشـعبية كـي يعتـادوا عـلى الغيبـة الكـبرى وكان يتصـل بالنـاس بوسـاطة السـفراء الأربعـة وكانـوا مكلفـين مـن الإمـام بمهـام النيابـة فكانـوا يوصلـون المراسـلات والاتصـالات والتوقيعـات والرسـائل مـن والى الإمـام الحجـة (عجـل الله فرجـه) بخـط واحـد وسـليقة واحدة منـه (عجل

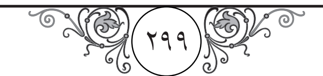
الله فرجه) طيلة مدة النيابة حتى إعلان النائب الرابع (السمري) انتهاء الغيبة الصغرى وابتداء الغيبة الكبرى وقد مهدت الغيبة الصغرى التعود هنا على عدم الصدمة بالفراغ الهائل بسبب غياب الإمام الحجة (عجل الله فرجه) وتحولت النيابة من السفراء الى المجتهدين العادلين وهو خط عام، وبعد ذلك كيف لأكذوبة أن تبقى سبعين عاماً (الغيبة الصغرى) حتى هذا اليوم وعلى اتفاق عندنا على شخصية الإمام الحجة (عجل الله فرجه) بهذه الصفحات[1]؟.

ثم يذكر السيد محمد الصدر سؤالاً آخر هو:

٥. كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر؟ مع أنّه لم يعاصر أباه الإمام العسكري (عليه السلام) إلاّ خمس سنوات وهي مدة الطفولة؟

الجواب: هو أن الإمام الحجة (عجل الله فرجه الشريف) قد خلف أباه العسكري (عليه السلام) في إمامة المسلمين وهذا يعني أنه كان إماماً بكل ما في الإمامة من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة، والإمامة المبكرة ظاهرة سبقه إليها عدد من آبائه (عليهم الإسلام) فالإمام محمد الجواد (عليه السلام) تولى الإمامة في الثامنة من عمره، والإمام علي بن محمد الهادي تولى الإمامة في التاسعة من عمره، وأبوه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) تولى الإمامة وهو فغي الثانية العشرين من عمره، وهذا لا يعني انتقال الإمامة في أهل البيت (عليهم السلام بالوراثة) وإنما كان ذلك مكتسباً ومدعوماً من قواعدهم

(١) ينظر: تأريخ الغيبة الصغرى، ١/ ٦٦-٧٤.



الشعبية الواسعة لما لهم من تغلغل روحي وفكري وحاجة عظيمة في نفوس تلك القواعد التي بنيت منذ صدر الإسلام وازدهرت واتسعت في عهد الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق (عليهما السلام)، ولمدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) عظيم الأثر في ذلك؛ من خلال ما بذره في نفوس الدارسين والناس من بذور الفكر والعقيدة مع تخريج المئات من الفقهاء والمتكلمين والمفسرين وغيرهم وهي مدرسة عرفت بكفائتها وتضحياتها في سبيل العقيدة في الإمامة الحقة وفضلا عن ذلك فالأئمة(عليهم السلام) لم يكونوا معزولين عن الناس ولم يكونوا في بروج عالية وإنما حياتهم كحياة الناس أو أقل منهم وان ابتعد الأئمة عن الناس فبسبب السجن الذي لم يعزلهم عن الناس فكانوا يتصلون معهم بالمكاتبات، والرواة ووكلاء وسفراء كما هو الحال في الغيبة الصغرى.

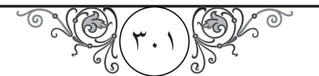
فالإمام الذي يظهر أمام الناس ويعلن إمامته يكون فعلاً على قدر عال جداً من ذلك، فإنه لولا صحة تلك الإمامة (المبكرة الخاصة) لما لقيت ذلك الترحيب من القواعد الشعبية، ومع ذلك، فإنه إذا لم يتحرك الناس ضد من قال بالإمامة (وهو أهل لها) فهل ستستمر تلك المسالة زمناً طويلاً والمنطق يجيب بـ (لا) وحتى أن السلطة ستعتقل ذلك الإمام وتقضي عليه وعلى خط الإمامة عموماً، ولكن صحة تلك الإمامة مع ما سبق ذكره أثبتت أحقيتها لأهل البيت (عليهم السلام) وفضلاً عن ذلك، فتسلم الأمور وقيادة الأمة مذكور في القرآن الكريم كما تسلم النبي

(يحيى) (عليه السلام) الحكم صبياً وغير ذلك[1].

وهذه نقطة أخرى تتمّم أهمية النقاط السابقة:

٦. لماذا لم يظهر القائد طيلة هذه المدة؟ خاصة في مدة الغيبة الصغرى مع تهيء كثير من الظروف لذلك كمفهوم عام، فإن كل عملية تغيير اجتماعي مثلاً يرتبط نجاحها بظروف وأمور خاصة ودقيقة لنجاحها، وعملية التغيير الاجتماعي التي تفجرها السماء على الأرض فتلك لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية غير أنّها في جانبها التنفيذي تعتمد على الظروف الموضوعية من حيث النجاح وقبله التنفيذ، وغير ذلك كمجيء رسالة الإسلام على يد الرسول (صلى الله عليه وآله) بعد خمسة قرون من الجاهلية هيأت ومكنت من ذلك كتنفيذ ونجاح، وهذه الظروف واسعة وليست بسيطة ولو كانت كذلك، لكانت عملية التغيير الشامل منذ خروج الرسول (صلى الله عليه وآله) برسالته في ذلك العهد، وربما أنّ ظروف الحياة أو الحضارة المادية في وقت ظهور الإمام الحجة (عجل الله فرجه) هي الأفضل والأحسن لخروجه (عجل الله فرجه) وليست كتلك الظروف في عصر الغيبة الصغرى. فضلاً عما قد يرد من ان هناك ظروف عسكرية وقتالية تساعد في الظهور الميمون. ولكن ربما - وهذا شيء مهم جداً - ان تلك الظروف والعوامل العسكرية تنقصها - وبشكل كبير - القوة النفسية للإنسان وهذا لا ينفع في المساعدة لظهور

(١) المصدر السابق: ١/ ٥٥-٦٤.



الإمـام الحجـة (عجـل الله فرجـه)[1].

إنّ النقـاط السـابقة وبتآزرهـا مـع موضـوع التنميـة الذاتيـة ومـا ذكـر فيهـا مـن أمـور تنمّـي إيـمان الإنسـان وعقيدتـه وكل مـا مـن شـأنه التأثـير في الانتظار الإيجـابي لظهـور الإمـام صاحـب الزمـان (عـج).

وهـذا يُعـدّ مـن المقدمـات الضروريـة، وانطلاقـاً مـن مبـدأ نفـس الإنسـان ميدانـه الأول للتغيـير نحـو الأفضـل والأحسـن.

المبحث الثالث

أثر واقعة الغدير في التنمية الاجتماعية لروح انتظار ظهور الإمام الحجة (عج)

التركيـز هنـا عـلى الإنسـان مـع اندماجـه في المجتمـع ومـا ينتـج عـن ذلـك مـن دور وأثـر مهـم في الانتظـار الإيجـابي لظهـور الإمـام الحجـة (عـج).

ولا بـد هنـا مـن الانطـلاق مـن مبـدأ أن أحـبّ الخلْـق الى الله تعـالى أنفعهـم لعيـال الله، ومـن الـضروري النظـر الى النـاس أنهـم أخـوة في الديـن أو نظـراء لنـا في الخلْـق، ومـن المهـم أن تسـود مبـادئ الاحـترام والتعـاون والوئـام بـين أفـراد المجتمـع[2]. وهـذا مـا أشـارت إليـه واقعـة الغديـر بتفاصيلهـا كافـة، فهدفهـا الرقـيّ بالإنسـانية الى أعـلى مراتـب الكـمال والتوفيـق لاسـتحصال نعـم الدنيـا والآخـرة.

(١) ينظر: المصدر نفسه: ١/ ٧٧-٨٣.

(٢) يُنظر: التنمية البشرية: ص١٩٠.

ومن الضروري هنا تنمية روح الإدارة للذات والمجتمع من العائلة والأصدقاء وغيرهم مما ينمّي الشعور بالمسؤولية[1]، وهذا يكون في مجالات متعددة منها الاقتصادية والسياسية وضرورة الوعي لذلك وحسن التدبير والتصرف واستثمار الوقت في حسن إدارة ذلك وغيره بأحسن ما يكون[2].

وهنا نلتفت إلى أمر مهم وهو أن الدين الإسلامي ضمن لنا ذلك كله، وذلك بلحاظ أن: ((نظام الإسلام وهو خاتم الديانات وأفضلها برنامج تربوي متكامل.

وبالإمكان إعطاء صورة إجمالية في هذا عن طريق:

دعوته الى اختيار الزوجة الصالحة لتكون أمّاً صالحة لإنشاء أبناء صالحين وفي الحديث: ((اختاروا لنطفكم))[3].

دعوته لتكثير النسل وإعمار الأرض بالذرية الصالحة وفي الحديث: ((تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً يوم القيامة))[4].

حثه على التربية الصالحة لنمو الأطفال نمواً سليماً. وفي وصية النبي للإمام علي صلوات الله عليهما: ((يا علي حق الولد على والده أن يحسن

---

(١) يُنظر: المصدر نفسه: ص١٧٧.

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ص١٦٥، ص١٧١.

(٣) آداب الحمل في الإسلام: ١٦.

(٤) الوسائل: بابل النكاح - أبواب أحكام الأولاد - ب١ - ج١٤.



اسمه وأدبه ويضعه موضعاً حسناً))[١].

أمره بطلب العلم والمعرفة وفي الحديث: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[٢]. ترغيبه في إجادة العمل، وفي الحديث: ((إنّ الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه))[٣].

وكذا أراد أن يستعمر أرضه بما يعود عليه بالنفع فقال: ((واستعمركم))[٤].

وعلى الصعيد العقلي فقد أشاد به ونبه على قيمته وفي الحديث: ((ما كسب أحدٌ شيئاً أفضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى))[٥].

وأمر بغض النظر والعفو الصفح فقال: ((وليعفوا وليصفحوا))[٦].

وقال: ((ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ))[٧].

وحث على التفكير الإيجابي فقال: ((الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ

(١) الطفل من الولادة الى السنة الثانية: ٩٤.

(٢) أصول الكافي: ج١، ٣٠.

(٣) مسند أبي يعلى: ج٧، ٣٥٠.

(٤) هود: ٦١.

(٥) العقل الباطن: ١٤.

(٦) النور: ٢٢.

(٧) فصلت: ٣٤.

إِنَّـا للهِ وَإِنَّـا إِلَيْـهِ رَاجِعـونَ))[1]، فمـدح هـؤلاء الذيـن لم يتذمـروا ولم يجهلـوا.

ودعـا الى اشـغال الوقـت بـما يعـود عـلى الإنسـان بالنفـع الدنيـوي أو الأخـروي، وفي الدعـاء: ((اللهـم صـل عـلى محمـد وآل محمـد واكفنـي مـا يشـغلني الاهتـمام بـه واسـتعملني بـما سـألتني غـداً عنـه واسـتفرغ أيامـي فيـما خلقتنـي لـه))[2].

وكذا دعا الى التزين والتجميل بقوله: ((خذوا زينتكم))[3].

ونهـى عـن الفحشـاء والمنكـر فقـال: ((إِنَّ الصَّـلاَةَ تَنْهَـى عَـنِ الْفَحْشَـاء وَالْمُنكَـرِ))[4].

كـما دعـا الى الثبـات عـلى المبـدأ بقولـه: ((وَلاَ تَمُوتُـنَّ إِلاَّ وَأَنتُـم مُّسْـلِمُونَ))[5]. وفي الدعـاء: ((اللهـم إني أجـدد لـه في صبيحـة يومـي هـذا ومـا عشـت من أيامـي عهـداً وعقـداً وبيعـة لـه في عنقـي لا أحـول عنهـا ولا أزول ابـداً))[6].

وحـث عـلى ترشـيد الإنفـاق والاسـتهلاك وقـال في ذلـك: ((وكُلُـواْ

---

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) الصحيفة السجادية: ٨١.

(٣) الأعراف: ٣١.

(٤) العنكبوت: ٤٥.

(٥) البقرة: ١٣٢.

(٦) مفاتيح الجنان: ٥٦١.

وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوا))[(١)])[(٢)].

وهذا النص يُطلعنا على كثير الذي من شأنه أن يعمّ بالتنمية الاجتماعية في مفاصل مهمة جداً في تهيأة الأجواء الضرورية حتى يكون الانتظار لظهور الإمام صاحب الزمان (عج) فضلاً عن نصرته (عج).

إنّ ما مرّ ذكره من مسائل مهمة في المبحث الأول ولاسيما التساؤلات المتعلقة بالظهور الميمون لصاحب الأمر (عج) له ما يؤازره من إشارات مهمة تجدّد الأمل في نفوس المظلومين والذين لا يجدون ناصراً لهم إلاّ الله تعالى برسوله وآله الطاهرين (صلوات الله تعالى عليهم أجمعين) من خلال الإمام الحجة (عج) وظهوره المبارك، وهناك نقطتان مهمتان في الإشارة الى ذلك، هما[(٣)]:

١- هل للفرد مهما كان عظيماً القدرة في إنجاز هذا الدور العظيم؟

للفرد دور كبير في حالة مهمة هذا كما يشير سماحته (عجل الله فرجه)، فالإنسان على الرغم من أنّه يشكل عاملاً ثانوياً في ذلك التغيير على ما يفسره التاريخ، والقوى الموضوعية المحيطة به هي القاتل الأساس، ولكن يبقى دور الفرد في أفضل الأحوال (التعبير الذكي) عن اتجاه هذا العامل الأساس. ومثال ذلك واضح، فإنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلم بنفسه زمام الحركة التاريخية وانشاء

(١) الأعراف: ٧١.

(٢) التنمية البشرية: ص٢٣-٢٥.

(٣) يُنظر: تأريخ الغيبة الصغرى: ١/ ٨٥-٨٦، ٨٩.

مـدٍّ حضـاريٍّ لم يكـن بإمـكان الظـروف الموضوعيـة المحيطـة بـه ان تتمخـض عنـه بحـال مـن الأحـوال.

وهـذا الأمـر نفسـه مـع الحجـة المنتظـر (عجـل الله فرجـه) كـما هـو حاصـل مـع جـده المصطفـى (صـلى الله عليـه وآلـه).

٢- ما هي طريقة التغيير في اليوم الموعود؟

ذلـك يعتمـد عـلى ظـروف وأحـوال وأوضـاع المرحلـة التـي سـيخرج فيهـا الإمـام الحجـة (عجـل الله فرجـه).. ويشـير سـماحته (قـدس سره) الى وجـود افـتراض أسـاس واحـد بالإمـكان قبولـه عـلى ضـوء الأحاديـث المتحدثـة عنـه والتجـارب الحاصلـة في عمليـات التغيـير الكـبرى في التاريـخ وهـو افـتراض ظهـور الحجـة المنتظـر (عجـل الله فرجـه) في أعقـاب فـراغ كبـير يحـدث نتيجـة نكسـة او أزمـة حضاريـة خانقـة، وذلـك الفـراغ يتيـح المجـال لذلـك الظهـور ولتلـك الرسـالة الجديـدة مـع العوامـل النفسـية وغيرهـا لاسـتقبال ظهـور الإمـام (عجـل الله فرجـه) حتـى يمـلأ الأرض قسـطاً وعـدلاً بعدمـا لئـت ظلـماً وجـوراً.

إنّ مـا تقـدم فيـه إشـارات الى ضرورة تنميـة الأمـل مـع الإيـمان والاعتقـاد الصحيـح والصـبر في أكثـر مـن مجـال ومفصـل في حياتنـا، وللقـرآن الكريـم دور رئيـس في إحيـاء الأمـل والسر لانتظـار ونـصرة منقـذ البشريـة والوجـود، الإمـام صاحـب الزمـان (عـج)، مـن ذلـك[1]:

(١) يُنظر: القرآن يتحدث عن الإمام المهدي: ص١٣، ١٤، ٢٣، ٤٤.



قال تعالى: ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً))(١).

عن عبد الله بن سنان قال: ((قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ((يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)) قال (عليه السلام): إمامهم الذي بين أظهرهم وهو قائم أهل زمانه))(٢).

وهذا تعريف بالإمام الحجة (عج) قرآناً ورواية، فضلاً عن قوله تعالى: ((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))(٣).

عن المفضل بن عمر قال: ((قال ابو عبد الله (عليه السلام):... واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجة الله عز وجل ولكن الله سيعمي خلقه عنها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجة الله لساخت بأهلها. ولكن الحجة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون، ثم تلا: ((يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون))(٤)).

وفضلاً عمّا تقدم، يُلحظ قوله تعالى: ((وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ))(٥).

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) الكافي: ج١، ص٥٣٦.

(٣) سورة يس: الآية ٣٠.

(٤) غيبة النعماني: ص١٤١.

(٥) سورة الرعد: الآية ٧.

عن حنَّان بن سدير عن ((الإمام الباقر (عليه السلام): قال سمعته يقول في قول الله تبارك وتعالى: ((إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)) فقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أنا المنذر وعلي الهادي وكل إمام هاد للقرن الذي هو فيه))[1].

وقوله تعالى: ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ))[2].

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): ((يا جابر إذا أدركت ولدي الباقر فأقرئه مني السلام فإنه سمي وأشبه الناس بي علمه علمي وحكمه حكمي سبعة من ولده أمناء معصومون أئمة أبرار والسابع مهديهم الذي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. ثم تلا رسول الله (صلى الله عليه وآله): ((وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ))[3].

ومما تقدم أيضاً قوله تعالى: ((أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ))[4].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: ((لا يكون ما تمدن إليه أعناقكم حتى تميزوا وتمحصوا فلا يبقى منكم الا القليل ثم قرأ: ((أَحَسِبَ النَّاسُ

---

(١) العياشي: ج٢، ص٢٠٤.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

(٣) كفاية الأثر: ص٢٩٧.

(٤) سورة العنكبوت: الآية ١-٢.

أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ)) ثم قال (عليه السلام): إن من علامات الفرج حدثاً بين المسجدين ويقتل فلان من ولد فلان خمسة عشر كبشاً من العرب))[1].

وآية أخرى تشير إلى ما سبق وتصرّح بالانتظار للأهل المنشود، قال تعالى: ((فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ))[2].

عن محمد بن الفضيل عن الإمام الرضا (عليه السلام) سألته عن شيء في الفرج فقال (عليه السلام): أوليس تعلم ان انتظار الفرج من الفرج. إن الله يقول: ((انتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ))[3]).

وفي السياق نفسه، قوله تعالى: ((لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ))[4].

عن الإمام الباقر (عليه السلام): (((لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ)) والإمام يبشرهم بقيام القائم وبظهوره وقتل اعدائهم، وبالنجاة في الاخرة والورود على محمد (صلى الله عليه وآله) الصادقين على الحوض))[5].

وفي سياق الآيات المباركة السابقة، تُلحظ آية لطالما تتردّد على أسماعنا،

(١) الإرشاد: ص٣٦٠.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧١.

(٣) العياشي: ج٢، ص١٣٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٦٤.

(٥) الكافي: ج١، ص٤٢٩.

وهـي تشـكّل محـوراً رئيسـاً في مسـألة انتظـار ظهـور الإمـام المهـدي (عـج) ويُلحـظ في ذلـك مـا ذكـره أمـير المؤمنـين الإمـام عـلي بـن أبي طالـب (عليـه السـلام): ((لتعطفـن الدنيـا علينـا بعـد شماسـها عطـف الـضروس عـلى ولدهـا))[1]، وتـلا عقيـب ذلـك: ((وَنُرِيـدُ أَن نَّمُـنَّ عَـلَى الَّذِيـنَ اسْـتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُـمْ أَئِمَّـةً وَنَجْعَلَهُـمُ الْوَارِثِـينَ))[2].

((لتعطفـن الدنيـا علينـا بعـد شماسـها)): شـمس الفرس شموسـاً، وشماسـاً، أي: منع ظهـره[3].

((عطـف الـضروس عـلى ولدهـا)): ناقـة ضروس في (الصحاح)، أي: سـيئة الخلـق، تعـض حالبها.

وهنـا يشـير الإمـام (عليـه السـلام) الى ((دولـة القائـم (عجـل الله فرجـه) ي آخـر الزمـان، وفي هـذا المعنـى روي عـن الإمـام أبي عبـد الله الصـادق (عليـه السـلام) كان يقـول: لـكل أنـاس دولـة يرقبونهـا ودولتنـا في آخـر الدهـر تظهـر...

والإمـام (عليـه السـلام) إنـما تـلا هـذه الآيـة عقـب كلامـه كشـاهد لعطـف الدنيـا عليهـم أخـيراً، فهـم المسـتضعفون في الآيـة))[4].

---

(١) بحار الأنوار: المجلسي: ٢٤/ ١٧٠.

(٢) سورة القصص: الآية: ٥.

(٣) صحاح اللغة ٢: ٩٣٧، مادة (شمس).

(٤) الإمام المهدي المنتظر (عج) في نهج البلاغة: حيدر فاضل الشكري: ص٧٧، ص٧٨.



وفي كتاب الغيبة لشيخ الطائفة، بإسناده الى محمد بن الحسين عن أبيه عن جده، عن علي (عليه السلام) في ((قوله: ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ))[١] قال: ((هم آل محمد، يبعث الله مهديهم بعد جهدهم فيعزهم ويذل أعداءهم))[٢].

ويذكر أحد الباحثين ((إنّ الآيتين (٥-٦) من سورة القصص، إنّ الإمام المهدي (عجل الله فرجه) تلاهما في اليوم السابع من ولادته في إشارة على أنّهما قد نزلتا بحقه وبوارثته الأرض، ومن عليها في آخر الزمان، ما هو في تفسير نور الثقلين، عن كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) بإسناده الى حكيمة قالت: لما كان اليوم السابع من مولد القائم (عجل الله فرجه) جئت الى أبي محمد (عليه السلام) فسلمت عليه وجلست فقال: ((هلمي الي ابني))، فجئت بسيدي - وهو في الخرقة - ففعل به كفعله الأول - هكذا وردت في المصدر - ثم أدلى لسانه في فيه كأنّما يغذيه لبناً وعسلاً، ثم قال: ((تكلم يا بني))، قال: ((أشهد أن لا إله إلاّ الله))، وثنى بالصلاة على محمد وعلى أمير المؤمنين وعلى الأئمة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين حتى وقف على أبيه (عليه السلام) ثم تلا هذه الآية: بسم الله الرحمن الرحيم ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ... مِنْهُم

(١) سورة القصص: الآية ٥.

(٢) غيبة الطوسي: ١١٣.

مَّـا كَانُـوا يَحْـذَرُونَ))، والحديـث طويـل أخذنـا منـه موضـع الحاجـة[1]))[2]، ويضيـف الباحـث إضافـة مهمـة وعـي قولـه ((ولا يخفـى إنّ الآيتـين (٥-٦) مـن سـورة القصـص جاءتـا بصيغـة الفعـل المضـارع والاسـتمرار، وهـذا معناه انهـما ليسـتا مختصتـين بالمسـتضعفين مـن بنـي إسرائيـل، وحكومـة الفراعنـة - آنـذاك - وإنـما تخصـان مسـتضعفي اخـر الزمـان، والحكومـات الفرعونيـة الظالمـة))[3].

يقـول ابـن أبي الحديـد: ((والإماميـة تزعـم أن ذلـك وعـد منـه بالإمـام الغائـب الـذي يملـك الأرض في آخـر الزمـان، وأصحابنـا يقولـون إنـه وعـد بإمـام يملـك الأرض ويسـتولي عـلى الممالـك، ولا يلـزم مـن ذلـك أن يكـون موجـوداً وأن يكـون غائبـاً الى ان يظهـر، بـل يكفـي في صحـة هـذا الـكلام أن يخلـق في آخـر الوقـت[4].

ويُضيـف ابـن أبي الحديـد تحليلـه عـلى القـول السـابق بقولـه: ((أقـول: إنـما قالـت الإماميـة إنـه إشـارة الى الإمـام المهـدي المنتظـر، وإنـه موجـود وغائـب عـن الأبصـار؛ لأنـه قـد ثبـت عندهـم ذلـك بأدلـة كثـيرة، ومنهـا مـا ورد عـن أمـير المؤمنـين (عليـه السـلام): ((لا تخلـو الأرض مـن قائـم لله بحجـة أمـا

(١) تفسير نور الثقلين: ٥/ ٣١١، عن كمال الدين: ٤٢٥، ب٤٢، ح١.

(٢) الإمام المهدي المنتظر (عج): ص٧٩-٨٠.

(٣) المصدر نفسه: ص٨٠.

(٤) شرح النهج: لابن أبي الحديد: ٤/ ٣٣٦.



ظاهـراً مشـهوراً، أو خائفـاً مغمـوراً، لئـلا تبطـل حجـج الله وبيناتـه))[1].
وقولـه (عليـه السـلام): ((إذا خـوى نجـم طلـع نجـم))[2]. وغيرهـا مما ورد عـن أئمـة الهـدى (عليهـم السـلام)))[3].

الخاتمة

إنّ مـا تقـدم مـن مـادة البحـث كان هدفهـا الأسـاس كيـف ننمّـي قدراتنـا الذاتيـة والاجتماعيـة في ضـوء فهـم واقعـة الغديـر وأثرهـا المبـاشر وغـير المباشر في تنميـة روح الانتظـار لظهـور الإمـام (عـج) مـن أجـل أن يكـون انتظارنـا إيجابيـاً لظهـور منقـذ البشريـة ومخلّصهـما مـن كل ظلـم وجَـوْر، وهـو الإمـام صاحـب العـصر والزمـان (عـج).

وهـذا متوقـف عـلى مـا يُنهضـه المـرء في نفسـه مـن همـة واسـتعداد قائـم عـلى الصـبر والصـلاة والإيـمان، فهـذا زادٌ مهـم لنـماء الإمكانيـات والقـدرات لانتظـار ونـصرة الإمـام (عـج)، انطلاقـاً مـن قبـل ولادة الطفـل مـن ضرورة الغـذاء الحـلال سـواء المـادي أم المعنويـة، والتربيـة الصالحـة، والتعلّـم النافـع المرشـد لـكلّ صـواب، ومـن ثّـمّ اتبـاع المنهـج الحـق المـؤدي الى الهـدف والغايـة المنشـودة وهـي انتظـار ظهـور الإمـام الحجـة (عـج) فضـلاً عـن نصرتـه.

إنّ مـا تقـدم يتوسـع مفهومـه بعـد انطـلاق الإنسـان مـن نفسـه وهـي ميدانـه

(١) شرح النهج: لابن أبي الحديد: ١٨/ ٣٤٧.

(٢) شرح النهج: لابن أبي الحديد: ٧/ ٨٤.

(٣) المصدر نفسه: ٧/ ٨٤.

الأول للاستعداد تربية وتهذيباً وإرشاداً إلى المجتمع وبمراحل مدروسة ومخطط لها على وفق منهج صحيح، وما أكثر ما أرشدنا إليه القرآن الكريم وكلام الرسول ولاسيما في واقعة الغدير وآله الأطهار (صلى الله عليهم وسلم تسليماً كثيراً).

إنّ ما ذكر هو إشارة مهمة لبيان المائدة التي أنعم الله بها علينا وهي (مائدة الإمامة) بمعنى الموالاة للرسول وآله (صلى الله عليه وآله) ونصرته في كل وقت وآن، فضلاً عن المائدة المادية من طعام وغيره، فهذا مهم، ولكن الأهم الزاد المعنوي إلى دار الآخرة وزاد الانتظار لمنقذ البشرية ومثبّت الحق الإمام المهدي المنتظر (عج).

قائمة المصادر والمراجع

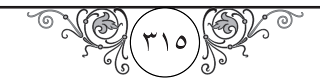
أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر والمراجع:

١- الاحتجاج: أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تحقيق: إبراهيم البهادري، ومحمد هادي بِه، إشراف: الشيخ جعفر السبحاني، ط٦، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، (د. ت).

٢- الإرشاد: الشيخ المفيد، د. ط، طهران، ١٣٠٨هـ.

٣- أصول الكافي: الكليني، د. ط، دار التعارف، بيروت - لبنان، ١٤٠١هـ.



٤- الإمام المهدي المنتظر (عج) في نهج البلاغة: الشيخ حيدر فاضل الشكري، ط١، شعبة البحوث والدراسات في العتبة العلوية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

٥- بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ.

٦- تأريخ الغيبة الصغرى: السيد محمد محمد صادق الصدر، ط١، دار الهدى، إيران، ١٤٢٥هـ / ١٣٨٣ش.

٧- تفسير نور الثقلين: الشيخ عبدعلي بن جمعة العرسي، د. ط، د. ت.

٨- تقرير التنمية البشرية الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي.

٩- التنمية البشرية: حسون البطاط، ط١، دار الفيحاء للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ٢٠١٦م.

١٠- الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) والتنمية البشرية - التراحم أنموذجاً: السيد محمد صادق محمد رضا الشيرازي، دار البذرة، النجف الأشرف - العراق، ١٤٣٤هـ.

١١- شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١، دار الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٢- الصحيفة السجادية: الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، تحقيق وتنسيق: إنصاريان، د. ط، سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٣- العقل الباطن: حسون لطيف البطاط، ط١، دار الفيحاء، بيروت - لبنان، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٤م.

١٤- الغيبة: الطوسي، د. ط، قم، ١٤١٧هـ.

١٥- القرآن الكريم يتحدث عن الإمام المهدي: مركز بقية الله الأعظم (ع) للدراسات والنشر، ط١، الدار الإسلامية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.

١٦- قراءة في قضية التأويل عند الشهيد السعيد محمد باقر الصدر (قدس سره الشريف): د. مرتضى عباس فالح، مجلة ص والقرآن ذي الذكر، ع٥، مؤسسة وارث الأنبياء، ٢٠٠٩م.

١٧- الكافي: الكليني، د. ط، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٥هـ.

١٨- المدرسة القرآن: السيد محمد باقر الصدر، ط٢، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية، قم، ١٤٢٤هـ.

١٩- مفاتيح الجنان: الشيخ عباس القمّي، د. ط، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، د. ت.

٢٠- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، طهران - إيران، ١٤٠٤هـ.

٢١- وسائل الشيعة: الحر العاملي، ط٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، د. ت.



المحتويات

